الجامعة الإسلامية ـ غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم تفسير القرآن وعلومه

الطريق ونظائرها في القرآن

دراسة تفسيرية موضوعية بيانية

إعداد

الطالب / مازن رشاد عيسى الحلو

إشراف

الدكتور / زكريا إبراهيم الزميلي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تفسير القرآن وعلومه، من كلية أصول الدِّين في الجامعة الإسلامية بغزة.

العام الجامعي

1426 هـ . 2005 م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ
وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

سورة الأنعام الآية (153)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، ففتح به عيوناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غُلفاً، وأمرنا باتباعه وتدبر آياته، والعمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه. أنزله الله ﷻ على خير خلقه ورسله بشيراً للمؤمنين، ونذيراً للكافرين، ومعجزاً للعالمين، هدانا إلى صراطه المستقيم ودينه القويم، وأصلي وأسلم على خير الأنام والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، أرسله الله ﷻ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد:

فإننا لو تأملنا واقعنا الذي نعيشه، وما ألمَّ به من أحداث مريرة، ومصائب جليلة مزقت شمل الأمة، وأذاقتها ويلات التفرقة والهوان، لتيقنَّا أن السبب في ذلك هو بعدنا عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وإلى اتحاد الكفر وأهله في طريق القضاء على الإسلام وأهله. وهنا يقف المسلم أمام هذا الواقع دهشاً، متعجباً، طرق مختلفة، وسبل شتى، ومناهج متعددة، وسنن ميتة، يتساءل: أي طريق يسلك؟ أي سبيل يتَّبع؟ أي منهج ينهج للمضي قدماً نحو وحدة الأمة وانتصارها؟.

بينما هو كذلك يأتيه قول الله تعالى بالجواب الشافي: ﴿ **وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[1].

والمتدبر لآيات القرآن الكريم . ولا سيما سورة الفاتحة . يجد أن أول دعاء في كتاب الله ﷻ هو: قوله تعالى: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[2].

وهداية الله تعالى الإنسان صراطه المستقيم من أجلِّ النعم وأعظمها، فإذا وضحت الطريق، تمكن الإنسان من تمييز الخير من الشر؛ وقد أنار الله لنا الطريق، ووضح لنا أنواعها، وصفاتها، ومقوماتها، وأحكامها .... الخ.

ولقد ذُكرت لفظة طريق ومشتقاتها في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، وورد لها نظائر كثيرة في آيات الكتاب العزيز، وكان من هذه النظائر:

1. **السبيل:** وردت هذه الكلمة ومشتقاتها في القرآن الكريم نحو مائة وخمس وسبعين مرة (175).
2. **السنة:** وردت هذه الكلمة ومشتقاتها ست عشرة مرة (16)
3. **الصراط:** وردت هذه الكلمة ومشتقاتها خمساً وأربعين مرة (45).
4. **المنهاج:** وردت هذه الكلمة مرة واحدة (1).

---

(1) سورة الأنعام: الآية (153).

(2) سورة الفاتحة: الآية (6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5. **النجدان:** وردت هذه الكلمة مرة واحدة (1).

إن هذه النظائر لم يذكرها الله ﷻ عبثاً، إنما ذكرها لمقاصد عظيمة، وقضايا بلاغية؛ وعلى طلبة العلم العمل على دراستها، فلكلٍ من هذه الألفاظ أثر في المعنى ومدلول خاص بها.

أسباب اختيار الموضوع:

1. أن الله ﷻ دعانا إلى تدبر كتابه وآياته في قوله تعالى: ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً** ﴾[1].

2. دراسة هذه الآيات دراسة موضوعية تكشف لنا عن بلاغة وأسلوب القرآن الكريم في استعماله لهذه الألفاظ ومدلولاتها، واستخدام كل لفظة في مكانها المناسب.

3. فتح آفاق جديدة لدراسة علوم القرآن دراسة موضوعية بأسلوب جديد في طريقة عرضي للموضوع من خلال تناول الوجوه والنظائر للفظة الطريق.

4. بعد البحث والتحري لم أجد أحداً قد كتب في هذا الموضوع من قبل.

5. استجابة لرغبة أستاذ الدراسات العليا الداعية المسلم الأستاذ الدكتور الشيخ: أحمد الكبيسي، عميد الدراسات العليا بجامعة بغداد، الذي أشار على طلبة العلم أن يتناولوا دراسة هذا الموضوع، لما له من فائدة عظيمة في مجال التفسير، من خلال ندوة علمية لفضيلته في قناة دبي الفضائية (برنامج الكلمة وأخواتها في القرآن).

6. رؤيا رأيت فيها رسول الله ﷺ سنة 1990 م، وقد سألني عن اسمي، فقلت له: مازن، فقال: أنت القعقاع نريان، فسأله والدي . رحمه الله . ماذا يعني نريان يا رسول الله؟ فقال ﷺ: نريان قارعة الطريق؛ فلعل ذلك إشارة إلى الكتابة في هذا الموضوع.

الهدف والغاية من الكتابة في هذا الموضوع:

1. الوقوف على معاني الطريق ونظائرها، ومعرفة وجوهها.
2. بيان الطريق الواضح الذي رسمه القرآن الكريم للناس لاتباعه.
3. التعرف على أنواع الطرق في هذه الحياة، لنلتزم المستقيمة منها، ونتجنب المعوجة.
4. التعرف على تلك الطرق في مجال الدعوة إلى الله ورسوله ﷺ، وفهم الواقع الذي نعيشه، والاستفادة منها.
5. بيان أحكام الطريق في ضوء القرآن الكريم.
6. التعرف على حقوق ابن السبيل، فقد جاءت مفرقة في كتاب الله.
7. بيان ثواب من اتبع طريق الله ﷻ وعقاب من حاد عن هذه الطريق.

---

(1) سورة النساء: الآية (82).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدراسات السابقة للموضوع:

بعد البحث والتنقيب في الجهود السابقة للباحثين، لم أجد أحداً كتب في هذا الموضوع، وتأكد لي ذلك بمطالعة دليل الرسائل العلمية الذي أصدره مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، والموجود في المكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية بغزة، فلم أجد أي رسالة علمية كُتبت في هذا الموضوع.

منهج البحث:

انتهجت في إعداد هذا البحث نهجاً علمياً سهلاً يمكن تلخيصه في النقاط التالية:

1. قمت باستقراء معظم الآيات القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع.
2. ضبطت الآيات القرآنية، ووضعتها بين قوسين مميزين، وذكرت اسم السورة ورقم الآية في الحاشية.
3. قمت بتفسير غالب هذه الآيات، ودراستها دراسة موضوعية بيانية، وذلك بذكر الآية، ثم ذكر أقوال المفسرين فيها، سواء أكان تفسيراً بالمأثور أو بالرأي، مع الاكتفاء أحياناً بقول أحدهم، ثم أقوم بالتعليق على تفسير هذه الآية مبيناً رأيي فيها غالباً؛ ولم أتعرض لبعض الآيات بالتفسير؛ لأنها ذُكرت من باب التمثيل.
4. ذكرت المناسبة بين الآيات إن وُجدت، وقد أفردت مطلباً خاصاً في إظهار المناسبة بين الآية والطريق ونظائرها.
5. إن كان للآية موضوع الدراسة سبب نزول ذكرته غالباً، وعزوته إلى مصادره الخاصة بأسباب النزول، وأحياناً عزوته إلى كتب التفسير.
6. اعتمدت على كتب التفسير التي تعنى بالتفسير البياني، لأنها التي تساعد على فهم الموضوع، لذلك أكثرت من الرجوع إلى تفسير الطبري، وكتاب التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، وكذلك تفسير الشعراوي، والظلال لسيد قطب.
7. خرَّجت الأحاديث وعزوتها إلى مصادرها، مع بيان الحكم عليها صحة وحسناً وضعفاً، غالباً؛ وذلك بذكر من أخرجها من الأئمة، ثم ذكرت الكتاب والباب الذي ورد فيه الحديث، ثم الجزء والصفحة، مبيناً حكم العلماء عليه إن لم يكن في الصحيحين غالباً.
8. قمت بالترجمة لبعض الأعلام ممن ظننته غامضاً عن المعرفة، أو يُجهل قدره، وعليه فلم أترجم للصحابة ﷺ، ولكبار التابعين، والأئمة أصحاب المذاهب الفقهية المعتمدة، وذلك لشهرتهم؛ وكذلك لم أترجم لغير المسلمين لهوانهم.
9. بينت معاني المفردات الغريبة غالباً.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

10. قمت بالتوثيق في الحاشية بذكر اسم الكتاب ثم المؤلف، ذكرت الجزء إن كان الكتاب ذا أجزاء، ثم رقم الصفحة؛ وقمت بذكر اسم الشهرة للكتاب إن كان طويلاً، في الحاشية، ثم ذكرته كاملاً في ثبت المصادر والمراجع.

11. قمت بإعداد مجموعة من الفهارس العلمية، تسهيلاً على قارئ البحث للحصول على المعلومة التي يريدها بسهولة، فوضعت فهرساً للآيات القرآنية، ورتبت السور حسب ورودها في القرآن، وإن كان في السورة أكثر من آية رتبتها حسب ورودها في السورة؛ وجعلت فهرساً للأحاديث، رتبته على حسب حروف المعجم، وكذلك وضعت فهرساً للأعلام المترجَم لهم، وللمعاني والمصطلحات الواردة ورتبتهما حسب حروف المعجم، ثم أعددت ثبتاً بالمصادر والمراجع التي عدت إليها في الرسالة، مرتباً لها على حروف المعجم، وأخيراً وضعت فهرساً للموضوعات.

12. اقتداء بسلفنا الصالح وعلى رأسهم الإمام البخاري . رحمه الله . ما كتبت شيئاً في هذه الرسالة إلا وأنا على وضوء، راجياً بذلك البركة والتوفيق من الله ﷻ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خطة البحث:

وتشتمل على مقدمة، وأربعة فصول، تتبعها خاتمة.

المقدمـــة: تضـمنت: أهميـة الموضـوع، وأسـباب اختيـاره، وأهـداف البحـث والغايـة منـه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته، وشكر وتقدير.

الفصـــل الأول

الطريق: مفهومه، وروده، أنواعه، صفاته، أحكامه

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الطريق وروده في القرآن الكريم.

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الطريق في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: الطريق واشتقاقاتها في القرآن الكريم

المبحث الثـــاني: أنواع الطريق وصفاته.

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: أنواع الطريق.

المطلب الثاني: صفات الطريق.

المبحث الثـــالث: أحكام الطريق في ضوء القرآن الكريم.

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: حكم قطع الطريق. الحرابة.

المطلب الثاني: صور الاعتداء على الطريق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

نظائر الطريق في القرآن الكريم

ويتكون من ستة مباحث:

المبحث الأول: السبيل.

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم السبيل.

المطلب الثاني: مشتقات كلمة السبيل ووجوهها في القرآن الكريم

المطلب الثالث: ورود المفردة القرآنية " سبيل " في القرآن

المبحث الثاني: السنة.

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم السنة

المطلب الثاني: مشتقات كلمة السنة في القرآن الكريم

المطلب الثالث: ورود المفردة القرآنية " سنة " في القرآن

المبحث الثالث: الصراط.

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الصراط

المطلب الثاني: مشتقات كلمة الصراط في القرآن الكريم

المطلب الثالث: ورود المفردة القرآنية صراط في القرآن الكريم

المبحث الرابع: المنهاج.

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم المنهاج

المطلب الثاني: ورود المفردة القرآنية منهاج في القرآن الكريم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس: النجدان.

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم النجدين

المطلب الثاني: ورود المفردة القرآنية النجدان في القرآن الكريم

المبحث السادس: علاقة الطريق بنظائرها.

وفيـــه:

العلاقة الأولى: علاقة توضيح المعنى

العلاقة الثانية: علاقة تسمية وصفة

العلاقة الثالثة: علاقة الاستخدام لكل لفظة ونظير

العلاقة الرابعة: علاقة الاتفاق والاختلاف في المعنى

الفصـــل الثالث

الإعجاز الصوتي وأثره على التفسير

ويتكون من تمهيد ومبحثين:

المبحث الأول: الكلمة القرآنية والقيمة البلاغية.

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم الكلمة

المطلب الثاني: الفرق بين كلام البشر والكلمة القرآنية

المبحث الثاني: أصوات وصفات حروف الكلمة وأثرها على التفسير

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: المناسبة بين الطريق ونظائرها وبين الآيات الواردة فيها وعلاقتها بالمكي والمدني

المطلب الثاني: أثر بنية وصفات حروف الطريق ونظائرها على المعنى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

طرق الدعوة بين الأبرار والفجار في القرآن الكريم

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: طرق أولى العزم من الرسل.

ويتكون من خمسة مطالب:

المطلب الأول: طريقة نوح عليه السلام

المطلب الثاني: طريقة إبراهيم عليه السلام

المطلب الثالث: طريقة موسى عليه السلام

المطلب الرابع: طريقة عيسى عليه السلام

المطلب الخامس: طريقة محمد ﷺ

المبحث الثاني: طرق الأعداء في الصد عن سبيل الله.

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: طريقة أهل الكتاب

المطلب الثاني: طريقة المنافقين

المطلب الثالث: طريقة المشركين

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج في البحث والتوصيات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

يقول الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ** ﴾[1]، إقراراً بالفضل والعرفان، ورداً بالمعروف إلى أهله من غير نقصان ولا نكران، أحمد الله الحنان المنان، أن أكرمني ويسر لي إتمام هذا البحث، فالشكر له وحده أولاً وأخيراً، وأتقدم بالشكر إلى **شيخي وأستاذي الدكتور الفاضل زكريا إبراهيم الزميلي**، الذي تكرم وتفضل عليَّ بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وقد أعطاني من وقته الثمين، لقراءة الرسالة، وإسداء التوجيهات النافعة، وصبر عليَّ، وذلَّل لي المصاعب، ويسر لي المتاعب، حتى يخرج البحث على هذا الوجه، فالله أسأل أن يجزل له العطيَّة، وينفع به البريَّة، وأن يبارك في علمه وعمله، وأن يجعله ذخراً للإسلام والمسلمين.

كما وأتوجه بالشكر والتقدير لأستاذيَّ الكريمين عضوي لجنة المناقشة، اللذين تفضلا وقبلا مناقشة هذا البحث، لإثرائه بعلمهما الغزير، وتصويب ما فيه من زلل وتقصير:

فضيلة الدكتور: عبد السلام حمدان اللوح حفظه الله.

وفضيلة الدكتور: محمود هاشم عنبر حفظه الله.

فجزاهما الله عني خير الجزاء، وأبعد عنهما كل عناء، وأجزل لهما العطاء، وحفظهما من كل داء.

كما وأتوجه بالشكر والعرفان إلى جميع أساتذتي الكرام في كلية أصول الدين، وأخص بالذكر منهم: الدكتور نسيم ياسين، والدكتور رياض قاسم، والدكتور عبد الكريم الدهشان، والدكتور وليد العامودي، والدكتور مروان أبو راس، والدكتور محمد بخيت، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

كما وأتوجه بالشكر والعرفان لهذا الصرح الذي أسأل الله أن يحفظه من كل كيد، إلى الجامعة الإسلامية التي هيأت لي المناخ العلمي حتى وصلت إلى هذه المرحلة.

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى عمادة المكتبات وأخص بالذكر الإخوة العاملين في المكتبة المركزية وقاعة التخريج على ما يقدمونه من مساعدة وتسهيلات لطلاب العلم، فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

ولا يزال الشكر متواصلاً إلى الوزارة التي احتضنتني فكنت واحداً من موظفيها في خدمة دين الله وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، وأخص بالذكر منها معالي وزير الأوقاف سماحة الشيخ الدكتور يوسف جمعة سلامة حفظه الله، وكذلك أخص بالذكر مدير أوقاف غزة السيد كمال

---

(1) سورة النمل: من الآية (40).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصوري حفظه الله، ولا أنسى كذلك الأخ الفاضل رئيس قسم تحفيظ القرآن السيد عدنان عابد على ما قدموه لي من تسهيلات أثناء الدراسة وإعداد الرسالة.

كما وأتوجه بالشكر لكل من مد لي يد العون وقدم لي معروفاً حتى أتمكن من إنهاء هذه الرسالة، وأخص بالذكر:

والدي الحبيب . يرحمه الله . الذي غرس في قلبي حب العلم، وحثني على تعلم العلم الشرعي، وكان يفخر بانتمائي إلى هذه الجامعة المباركة.

والدتي الحبيبة أمي الغالية . يرحمها الله . التي كانت أول من شجعني على إكمال دراستي العليا، ودفعت لي أول رسوم للالتحاق ببرنامج الماجستير، وكانت تمدني بالدعاء، والعطاء.

جدتي الحبيبة . يرحمها الله . التي كانت تكثر من الدعاء لي وتقول: أسعدك الله سعادة من غير شقاء؛ فالله أسأل أن يرحمهم ويسكنهم العلا من الجنة، وينوِّر مضاجعهم ويبرِّد مراقدهم.

كما وأشكر زوجتي الغالية أم أحمد التي قدمت لي يد العون مادياً ومعنوياً، وسهرت بجانبي تعينني وتشجعني، وصبرت عليَّ طوال إعداد البحث، فجزاها الله عني كل خير.

كما وأشكر أخوي الحبيبين هاني وعيسى اللذين كانا بمثابة الأب، فأفاضا عليَّ من حنانهما وعطفهما ورعايتهما ما يعوِّضني عن شيء من حنان الأب، الذي ابتليت بفقده في ريعان شبابي.

ولا أنسى توأم الروح والجسد أخوي الحبيبين أشرف ومحمد، رفيقي الطفولة والشباب اللذين أسأل الله تعالى أن يجمعني وإياهم في دار كرامته مع حبيبنا محمد ﷺ.

كما وأشكر أخواتي العزيزات أم بسام رحمها الله وغفر لها، وأم أحمد التي غرست في قلبي الأدب وحب العلم، وأم أيمن، وأم محمود، وأم محمد، اللواتي ما بخلن عليَّ بالدعاء، وتقديم المساعدة، فجزاهن الله عني خير الجزاء.

كما وأشكر الأخ والحبيب والصاحب أبا عبد الله محمود ناهض عجور على الجهد الذي بذله من أجلي في طباعة هذا البحث وإخراجه على هذا الوجه، فله مني جزيل الشكر.

كما وأشكر العم العزيز أبا حازم الشرفا، وزوجته العزيزة أم حازم على ما قدماه لي من مساعدة وعون، فبارك الله فيهما.

كما وأتقدم بالشكر للأخ العزيز وابن الخالة الأستاذ: نصر مراد على تفضله بمراجعة هذا البحث لغوياً، وإملائياً، وإعطائه من وقته الثمين على الرغم من كثرة المشاغل والأعباء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما وأتقدم بالشكر لإخواني في أسرة مسجد أبي حصيرة على دعائهم وتشجيعهم لي، وأخص بالذكر منهم: الشيخ الحبيب عماد حمتو، والأخ الفاضل ناهض أبو حصيرة (أبا إبراهيم)، والأخ أبا داود السوافيري، والأخ أبا طلال رمضان أبو حصيرة.

وختاماً: لا يسعني أن أقول إلا كما قال ابن القيم رحمه الله[1]:

[والمرغوب إلى من يقف على هذا البحث، أن يعذر صاحبه، فإنه علَّقه في حال كرب في وطنه، وألم في نفسه، فما عسى أن يبلغ خاطره المكدود، وسعيه المجهود، مع بضاعته المزجاة، التي حقيق بحاملها أن يقال فيه: تسمع بالمُعَيْدِيِّ خير من أن تراه، وها هو قد نصب نفسه هدفاً لسهام الراشقين، وغرضاً لأسِنَّة الطاعنين، فلقارئه غنمه، وعلى مؤلفه غرمه، وهذه بضاعته تُعرض عليك، ومولیته تُهدى إليك، فإن صادفت كفؤاً كريماً لها، لن تعدم منه إمساكاً بمعروف، أو تسريحاً بإحسان، وإن صادفت غيره، فالله تعالى المستعان، وعليه التكلان؛ وقد رضي من مهرها بدعوة خالصة إن وافقت قبولاً، واستحساناً، وبردِّ جميل إن كان حظها احتقاراً، واستهجاناً؛ والمنصف يهب خطأ المخطىء لإصابته، وسيئاته لحسناته، فهذه سنة الله في عباده جزاءً، وثواباً، ومن ذا الذي يكون قوله كله سديداً، وعمله كله صواباً، وهل ذلك إلا المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، ونطقه وحي يوحى، فما صح عنه، فهو نقل مصدق عن قائل معصوم، وما جاء عن غيره، فثبوت الأمرين فيه معدوم، فإن صح النقل لم يكن القائل معصوماً، وإن لم يصح، لم يكن وصوله إليه معلوماً].

وصلى الله على حبيبنا محمد
وعلى آله وأصحابه أجمعين

(1) روضة المحبين: ابن القيم (ص: 21، 22)، مع تغيير بسيط في بعض العبارات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصـــل الأول

الطريق: مفهومه، وروده، أنواعه، صفاته، أحكامه

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الطريق ووروده في القرآن الكريم.

المبحث الثـــاني: أنواع الطريق وصفاته.

المبحث الثـــالث: أحكام الطريق في ضوء القرآن الكريم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

مفهوم الطريق ،وروده في القرآن الكريم

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الطريق في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: الطريق واشتقاقاتها في القرآن الكريم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

تعريف الطريق في اللغة، والاصطلاح

أولاً: تعريف الطريق في اللغة:

للطريق في اللغة عدة معانٍ منها:

1. السبيل[1].
2. السبيل المطروق[2].
3. السبيل الذي يُطرق بالأرجل، أي يُضرب[3].
4. كل أخدود من أرض[4]، والأخدود شق في الأرض مستطيل[5].
5. الممر[6].

والطريق يذكَّر ويؤنَّث، فتقول: الطريق الأعظم، والطريق العظمى[7]، وظاهر كلمة الطريق أن التذكير هو الأصل، والتأنيث مرجوح؛ والصواب العكس[8]، ولقد وردت هاتان الصيغتان في حديث النبي ﷺ حيث قال: " **إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ** "، فقالوا: ما لَنا بُدّ، إنما هي مَجالسُنا نتحدّثُ فيها، قال: " **فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَى المَجَالِسِ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا** "، قالوا: وما حقّ الطريقِ؟ قال: " **غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلامِ، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ** "[9].

في هذا الحديث جاءت بصيغة التأنيث، وهذه رواية الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ أما صيغة التذكير، ففي رواية الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ حيث قال رسول الله ﷺ: " **إِيّاكُمْ وَالْجُلُوسَ**

---

(1) تاج العروس: الزبيدي (430/6)، تهذيب الألفاظ: السكيت (ص: 469)، لسان العرب: ابن منظور (220/10)، مختار الصحاح: الرازي (ص: 391)، انظر مادة طرق.

(2) بصائر ذوي التمييز: الفيروزآبادي (504/3).

(3) المفردات: الراغب (ص: 312).

(4) كتاب العين: الفراهيدي (97/5).

(5) لسان العرب: ابن منظور (161/3).

(6) أساس البلاغة: الزمخشري (ص: 279).

(7) تهذيب الألفاظ: السكيت (ص: 469)، لسان العرب: ابن منظور (220/10)، مختار الصحاح: الرازي (ص: 391).

(8) تاج العروس: الزبيدي (430/6).

(9) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب المظالم والغصب، باب أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعدات 870/2 ح 2333).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بِالطُّرُقَاتِ "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ مَا لَنَا بُدّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدّثُ فِيهَا، قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: " **إِذَا أَبَيْتُمْ إِلا الْمَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطّرِيقَ حَقّهُ** "، قَالُوا: وَمَا حَقّهُ؟ قَالَ: " **غَضّ الْبَصَرِ، وَكَفّ الأَذَى، وَرَدّ السّلاَمِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ** "[1].

وتُذكَّر الطريق في لغة نجد، وتؤنَّث في لغة الحجاز[2]، وتجمع الطريق على طرق، وأطرق، وأطرقاء، وأطرقة[3]، وقد يُجمع على طرائق[4]، وجمع الجمع: طرقات[5].

ثانياً: تعريف الطريق في الاصطلاح:

أولاً: تعريف الطريق اصطلاحاً عند الأقدمين:

1. الطريق عند المفسرين:

ذكر الراغب[6]: أن الطريق هو " كل مسلك يسلكه الإنسان في فعلٍ، محموداً كان أو مذموماً "[7].

2. الطريق عند المتكلمين والأصوليين:

" هو الذي يمكن التوصُّل بصحيح النظر فيه إلى المطلوب "[8].

3. الطريق عند أبي البقاء الكفويّ[9]:

" كل ما يطرقه طارق، معتاداً كان أو غير معتاد، فهو الطريق "[10].

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب السلام، باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام 1704/4).

(2) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً: أبو جيب (ص: 228).

(3) تاج العروس: الزبيدي (430/6)، لسان العرب: ابن منظور (220/10)، مختار الصحاح: الرازي (ص: 391).

(4) القاموس المحيط: الفيروز آبادي (257/3).

(5) بصائر ذوي التمييز: الفيروز آبادي (504/3)، تاج العروس: الزبيدي (430/6)، لسان العرب: ابن منظور (220/10).

(6) هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني، المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء، العلماء، من أهل أصبهان، سكن بغداد، واشتهر حتى كان يُقرن بالإمام الغزالي، من كتبه: محاضرات الأدباء، جامع التفاسير، المفردات في غريب القرآن، حل متشابهات القرآن. انظر: الأعلام للزركلي (255/2).

(7) المفردات: الراغب الأصبهاني (ص: 312).

(8) التعريفات: الجرجاني (ص: 160).

(9) هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء، صاحب الكليات، كان من قضاة الأحناف، عاش عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس وبغداد، وعاد إلى استنبول، ودفن في تربة خالد. انظر: الأعلام للزركلي (28/2).

(10) الكليات: الكفوي (ص: 581).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً الطريق في اصطلاح المعاصرين:

1. الممر يطرقه الناس، ويسلكونه لقضاء مصالحهم[1].

2. شريط أرضي به مسارات معدَّة لحركة السيارات وغيرها، من مركبات تتحرك على عجلات[2].

3. الممر الواسع الممتد أوسع من الشارع[3].

أقول:

من خلال استعراض معنى الطريق عند الأقدمين والمعاصرين، يرى الباحث أن بعض التعريفات اشتملت على المعنى المادي للطريق فقط، والبعض الآخر على المعنى المعنوي فقط؛ فتعريف الطريق عند المتكلمين والأصوليين اشتمل على المعنى المعنوي فقط، إذ يختص هذا التعريف بطريقة الوصول للحقيقة عن طريق النظر والتفكر.

أما عند أبي البقاء الكفويّ، فهو يشتمل على المعنى المادي فقط، وهذا غير كافٍ، ويحتاج إلى تفسير، ونفس الأمر عند المعاصرين، فقد اشتمل على المعنى الماديّ فقط، وهو غير كاف، فالتعريف الثاني حصر الطريق لحركة السيارات، ومركبات تتحرك على عجلات، وأغفل الإنسان والحيوان، وقصر الطريق على الطريق الأرضي، وأغفل الطريق المائي والجوي، حيث هناك المياه الإقليمية والدولية، وهناك المجال الجوي، وكلها طرق تختص بالسفن والطائرات.

الرأي الراجح:

ومن خلال الدراسة لتلك التعريفات، تبين أن الرأي الراجح هو ما قاله الإمام الراغب الأصفهاني رحمه الله: أن الطريق " كل مسلك يسلكه الإنسان في فعلٍ، محموداً كان أو مذموماً ".

وسبب الترجيح: أن التعريف اشتمل على المعنيين، الحقيقي والمعنوي للفظة الطريق، وذلك باستخدامه للفظة مسلك، وهذه اللفظة تُستخدم في حال كون الطريق حقيقية (برية، مائية، جوية)، وقد ذكر ابن منظور في تعريف طريق الظهر قال: "... وطريق الظهر طريق البر، وذلك حين يكون فيه مسلك في البر، ومسلك في البحر.."[4].

---

(1) الإفصاح في فقه اللغة: مجموعة علماء (290/1).

(2) الموسوعة العربية العالمية (595/15).

(3) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً: أبو جيب (ص: 228).

(4) لسان العرب: ابن منظور (523/4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويُفهم من كتاب الله ﷻ استخدام مسلك جوي، وذلك حين أوحى الله عز وجل للنحل بقوله: ﴿ **ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[1].

وإنه من المعلوم أنَّ النحل من الحشرات الطائرة، ومسلكها وطريقها الهواء والجو، حيث تتنقل بين الأزهار والأشجار؛ وقد ذكر الطبري .رحمه الله .[2] في تفسيره لهذه الآية: "... يقول تعالى ذكره: ﴿ **ثُمَّ كُلِي** ﴾ أيتها النحل من ﴿ **الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ** ﴾، يقول: فاسلكي طرق ربك ﴿ **ذُلُلاً** ﴾، يقول: مذللة لك، والذلل جمع ذلول.."[3].

واستخدمت لفظة مسلك جوي في هذه الأيام بعد اكتشاف الطائرات، فيقال: المسلك الجوي، والمجال الجوي؛ هذا المعنى الحقيقي لهذه الكلمة.

أما من الجانب المعنوي لهذه اللفظة: فقد جاءت كلمة المسلك بمعنى المقصد والمذهب[4]، وهذه المعاني تُستخدم في النواحي المعنوية، كالقول: هذا مذهب المؤلِّف في تأليف كتابه، ومقصده، أو المذهب الحنفي، والمذهب الشافعي.

---

(1) سورة النحل: الآية (69).

(2) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين، ولد بآمل سنة أربع وعشرين ومائتين، ومات سنة عشر وثلاثمائة، له التصانيف العظيمة، منها تفسير القرآن، وهو من أجل التفاسير، لم يُؤلف مثله. انظر: طبقات المفسرين: السيوطي (ص: 82، 83)، طبقات المفسرين: الداوودي (106/2، 107).

(1) جامع البيان: الطبري (139/14).

(4) الغريب للخطابي (245/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

الطريق واشتقاقاتها في القرآن الكريم

إن الناظر في القرآن الكريم يجد أن كلمة الطريق لم ترد معرَّفة بهذه الصيغة مطلقاً، بل وردت بصيغة النكرة[1]، مجردةً من ال التعريف " طريق ".

وقد وردت لفظة طريق ومشتقاتها في القرآن إحدى عشرة مرة، وذلك حسب الجدول التالي:

رقم	الكلمة	عدد السور	المكية	المدنية	مثال	التكرار
1	الطارق	1	2	/	وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ	2
2	الطريقة	1	1	/	وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ	1
3	بطريقتكم	1	1	/	وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى	1
4	طرائق	2	2	/	كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا	2
5	طريق	2	1	1	يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ	2
6	طريقاً	2	1	1	وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا	2
7	طريقة	1	1	/	إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا	1

وقد وردت ألفاظ تحمل معنى الطريق: كالسبيل، والسنة، والصراط، وغيرها، وسأتناولها لاحقاً إن شاء الله تعالى.

وبالتأمل في اشتقاقات الطريق نجد أنها جاءت:

1. مرةً على وزن اسم الفاعل، كلفظة الطارق.
2. ومرةً على وزن فعيل، كلفظة طريق، وهي بصيغة الإفراد.
3. ومرةً جاءت مصدر، كلفظة طريقاً.
4. ومرةً بصيغة الجمع، كلفظة طرائق.
5. ومرة بصيغة المؤنث، كلفظة الطريقة.
6. ومرة معرفة بأل كالطريقة، وبالإضافة كطريقتكم.
7. ومرة منكَّرة، كلفظة طريقاً.

ولكل لفظة من هذه الألفاظ معنىً ومدلول خاص بها، له أثره، لاحتماله المعنى المادي والمعنوي معاً.

معنى الطريق واشتقاقاتها:

(1) النكرة تفيد الشمول والعموم، انظر شرح القواعد الحسان: السعدي (ص: 17).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1. **الطارق:** وهي بمعنى السالك للطريق، لكن خُصَّ في العرف بالآتي ليلاً، فقيل: طرق أهله طروقاً،[1]، قال تعالى: ﴿ **وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ** ﴾[2].

والطارق في الأصل: اسم فاعل من طرق طروقاً إذا جاء ليلاً، وإنما سُمي قاصد الليل طارقاً؛ لاحتياجه إلى طرق الباب غالباً[3]، وما أتاك ليلاً، فهو طارق[4].

2. **طريق، طريقًا:** ولها معنيان، معنى مادي ومعنى معنوي:

المعنى المادي: السبيل الذي يُطرق بالأرجل، أي يضرب[5].

المعنى المعنوي: الدين[6]، والمنهج[7].

3. **طرائق:** جاءت بمعنى مسالك شتى، مسلمين وكافرين؛ **والطرائق** جمع طريقة، وهي طريقة الرجل ومذهبه[8].

4. **الطريقة:** جاءت بمعنى ملَّة الإسلام[9].

وعليه، فالمتأمل في هذه الألفاظ، والكلمات القرآنية يجد أنها اشتملت على أركان الطريق المادية والمعنوية، فالطريق تحتاج سالكاً لها، وتحتاج طريقة ينهجها، سواء كانت طريقاً مستقيمة أو معوجة، وسواء كانت بليلٍ أو نهارٍ، **لذا فالطريق** إما طريق خير، وإما طريق شر، فهي تحتاج إلى جهد ومشقة لنسلك المستقيم منها، ونتجنب المعوج.

---

(1) بصائر ذوي التمييز: الفيروز آبادي (504/3).

(2) سورة الطارق: الآيتان (1، 2).

(3) تفسير أبي السعود: أبو السعود (140/9).

(4) معالم التنزيل: البغوي (472/4).

(5) المفردات: الراغب الأصفهاني (ص: 306).

(6) جامع البيان: الطبري (371/4).

(7) تفسير الشعراوي: الشعراوي (2856/5).

(8) جامع البيان: الطبري (266/12، 267)، بتصرف.

(9) روح المعاني: الألوسي (90/29).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

أنواع الطريق وصفاته

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: أنواع الطريق.

المطلب الثاني: صفات الطريق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

أنواع الطريق

يتضح مما سبق أن كلمة الطريق لم ترد في كتاب الله ﷻ معرَّفة بأل التعريف، لكنها وردت مجردة منها؛ لأن التنكير يفيد الشمول والعموم؛ فلفظة الطريق جاءت نكرة لتشمل كل طريق، ولقد جاءت وهي تحمل المعنى المادي والمعنوي، وهناك كلمات ونظائر أخرى لها تحمل نفس المعنى، وسوف أتناول هذه النظائر في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

وبعد النظر في هذه الكلمات والنظائر، يمكن التعرف على أنواع الطريق.

أولاً: الطريق المادي: ويتضح هذا المعنى:

أ. في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخَافُ دَرَكاً وَلا تَخْشَى** ﴾[1].

قال الطبري .رحمه الله .: " ﴿ **فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً** ﴾، يقول: فاتخذ لهم في البحر طريقاً يابساً، واليبس يجمع أيباس، تقول: وقفوا في أيباس من الأرض..."[2].

فكلمة ﴿ **طَرِيقاً** ﴾ وُصفت باليبوسة، وكما فسرها الطبري .رحمه الله . أيباس من الأرض، فكلمة الأرض أشارت إلى أن الطريق المقصود هنا الطريق المادي؛ والذي يدلل على ذلك: أنها كانت طريقاً ما كان فيه وحل ولا نداوة، فضلاً عن الماء[3]؛ وذلك بمعنى أنها طريق صالحة للسير، ولا يوجد بها أي معوقات، فهي يابسة وخالية من الوحل الذي قد يعوق المسير، ويراد بكلمة طريقاً للجنس[4].

ومن خلال هذه الأقوال والتفاسير، يتبين أن الطريق المادي الذي يُقصد هو ما اجتمعت فيه هذه الأمور:

الأرض، يبوسة الأرض، وذلك بخلوها من الوحل والطين، فكل ذلك يدلل على أن الطريق المراد هو الطريق المادي البحت.

ب. في قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[5].

---

(1) سورة طه: الآية (77).

(2) جامع البيان: الطبري (438/8).

(3) التفسير الكبير: الرازي (92/22).

(4) البحر المحيط: أبو حيان (171/12).

(5) سورة الملك: الآية (22).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الطبري . رحمه الله .: "... يقول الله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ** ﴾ لا يبصر ما بين يديه وعن يمينه وشماله، ﴿ **أَهْدَى** ﴾ أشد استقامة على الطريق وأهدى له ﴿ **أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً** ﴾ مشيُ بني آدم على قدميه ﴿ **عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ يقول: على طريق لا اعوجاج فيه "[1].

فكلمة صراط تحمل المعنى المادي، التي هي بمعنى طريق؛ لأنه حدث فيها المشي، والمشي للإنسان على طريق مادي ملموس.

ثانياً: الطريق المعنوي:

بعد التعرف على معنى الطريق المادي لا بد من التعرف على معنى الطريق المعنوي؛ لما فيه من تعدد للمعاني، وهذا التعدد يعرف بباب الوجوه والنظائر، **والفائدة من ذلك** أنه يؤدي إلى تعدد التفاسير.

والكلمات التي لها صلة بالجانب المعنوي للفظة الطريق: (**طريق، طريقاً**)، فقد وردت هذه الألفاظ في آيات متعددة من القرآن الكريم وهي:

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً (168) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً** ﴾[2].

﴿ **قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[3].

فكلمتا (**طريق وطريقاً**) جاء في تفسيرهما عدة معاني منها:

1. **الدِّين:** يقول الإمام الطبري . رحمه الله .: "... ولم يكن الله تعالى ذكره ليهدي هؤلاء الذين كفروا وظلموا.. وإنما كنى بذكر الطريق عن الدين، وإنما معنى الكلام: لم يكن الله ليوفقهم للإسلام، ولكنه يخذلهم عنه إلى طريق جهنم، وهو الكفر..."[4].

إذن: **طريقاً** قُصد بها الإسلام، **وطريق** قُصد بها الكفر.

2. **العمل الصالح:** قال الألوسي . رحمه الله .[5] في تفسيره، وذلك نقلاً عن

---

(1) جامع البيان: الطبري (171/12).

(2) سورة النساء: الآيتان (168، 169).

(3) سورة الأحقاف: الآية (30).

(4) جامع البيان: الطبري (371/4).

(5) هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء مفسر، ومحدث، وأديب من المجددين، المجددين، من أهل بغداد، ولد سنة 1217 هـ، كان سلفي الاعتقاد، من كتبه روح المعاني، ودقائق التفسير، توفي سنة 1270 هـ. انظر: الأعلام للزركلي (176/7).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السمين[1]: ".. ولعدم استعدادهم للهداية إلى الحق والأعمال الصالحة، التي هي طريق الجنة...".

وجوَّز السمين أن يراد بالطريق شيء مخصوص، وهو العمل الصالح والعمل السيئ، إذن **فطريقاً** جاءت بمعنى العمل الصالح، وطريق جاءت بمعنى العمل السيئ[2].

3. **المنهج:** يقول الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ[3]: " والحديث هنا يبدأ عن الكفر والظلم ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا** ﴾، والكفر هو ستر الوجود الأعلى، والظلم معناه أنهم عاشوا بمنهج بشريّ لا يؤدي لهم متاعاً، ولا سعادةً في حياتهم الدنيا، وبذلك يكونون قد ظلموا أنفسهم، ومن بعد ذلك يقودهم هذا المنهج إلى عذاب الآخرة..."[4].

مما سبق يظهر:

أن الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ يفسر الطريق في هذه الآيات بالمنهج، وعدم هدايتهم للطريق هو عدم هدايتهم لمنهج الله ﷻ الذي ينير لهم الطريق.

فهذه بعض الوجوه والمعاني للفظتي (**طريقاً، وطريق**)، ولكنهما لا يحملان المعنى الحقيقي لهما، بل المعنى المجازي، حيث فُسِّرَتا بالدين، وبالعمل الصالح، والمنهج؛ والاختلاف هنا اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، فكل هذه المعاني لا تعارض بينها، فعندما نجد الطبري ـ رحمه الله ـ يفسر الطريق بالدين، والألوسي ـ رحمه الله ـ يفسره بالعمل الصالح، والشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ يفسره بالمنهج، فلا تعارض في ذلك؛ لأن الدين يدعو إلى العمل الصالح، والعمل الصالح نابع من منهج، وهذا المنهج رباني، وليس بشريّ، فإذا سار الإنسان على المنهج الرباني والتزم به، فسيؤدي ذلك إلى طريق واحد، هو طريق الجنة؛ أما إن حاد عنه وانحرف لمنهج بشري فيه الخطأ والزلل، فسيبتعد كل البعد عن العمل الصالح، ويبتعد عن الدين، فيودي به ذلك إلى طريق جهنم، والعياذ بالله.

---

(1) هو أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي السمين، صاحب الإعراب المشهور، شهاب الدين، نزيل القاهرة، قال ابن حجر: كان ماهراً في النحو، لازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه، وله تفسير القرآن وإعرابه، توفي سنة 756 هـ. طبقات المفسرين: الأدنروي (287/1).

(2) روح المعاني: الألوسي (22/6، 23)، تفسير أبي السعود: أبو السعود (258/2).

(3) هو السيد الشريف محمد بن السيد متولي الشعراوي، أبو سامي، الحسيني نسباً، ولد في الخامس عشر من ابريل سنة 1911م، حصل على درجة العالمية في اللغة العربية بالأزهر الشريف، ألف كتاباً في تفسير القرآن (خواطر حول القرآن الكريم)، توفي في فجر الأربعاء الثاني والعشرين من صفر 1419 هـ، الموافق للسابع عشر من يونيو 1998م. منهج الشعراوي في التفسير: إبراهيم صيدم (ص: 40– 46)، بتصرف.

(4) تفسر الشعراوي: الشعراوي (2856/5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك لفظة طريق في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[1].

جاء فيها أكثر من معنى: كالإسلام[2]، والشرائع، والأعمال الصالحة[3] .

ولا تعارض في ذلك؛ لأن الإسلام يتضمن الشرائع، والأعمال الصالحة من الإسلام، والإسلام يأمرنا بالأعمال الصالحة، وبالتالي فإنه من الملاحظ أن لفظتي **(طريقاً، وطريق)** عندما يقرأهما القارئ لأول مرة، يظن أنها الطريق المادي المعروفة لديه، ولكنها تحمل معانٍ أخرى، وهي المعاني المعنوية التي تؤدي إلى إيضاح المعنى وتفسيره.

(1) سورة الأحقاف: الآية (30).

(2) محاسن التأويل: القاسمي (5357/15)، جامع البيان: الطبري (300/11).

(3) تفسير أبي السعود: أبو السعود (88/8).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

صفات الطريق

بعد التعرف على معنى الطريق وأنواعها كان لا بد من التعرف على صفاتها؛ وبالتأمل لكتاب الله ﷻ نجد أن للطريق صفتين رئيسيتين: إما الاستقامة، أو الاعوجاج، ولكل منهما أتباع.

أولاً: الطريق المستقيم وأتباعه:

لقد تواترت الآيات بوصف الطريق بالاستقامة، وكان من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[1].

ولم يقتصر الوصف بالاستقامة على لفظة الطريق، بل وردت ألفاظ أخرى بمعنى الطريق منها لفظة **(الصراط، صراط)** كما في قوله تعالى:

1. ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[2]، ﴿ **وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[3].
2. ﴿ **إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** ﴾[4].

ومما يدلل على أن الصراط بمعنى الطريق: ما قاله الإمام الطبري . رحمه الله .: ".. أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً أن ﴿ **الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ هو الطريق الواضح البيِّن الذي لا اعوجاج فيه .." [5].

وقد وردت وجوه أخرى لمعنى الصراط، منها: كتاب الله، والإسلام؛ وهذا يؤكد ما أشرت إليه سابقاً من أن الطريق لها معنيان مادي، ومعنوي.

أهمية سلوك الطريق المستقيم:

لسلوك الطريق المستقيم أهمية عظمى، وتظهر هذه الأهمية في النقاط التالية:

1. إن استقامة الطريق استقامة للحياة، فالحياة لا تخلو من الطريق.
2. تحيق رضا الله ﷻ في الحياة الدنيا والآخرة، وذلك بسلوك الطريق المستقيم.
3. والاستقامة لها ثمراتها في شتى مناحي الحياة، كسعة الرزق، وتفريج الكربات،

---

(1) سورة الأحقاف: الآية (30).
(2) سورة الفاتحة: الآية (6).
(3) سورة الصافات: الآية (118).
(4) سورة آل عمران: الآية (51).
(5) جامع البيان: الطبري (1/103-105).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والنصر على الأعداء، لذلك حثّ الرسول ﷺ على الاستقامة حيث قال في الحديث الذي يرويه سُفْيَانَ بنِ عبدِ الله الثَّقَفِيّ رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، حَدّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قال: " **قُلْ: رَبّي الله ثُمّ اسْتَقِمْ** ". قال: قُلْتُ: يا رسولَ الله، مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمّ قَالَ: " **هذا** "[1].

جاء في شرح الحديث: ".. هو لفظ جامع لجميع الأوامر والنواهي، فإنه لو ترك أمراً، أو فعل منهياً، فقد عدل عن الطريق المستقيمة حتى يتوب "[2].

أتباع الطريق المستقيم:

إن اتباع الطريق المستقيم هو فضل واصطفاء من الله ﷻ، ومَن يسلك ذلك الطريق هم أفضل خلق الله وهم: الأنبياء، والصدّيقون، والشهداء، والصالحون؛ وذلك يُفهم من سياق الآيات: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ** ﴾[3].

والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في سورة النساء، حيث قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً** ﴾[4]..[5].

والأنبياء والرسل هم خير خلق الله تعالى، وصفوته، وكلهم هداهم الله ﷻ لصراطه المستقيم، ودينه القويم، ولا غرو في ذلك فالنبوة والرسالة اصطفاء من الله، قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾[6].

ولقد تواترت الآيات بذكر الأنبياء والرسل الذين هداهم الله إلى صراطه المستقيم، ولكن القرآن الكريم خصَّ بعضهم بالذكر دون غيرهم، وهم:

أولاً: محمد ﷺ: فقد جاء ذلك في أكثر من آية منها:

1. ﴿ **قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[7].
2. ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[1].

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه (كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان 607/4 ح 2410)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(2) تحفة الأحوذي: المباركفوري (116/7).

(3) سورة الفاتحة: الآيتان (6، 7).

(4) سورة النساء: الآية (69).

(5) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (29/1).

(6) سورة الحج: الآية (75).

(7) سورة الأنعام: الآية (161).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3. ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[2].

4. ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ﴾[3].

إن المتدبِّر لهذه الآيات يجد أن الله ﷻ يبين على لسان رسوله محمد ﷺ كما في الآيات السابقة من سورة الأنعام، أنه ﷺ هداه الله ﷻ وأرشده إلى الطريق المستقيم، وهو طريق مَن قبله من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة السلام، وحثّه إلى دعوة أصحابه وأمته لسلوك ذلك الطريق؛ لما فيه من خير وفضل؛ لأن ثمرة سلوك الطريق المستقيم إتمام النعمة، ومغفرة الذنوب؛ لقوله تعالى: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ﴾[4].

ثانياً: موسى وهارون عليهما السلام:

ذلك أن الله ﷻ مَنَّ على موسى وهارون عليهما السلام، ونجاهما وقومهما، ونصرهما، وكانت لهما الغلبة، وآتاهما الكتاب المستبين، وهداهما الصراط المستقيم فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[5].

إن المتأمل في هذه الآيات، يجد أن الله سبحانه وتعالى مَنَّ على موسى وهارون عليهما السلام بأن آتاهما النبوة، وجعلهما من المرسلين، ونجاهما وقومهما من بطش فرعون وجنوده، بإغراقهم في البحر، وكان ذلك نصراً لهما، وكانا هما الغالبين؛ وبعد النصر والتمكين آتاهما الله سبحانه وتعالى الكتاب المستبين، وهو التوراة، وفيها العقيدة الصحيحة والشرائع، والأخلاق الحميدة، وكلها سبب في الهداية للطريق المستقيم.

ثالثاً: المؤمنون: قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[6].

---

(1) سورة المؤمنون: الآية (73).
(2) سورة الزخرف: الآية (43).
(3) سورة الفتح: الآية (2).
(4) سورة الفتح: الآية (2).
(5) سورة الصافات: الآيات (114- 118).
(6) سورة آل عمران: الآية (101).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال تعالى: ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً** ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ **وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً** ﴾[3].

هذه الآيات توضح لنا أن المؤمنين من أتباع الصراط المستقيم، وذلك يُفهم من سياق الآيات السابقة، وهي تشمل: الصديقين، والشهداء، والصالحين، فقد قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ﴾[4]، وهي تشمل كذلك الجن المسلم فهم مكلفون مثل الإنس، منهم المؤمن ومنهم الكافر، وسوف يحاسبون كما يحاسب الإنس، لقوله تعالى: ﴿ **سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ** ﴾[5]، والثقلان هما الإنس والجن كما جاء في معظم التفاسير[6].

وأيضاً فإن الرسول ﷺ بعث إليهم كما هو مذكور في سورة الجن، وهي سورة تحمل اسمهم، وتتحدث عنهم وعن أحوالهم، وبيان طرائقهم، فمن آمن منهم يدخل الجنة، ويُفهم من السياق أنهم من المؤمنين، فهم من أتباع الطريق المستقيم؛ لأنهم آمنوا برسول الله ﷺ بعدما سمعوا القرآن كما حكى الله تعالى عنهم: ﴿ **قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[7].

فهؤلاء الأنبياء والرسل والمؤمنون هم أتباع الطريق المستقيم، وهم صفوة الله ﷻ من خلقه هداهم الله سبحانه وتعالى لطريقه المستقيم، فدعوا أقوامهم لسلوكه واتباعه، لما فيه من خير ورشاد، وسبب في الفوز بالجنة والنجاة من النار.

---

(1) سورة الحج: الآية (54).
(2) سورة النساء: الآية (175).
(3) سورة الفتح: الآية (20).
(4) سورة النساء: الآية (69).
(5) سورة الكافرون: الآية (31).
(6) المحرر الوجيز: ابن عطية (230/5).
(7) سورة الأحقاف: الآيتان (30، 31).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: الطريق المعوج وأتباعه:

تعريف المعوج: هو صفة مشتقة من الفعل عوج، **والعوج** هو الانعطاف فيما كان قائماً، فمال، كالرمح والحائط، **والعوج في الأرض** أن لا تستوي، وفي التنزيل: ﴿ **لا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً** ﴾[1]..[2]، وعوج الطريق زيغه، وعوج الدين والخلق، فساده[3].

من خلال هذه التعاريف اللغوية يتبين أن الاعوجاج يكون مادياً ومعنوياً:

فالاعوجاج المادي: يتبين في العوج في الأرض، الذي جاء بمعنى عدم الاستواء.

والاعوجاج المعنوي: يتبين في عوج الطريق، أي زيغه.

إذن فالعوج سواء كان مادياً أو معنوياً، هو ضد الاستقامة والاستواء.

إن أي طريق حادَ عن الاستقامة والاعتدال، سواء كان هذا الحياد عن الطريق المادي، أو المعنوي، فهو طريق معوج مذموم، مذموم أتباعه؛ لأنه يهدي إلى الجحيم، والدال على هذا الطريق هو الشيطان وأتباعه؛ يقول تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[4]، وقال: ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[5].

فمن يسلك هذا الطريق يحلّ عليه غضب الله سبحانه وتعالى، ويكون جزاؤه جهنم؛ لقوله تعالى: ﴿ **قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً** ﴾[6].

ربما يتساءل البعض هل لهذا الطريق المعوج أتباع، ومَن هم أتباعه؟.

نعم لهذا الطريق المعوج أتباع، وأتباعه هم:

1. **اليهود والنصارى وأتباعهم:** لقوله تعالى: ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ** ﴾[7].

قال ابن كثير . رحمه الله .: "... قرأ الجمهور ﴿ **غَيْرِ** ﴾ بالجر على النعت، قال

---

(1) سورة طه: الآية (107).

(2) **العوج** في العصا والجبل ألا يكون مستوياً، **والأمت** أن يغلظ مكان، ويدق مكان. انظر: معاني القرآن: الزجاج (377/3).

(3) لسان العرب: ابن منظور (332/2).

(4) سورة الأعراف: الآية (16).

(5) سورة الحجر: الآية (39).

(6) سورة الإسراء: الآية (63).

(7) سورة الفاتحة: الآية (7).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الزمخشري[1]: وقُرئ بالنصب على الحال، وهي قراءة رسول الله ﷺ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورويت عن ابن كثير، وذو الحال الضمير في عليهم، والعامل أنعمت عليهم ممن تقدم وصفهم ونعتهم، وهم أهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسله، وامتثال أوامره، وترك نواهيه وزواجره، غير صراط المغضوب عليهم، وهم الذين فسدت إرادتهم، فعلموا الحق وعدلوا عنه، ولا صراط الضالين، وهم الذين فقدوا العلم، فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق؛ وأكد الكلام بلا؛ ليدل على أن ثَمَّ مسلكين قاصدين، وهما طريقة اليهود والنصارى..."[2].

فالمسلم عندما يدعو الله ﷻ في صلاته ويطلب منه أن يهديه إلى الصراط والطريق المستقيم، فإنه يطلب من الله ﷻ أن يجنبه الطريق المعوج، الذي هو طريق اليهود والنصارى، لما قامت به تلك الطائفتان من تغيير وتحريف وتبديل لآيات الله ﷻ، ولهم الذراع الطويلة في ذلك.

2. **الظالمون والكافرون:** قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾[3].

يبين الله ﷻ أن الظالمين والكافرين هم أتباع الطريق المعوج في كتابه العزيز، حيث يقول: ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ** ﴾[4].

يقول الإمام الطبري .رحمه الله .: "..يقول تعالى ذكره: وإنك يا محمد ﷺ لتدعو هؤلاء المشركين من قومك إلى دين الإسلام، وهو الطريق القاصد، والصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، والذين لا يصدقون بالبعث بعد الممات وقيام الساعة، ومجازاة الله ﷻ عباده في الدار الآخرة ﴿ **عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ** ﴾، يقول: عن محجة الحق وقصد السبيل، وذلك عن دين الله ﷻ الذي ارتضاه لعباده، لعادِلُون.." [5]، أي بمعنى أنهم عدلوا عن الطريق المستقيم إلى الطريق المعوج.

---

(1) هو محمود بن عمر بن محمد، العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي، النحوي، اللغوي، المتكلم، المعتزلي، المفسر، يلقب بجار الله؛ لأنه جاور بمكة زماناً. انظر: طبقات المفسرين: السيوطي (120/1).

(2) تفسر القرآن العظيم: ابن كثير (30/1-31).

(3) سورة البقرة: الآية (254).

(4) سورة المؤمنون: الآيتان (73، 74).

(5) جامع البيان: الطبري (239/9).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

أحكام الطريق في ضوء القرآن الكريم

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: حكم قطع الطريق . الحرابة .

المطلب الثاني: صور الاعتداء على الطريق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

توطئة

بعد التعرف على معاني الطريق و أنواعها وصفاتها، المستقيم منها والمعوج، وأتباع كل طريق منها، كان لا بد من التعرف على ما يتعلق بها من أحكام؛ وإن المتأمل لآي القرآن يجد أن الأحكام المتعلقة بقطع الطريق والاعتداء عليها، وما يندرج تحتهما، يُفهم من هذه الآيات:

﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[1].

﴿ **وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾[2].

والمتأمل لهذه الآيات يجد شدة العذاب الواقع على قاطع الطريق في الدنيا والآخرة، ويلاحظ الزجر، والنهي عن القعود في الطريق، إذ أن قطع الطريق كان صفة مذمومة لقوم لوط عليه السلام قال تعالى: ﴿ **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾[3].

ولمَّا كان قطع الطريق فيه تخويف، وترهيب للنفس البشرية والمؤمنة . بعد أن مَنَّ الله عز وجل عليها بالأمن والأمان بقوله تعالى: ﴿ **الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ** ﴾[4]. وفيه سلب للأموال العامة والخاصة، وإفسادٍ تقشعر منه الجلود، واغتصاب لمقدرات الناس، وتقطيع للروابط والصلات، فإنني سأبين شيئاً من أحكامه من خلال المطلبين التاليين.

---

(1) سورة المائدة: الآية (33).

(2) سورة الأعراف: الآية (86).

(3) سورة العنكبوت: الآية (29).

(4) سورة قريش: الآية (4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

حكم قطع الطريق ـ الحرابة ـ

أولاً: الحرابة في اللغة:

الحرابة مشتقة من الحرب، وقوم محربة؛ وحاربه محاربة وحراباً[1].

ثانياً: الحرابة في الاصطلاح، وتسمى أيضاً قطع الطريق:

البروز لأخذ المال أو للقتل، أو لإرعاب الآخرين على سبيل المجاهرة والمكابرة، اعتماداً على القوة، مع البعد عن الغوث[2].

وبتعبير آخر: هي خروج طائفة مسلحة في دار الإسلام، لإحداث الفوضى، وسفك الدماء، وسلب الأموال، وهتك الأعراض، وإهلاك الحرث والنسل[3].

ثالثاً: الصلة بين المحارِب وقطع الطريق:

يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[4].

وللتعرف على الصلة بين المحارِب وقطع الطريق يجب التعرف على سبب نزول الآية.

فقد جاء في سبب نزولها: عن أنس ﷺ: أن ناساً من عكل وعرينة[5] قدموا المدينة على النبي ﷺ وتكلموا بالإسلام، فقالوا: يا نبي الله، إنا كنا أهل ضرع، ولم نكن أهل ريف؛ واستوخموا[6] المدينة، فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود[7] وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه، فيشربوا من من ألبانها وأبوالها، فانطلقوا، حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي ﷺ، واستاقوا الذود، فبلغ النبي ﷺ، فبعث الطلب في آثارهم، فأمر بهم فسمروا[8] أعينهم، وقطعوا أيديهم، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم[9].

---

(1) القاموس المحيط: الفيروزآبادي (ص: 69).

(2) بداية المجتهد: ابن رشد (417/4)، المغني: ابن قدامة (406/12).

(3) فقه السنة: السيد سابق (416/2).

(4) سورة المائدة: الآية (33).

(5) **عرينة:** قيل قرى بالمدينة، وعرينة قبيلة من العرب، **عكل:** قبيلة من الرباب، تستحمق ويقولون لمن يستحمق عكلي. انظر: معجم البلدان: الحموي (115/4، 143).

(6) **استوخمنا:** بمعنى استثقلوا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير (163/5).

(7) **الذود من الإبل:** ما بين الثلاث إلى العشر. انظر: مختار الصحاح: الرازي (ص: 131).

(8) **سمروا أعينهم**، أي كحلوها بمسامير محمية، ورواية أخرى: **سمل أعينهم:** نقاها وأذهب ما فيها، وقيل: هما بمعنى واحد. انظر: شرح صحيح مسلم: النووي (155/11).

(9) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب المغازي، باب قصة عكل وعرينة، 1535/4 ح 3956).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسيره: "...ثم اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية، **فقال بعضهم:** نزلت في قوم من أهل الكتاب، كانوا أهل موادعة لرسول الله ﷺ، فنقضوا العهد، وأفسدوا في الأرض، فعرَّف الله نبيه ﷺ الحكم فيهم؛ وذلك عن ابن عباس؛ **قال آخرون:** نزلت في قوم من المشركين؛ **وقال آخرون:** بل نزلت في قوم عرينة وعكل، ارتدوا عن الإسلام، وحاربوا الله ورسوله ﷺ، وقال ذلك قتادة[1] عن أنس رضي الله عنه ..." ثم قال الطبري ـ رحمه الله ـ: " وأولى الأقوال في ذلك عندي أن يقال: أنزل الله هذه الآية على نبيه ﷺ معرِّفة حكمه على من حارب الله ورسوله ﷺ وسعى في الأرض فساداً بعد الذي كان من فعل رسول الله ﷺ بالعرنيين ما فعل "[2].

بعد استعراض الأقوال التي ذُكرت يتبين من سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في قوم مخصوصين، قدموا على رسول الله ﷺ، ولا تعارض مع قول الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ السابق إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[3]، فالآية تشمل المذكورين وغيرهم.

وبعد التعرف على سبب نزول الآيات، والأقوال في ذلك، يبقى التعرف على مفهوم المحارب؛ والمحاربُ التي تجري عليه أحكام قطّاع الطريق هو:

1. ذهب الحنفية إلى أن المحارب الذي تجري عليه أحكام قطاع الطريق: مَن حمل السلاح في صحراء أو برية، وأما في المِصر، فلا يكون قاطعاً؛ لأن المجني عليه يلحقه الغوث[4].
2. وقال المالكية: المحارب عندنا مَن حمل السلاح، وأخافهم في مصر، أو برية[5].
3. وقال الشافعية: من كابر في المصر باللصوصية، كان محارباً، وسواء في ذلك المنازل، والطرق، وديار أهل البادية، والقرى حكمها واحد[6].

---

(1) قتادة بن دعامة، أبو الخطاب السدوسي، وُلد أكمه، حدث عن أنس رضي الله عنه وغيره، قال الإمام أحمد: قتادة عالم عالم بالتفسير، ووصفه بالحفظ وأطنب في ذكره، مات سنة 117 هـ. انظر ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم: الدارقطني (303/1).

(2) جامع البيان: الطبري (546/4 – 549).

(3) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي (63/1).

(4) بدائع الصنائع: الكاساني (93/7)، أحكام القرآن: إلكيا الهراسي (133/3).

(5) بداية المجتهد: ابن رشد (455/3).

(6) أحكام القرآن: إلكيا الهراسي (133/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4. وقال الحنابلة: المحاربون هم الذين يعرضون للناس في الصحراء جهرةً، ليأخذوا أموالهم[1].

فالصلة إذن أن المحارب هو من يقطع الطريق.

رابعاً: حكم قطع الطريق:

بعد التعرف على معنى المحارب عند الأئمة الأربعة . رحمهم الله . نتعرف على حكم قطع الطريق عندهم:

1. حكم قطع الطريق عند الأحناف:

"... وأما حكم قطع الطريق، فله حكمان: **أحدهما** يتعلق بالنفس، **والآخر** يتعلق بالمال، **أما الذي يتعلق بالنفس**، فهو وجوب الحد، والكلام في هذا الحكم في مواضع، في بيان أصل هذا الحكم وفي ....، **قطع الطريق أربعة أنواع: إما** أن يكون بأخذ المال لا غير، **وإما** أن يكون بالقتل لا غير، **وإما** أن يكون بهما جميعاً، **وإما** أن يكون بالتخويف من غير أخذ ولا قتل، **فمن أخذ المال ولم يقتل** قطعت يده ورجله من خلاف، **ومن قتل ولم يأخذ المال** قتل، **ومن أخذ المال وقتل** قال أبو حنيفة ﷺ: الإمام بالخيار إن شاء قطع يده ورجله، ثم قتله أو صلبه، وإن شاء لم يقطعه، وقتله أو صلبه، **وقيل:** إن تفسير القطع عند أبي حنيفة . رحمه الله . هو أن يقطعه الإمام ولا يحسم موضع القطع، بل يتركه حتى يموت، وعندهما . أي أبي يوسف ومحمد . يقتل ولا يقطع؛ **ومن أخاف ولم يأخذ مالاً ولا قتل نفساً** ينفى "[2].

2. حكم قطع الطريق عند المالكية:

قال الإمام مالك . رحمه الله .: إن للإمام أن يقتله إن رأى ذلك، لما يخاف من عونه لأصحابه المسلمين[3]، وقال . رحمه الله . في قاطع الطريق: مخيّر بين الأجزية المذكورة، والأصل فيه قوله ﷻ: ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ** ﴾[4]. فاحتج مالك . رحمه الله . بظاهر الآية، وهو أن الله تبارك تعالى ذكر الأجزية فيها بحرف **أو**، وأنها للتخيير كما في كفارة اليمين[5].

---

(1) العدة في شرح العمدة: المقدسي (ص: 571).

(2) بدائع الصنائع: الكاساني (93/7).

(3) بداية المجتهد: ابن رشد (458/3).

(4) سورة المائدة: من الآية (33).

(5) بدائع الصنائع: الكاساني (93/7).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3. حكم قطع الطريق عند الشافعية:

ذكر الشافعي ـ رحمه الله ـ: بسنده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال في قطّاع الطريق: **إذا قتلوا وأخذوا المال** قتلوا وصلبوا، **وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال** قتلوا ولم يصلبوا، **وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا** قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، **وإذا هربوا** طُلبوا حتى يوجدوا، فتقام عليهم الحدود، **وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالاً** نُفوا من الأرض؛ ثم قال الشافعي ـ رحمه الله ـ: وبهذا نقول، وهو موافق معنى كتاب الله ﷻ، وذلك أن الحدود إنما نزلت فيمن أسلم، فأما أهل الشرك، فلا حدود لهم إلا القتل والسبي والجزية، **واختلاف حدودهم باختلاف أفعالهم** على ما قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ إن شاء الله ﷻ. قال الشافعي ـ رحمه الله ـ: قال الله تعالى: ﴿ **إِلا الذِينَ تَابُواْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ** ﴾ فمن تاب قبل أن يُقدر عليه سقط ـ أي الحد ـ[1].

4. حكم قطع الطريق عند الحنابلة:

قال الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ: "..**فمن قتل منهم وأخذ المال** قُتل وصُلب، حتى يشتهر، ودفع إلى أهله، **ومن قتل ولم يأخذ المال** قُتل ولم يُصلب، **ومن أخذ المال ولم يقتل** قُطعت يده اليمنى ورجله اليسرى في مقام واحد، وحسمتا، ولا يقطع إلا من أخذ ما يُقطع السارق به؛ **ومن أخاف السبيل ولم يقتل ولا أخذ مالاً** نُفي من الأرض، **ومن تاب قبل القدرة عليه** سقطت عنه حدود الله تعالى، وأُخذ بحقوق الآدميين، إلا أن يعفى له عنها[2].

قلت: بعد تأمل أقوال الفقهاء يمكن تلخيص حكم قطع الطريق بالآتي:

1. **القتل:** وذلك إذا قام المحارب بالقتل.
2. **الصلب:** وذلك إذا قام المحارب بأخذ المال والقتل.
3. **تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف:** وذلك إذا قام المحارب بأخذ المال، ولم يقتل.
4. **النفي:** إما على الحقيقة وهو الإخراج من الديار، وإما على المجاز وهو الحبس[3].

خامساً: قطع الطريق، وأثره على المجتمع:

إن الإسلام قد جاء ليغرس معاني الحب والإخاء بين المسلمين، وجعل ذلك أساس قيام مجتمع مترابط، ومتكامل، وأي خلل يحدث فيه يؤدي إلى تفككه وضعفه، فكيف إذا كان الضعف نتيجة قتل، ونهب، وسلب، واغتصاب للأموال، وقطع للطريق؟

---

(1) أحكام القرآن: الشافعي (314/1).

(2) العدة في شرح العمدة: المقدسي (ص: 571 – 573).

(3) الإنصاف: المرداوي (298/10)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد جاء الإسلام بأشد العقوبات لمن يتعدى على حقوق المسلمين، بهدف حفظ وصيانة الأعراض والممتلكات، ولو لاحظنا أن آية الحرابة قد جاءت في سورة المائدة، وهي سورة مدنية[1]، ولاحظنا أنها اشتملت على موضوعات شتّى، لعلمنا أن الرابط بينها جميعاً هو هذا الهدف الأصيل الذي جاء القرآن كله لتحقيقه: إنشاء أمة، وإقامة دولة، وتنظيم مجتمع، على أساس من عقيدة خاصة، وتصور معين، وبناء جديد..[2].

وهذه السورة اشتملت على كثير من الأحكام، ومن ضمنها حكم القتل، وهذا الحكم سبق آية الحرابة، وكان الخطاب موجهاً إلى بني إسرائيل، ويدلل ذلك على أن صفة القتل والإفساد، ومحاربة الله ورسوله والمؤمنين، مغروسة فيهم، وجُبلوا عليها؛ لقوله تعالى: ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ** ﴾[3]، وهذا يلاحظ من فعلهم، خاصة هذه الأيام من قتل للمجاهدين، وإفساد في الأرض، من تقطيع للطريق، وتجريف للأراضي الزراعية، ووضع للحواجز على الطرقات تفصل بين أجزاء الوطن الواحد، ولا عجب في ذلك فهذه حقيقتهم، وطبائعهم، فهم بذلك ينطبق عليهم بعد كونهم كفاراً حكم الحرابة التي تبين حكمها في هذا المطلب.

(1) انظر: الإتقان في علوم القرآن: السيوطي (20/1، 21).

(2) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (825/2).

(3) سورة المائدة: الآية (32).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

صور الاعتداء على الطريق

أولاً: القعود على الطريق: نهى الله ﷻ عن القعود على الطريق، لما له من مفسدة تلحق بالإنسان والمجتمع، لاسيما إن كان هذا القعود للصدّ عن سبيل الله ودعوته، وتخويف الناس بشتّى أنواع الصور، التي تُدخل الخوف والرهبة في قلوب المسلمين، فهذا قعود لا يرضاه الله ﷻ؛ ولكن هل القعود في الطريق منهيٌّ عنه بشكل عام؟.

وللإجابة على هذا السؤال لا بد من التعرف على أنواع القعود على الطريق، **وهو ينقسم إلى قسمين:**

1. القعود المذموم: وينقسم إلى قسمين:

أولاً: القعود المذموم الدائم: وهو الذي نهى الله ﷻ عنه في قوله تعالى: ﴿**وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾[1].

وهذه الآية نزلت في قوم شعيب عليه السلام؛ لأنهم كانوا يقطعون الطريق على الناس، يمنعونهم من المجيء إلى نبي الله شعيب عليه السلام للإيمان به وبدعوته؛ يقول بن كثير . رحمه الله .: " ينهاهم شعيب عليه السلام عن قطع الطريق الحسي والمعنوي بقوله: ﴿**وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ**﴾ أي تتوعدون الناس بالقتل إن لم يعطوكم أموالهم "[2].

جاء النهي هنا عن القعود على الطريق، لما ينتج عنه من مفاسد عظيمة، كالصد عن سبيل الله ﷻ، والتوعُّد والإخافة لمن أراد الإيمان.

وهذا يقاس عليه النهي عن القعود في الطرقات والشوارع، وعلى أبواب البيوت كما يحدث في واقعنا الحالي، مما يفعله بعض الناس من الشباب وغيرهم، من قعود وجلوس على الطرقات، مما يؤدى ذلك إلى عدم مرور بعض الفتيات لقضاء شؤونهن وأمورهن، خشية تلفظ الجالسين ببعض الكلمات التي تخدش حياء المرأة، وتهين كرامتها وعفتها، ولاسيما إن كان هؤلاء الرجال قد فقدوا حياءهم والتزامهم الديني؛ وهذا صد عن سبيل الله ﷻ . دون قصد . وتخويف للمارة، وعدم إعطاء الطريق حقها كما جاء في الحديث الشريف الذي ينهى عن الجلوس في الطريق

---

(1) سورة الأعراف: الآية (86).

(2) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (233/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بقوله ﷺ: " **إيّاكم والجلوسَ على الطّرُقاتِ** "، فقالوا: ما لَنا بُدّ، إنما هي مَجالسُنا نتحدّثُ فيها، قال: " **فإذا أتيتُم إلى المجالسِ فأعْطوا الطريقِ حقّها** "، قالوا: وما حقّ الطريقِ؟ قال: " **غَضّ البَصرِ، وكَفّ الأذَى، وردّ السلامِ، وأمرٌ بالمعروفِ ونهيٌ عن المنكر** "[1].

ولو تأملنا حديث رسول الله ﷺ لوجدنا أنه قال: " **إيّاكم والجلوسَ** "، ولم يقل: إياكم والقعود، فهل هناك فرق بين القعود والجلوس؟.

يقول الدكتور فضل عباس[2]: " والمتأمل لآي القرآن، واستعمال هاتين الكلمتين، يُدرك روعة العربية من جهة، وإعجاز الكتاب الخالد من جهة ثانية، **فالقعود** إنما يُستعمل لما فيه لَبث ومكث، **أما الجلوس** فيستعمل فيما ليس كذلك ... ومن أسرار العربية أن (القاف، والعين، والدال) تدل على اللبث والثبات، فمنها مادة: قعد ...، والدقعاء: للتراب الكثير الدائم، الذي يبقى في مسيل الماء، ومنه العقد: الذي يستعمل لعقدة النكاح، ومنه العقيدة: وهي قضايا ثابتة.

أما (الجيم، واللام، والسين) فعلى العكس من ذلك، ففيها الحركة، ومنه: السجل، للشيء المتحرك الذي لا يبقى عند صاحبه"[3].

إذن فهناك اختلاف بين القعود والجلوس، وهو إطالة زمن المكث، واللبث في القعود عنه في الجلوس، ورسول الله ﷺ حذرنا من الجلوس على الطرقات، فكيف بالقعود؟!.

وبعد مراجعة الصحابة رضي الله عنهم أذن لهم الرسول ﷺ بالجلوس، ولكن ضمن شروط اشترطها عليهم، والتي أشار إليها ﷺ بحق الطريق، فإن فُقدت هذه الشروط، فلا يجوز الجلوس على الطرقات؛ ويُلاحظ أن النهي والتحذير جاء بعدم الجلوس، وعدم القعود أولى، وهذا ما يُفهم من سياق الآية والحديث السابقين.

والعلّة من عدم القعود في الطريق إضافة إلى الصد عن سبيل الله ﷻ، وتخويف الناس، **هناك علة أخرى** هي أن من يقعد في الطرقات يتشبه و يقتدي بالشيطان، يقول صاحب الكشّاف الزمخشري . رحمه الله .: " ولا تقتدوا بالشيطان في قوله: ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[4]..[5].

---

(1) سبق تخريجه (ص: 3)، وهو صحيح.

(2) الدكتور فضل حسن عباس، أستاذ التفسير وعلوم القرآن في الجامعة الأردنية، ومن العلماء المعاصرين، له العديد من المؤلفات منها: البلاغة فنونها وأفنانها، والقصص القرآني وإيحاؤه ونفحاته.

(3) إعجاز القرآن الكريم: فضل عباس (ص: 180، 181) بتصرف.

(4) سورة الأعراف: الآية (16).

(5) الكشاف: الزمخشري (94/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و يقول الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ: ".. فحين تقعدون على كل صراط، يصير كل منكم شيطاناً والعياذ بالله؛ لأن الشيطان قال لربنا: ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾، وهنا ينهى الحق عن القعود بكل صراط..."[1].

وللقعود المذموم الدائم صور منها:

الصورة الأولى: بناء الميزاب، والدكة، الساباط، والروشن[2].

الصورة الثانية: اقتطاع جزء من الطريق والبناء فيه: لما في ذلك من تعدي على حقوق العامة والخاصة، وقد جاء النهي الصريح بعدم التعدي في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾[3].

وما يترتب على التعدي من مفسدة وفساد، والله ﷻ لا يحب الفساد، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ** ﴾[4].

وقد حذّر رَسُولَ اللّهِ ﷺ من أَخْذِ أيِّ شبر من الأرض ظلماً، حيث قَالَ: " **مَنِ اقْتَطَعَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ ظُلْماً، طَوَّقَهُ اللّهُ إيّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ** "[5].

وقد جاء في كتب الفقه تفصيلاً لذلك الحكم، ونذكر هنا ما جاء في هذه المسألة عند الحنابلة: " ولا يجوز أن يشرع إلى الطريق النافذ جناحاً، وهو الروشن، على أطراف خشب مدفونة في الحائط، ولا ساباطاً، وهو المستولي على هواء الطريق على حائطين؛ لأنه بناء في ملك غيره بغير إذنه، فلم يجز كالبناء في أرض الطريق؛ ولا ميزاباً، ولا يبني فيها دكة لذلك؛ لأنه يضر بالمارة، أشبه بناء بيت، ولا يباح ذلك بإذن الإمام؛ لأنه ليس له الإذن فيما يضر بالمسلمين..."[6].

وهناك صور أخرى ذُكرت على التفصيل في كتب الفقه.

---

(1) تفسير الشعراوي: الشعراوي (4240/7).

(2) **والميزاب، المرزاب** هو مصب ماء المطر. انظر: لسان العرب: ابن منظور (312/1)، **والدكة:** وهي المبنية للجلوس عليها. انظر النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير (182/2).

الساباط: هي سقيفة بين حائطين، وفي المحكم بين دارين، وزاد غيره من تحتها طريق نافذ. انظر: لسان العرب: ابن منظور (311/7).

الروشن: هو الكوة. انظر: مختار الصحاح: الرازي (103/1)، وهو الرف. انظر: لسان العرب: ابن منظور (181/13).

(3) سورة المائدة: الآية (87).

(4) سورة البقرة: الآية (205).

(5) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب المساقاة والمزارعة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض 48/11).

(6) الكافي في فقه ابن حنبل: ابن قدامة (210/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: القعود المذموم المؤقت، وله صور:

الصورة الأولى: ما يحدث في زماننا من قيام بعض الناس إذا ما أرادوا الاحتفال بأفراحهم وأعراسهم باقتطاع بعض الطريق أو الشارع، ويضعون المقاعد والأخشاب في وسط الطريق، لكي يقيموا حفلهم وما يسمى (بالسهرة أو الجمعية)، التي تسبق يوم الزفاف، ناهيك عن وجود المعازف والأغاني، وما يفعله الشباب من رقص وتمايل، متشبهين بذلك بالنساء، وقد لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، فقد روى ابن عباس . رضي الله عنهما . قال: **لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِن النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ**[1].

الصورة الثانية: استقبال وفتح بيوت العزاء في الطريق، مما يؤدي إلى إغلاق الطريق أمام المارة، من الناس، والعربات، والسيارات وما شابهها، وقد يسبب ذلك بعض الحرج للناس، من إغلاق للمحلات التجارية للمشاركة في واجب العزاء، وما يسببه من حرج من خروج الفتيات لجامعاتهن، ومدارسهن بسبب قعود الناس على الطرقات.

الصورة الثالثة: وقوف السيارات على جوانب الطريق غير المسموح لها بالوقوف عليها، مما يؤدي إلى عرقلة السير والازدحام.

هذه بعض الصور للقعود المذموم على الطريق، وهذا يُفهم من سياق الآية السابقة ﴿ **وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ** ﴾ لاشتمالها على حرف **(لا)** الذي هو للنهي، والذي يؤكد ذلك تأثيره على الكلمة التي بعده من ناحية الإعراب، فنجد أن كلمة تقعدوا جاءت مجزومة، وعلامة جزمها حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وكما في قواعد أصول الفقه أن أصل النهي للتحريم، ما لم توجد قرينة تصرفه عن التحريم[2]؛ والصور السابقة يجري عليها النهي عن القعود بكل صراط وطريق.

2. القعود المحمود:

وهو القعود الذي أجازه الله ﷻ ، وأمرنا به حيث قال: ﴿ **فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[3].

ومعنى هذه الآية هو: " أي تراقبونهم في كل موضع أو طريق أو ممر يجتازونه في أسفارهم، حتى تضطروهم إلى الإسلام أو القتل، حتى تملأوا قلوبهم خوفاً ورهبةً منكم "[1].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب اللباس، باب المتشبهين بالنساء، والمتشبهات بالرجال 38/4 ح 5546).

(2) المجموع: النووي (159/4).

(3) سورة التوبة: الآية (5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي هذا المعنى إشارة من الله ﷻ للرباط على الثغور، ومراقبة الأعداء؛ ولا تكون المراقبة إلا بالقعود على الثغور، واللبث والمكث مدة طويلةً، وقد بين لنا ﷺ فضل المرابط حيث قال: " **رِباطُ يومٍ في سبيل الله خَيْرٌ منَ الدّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، ومَوضِعُ سَوطِ أَحَدِكُم مِن الجَنَّةِ خَيْرٌ منَ الدّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، والرّوحةُ يَروحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا** "[2]، وإن ما يقوم به المجاهدون المرابطون من قعود في الطرقات بهدف حماية المجتمع والمواطنين من عبث العابثين، واعتداء المعتدين، لاسيما في هذه الأيام، هو من باب القعود المحمود المأمور به من قِبل الله ﷻ، ولهم الأجر من الله لما يقومون به من رباط، وترصّد لأعداء الله ﷻ ومراقبةٍ لهم.

---

(1) التفسير المنير: الزحيلي (107/10).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله 151/2 ح 2735).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصـــل الثاني

نظائر الطريق في القرآن الكريم

ويتكون من ستة مباحث:

المبحث الـــأول: السبيل.

المبحث الثـــاني: السنة.

المبحث الثـــالث: الصراط.

المبحث الرابـــع: المنهاج.

المبحث الخامس: النجدان.

المبحث السادس: علاقة الطريق بنظائرها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعد التعرف على الطريق ومعانيها، وأحكامها التي جاءت في كتاب الله ﷻ، كان لا بد من التعرف على نظائر الطريق الموجودة في القرآن الكريم؛ وبعد استقرائي لكتاب الله ﷻ، توصّلت إلى وجود بعض النظائر لكلمة الطريق، وهي:

1. السبيل.
2. السُّنة.
3. الصراط.
4. المنهاج.
5. النجدان.

وتفصيل القول فيها في المباحث التالية:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

السبيـــل

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم السبيل.

المطلب الثاني: مشتقات كلمة السبيل ووجوهها في القرآن الكريم

المطلب الثالث: ورود المفردة القرآنية " سبيل " في القرآن الكريم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

مفهوم السبيل

السبيل في اللغة:

هو الطريق وما وضح منه، ويذكَّر ويؤنَّث، والتأنيث فيه أغلب، **وسبيل الله:** طريق الهدى الذي دعا إليه، **وفي التنزيل:** ﴿ **وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً** ﴾ (1)...(2).

السبيل في الاصطلاح:

جاءت كلمة السبيل في الاصطلاح على عدة تعاريف منها:

1. **السبيل:** هو طريق الجادة السابلة عليه، الظاهر لكل سالك منهجه(3).
2. **السبيل:** هو كل مأتي إلى الشيء، والسبيل من الطرق معناه السلوك(4).
3. **السبيل:** هو كل ما يُتوصل به إلى شيء، خيراً كان أو شراً(5).

وأرجحها هو التعريف الأخير؛ والسبب في ذلك: أن هذا التعريف يُوضّح العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة السبيل؛ لأن كل شيء خيراً كان أو شراً لا بد له من سلوك سبيل، أو طريق للوصول إليه؛ ويتضح ذلك بعد معرفة معاني السبيل في القرآن الكريم من خلال ورودها في كتاب الله ﷻ.

---

(1) سورة الأعراف: من الآية (146).

(2) القاموس المحيط: الفيروزأبادي (ص: 1308)، لسان العرب: ابن منظور (320/11).

(3) التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي (ص: 396، 397).

(4) الكليات: الكفوي (ص: 494).

(5) بصائر ذوي التمييز: الفيروزأبادي (186/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

مشتقات كلمة السبيل ووجوهها في القرآن الكريم

وردت كلمة سبيل ومشتقاتها في كتاب الله ﷻ على النحو التالي:

رقم	الكلمة	عدد السور	المكية	المدنية	مثال	التكرار
1	سبيل	25	23	64	وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ	87
2	السبيل	20	12	16	فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ	28
3	السبيلا	1	/	1	أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا	1
4	سبيلاً	7	16	13	إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا	29
5	سبيلك	2	2	/	فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ	2
6	سبيلنا	1	1	/	اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ	1
7	سبيله	10	9	4	وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ	13
8	سبيلهم	1	/	1	وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ	1
9	سبيلي	3	1	2	قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ	3
10	سبل	3	2	1	ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا	3
11	سبلاً	5	5	/	وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ	5
12	سبلنا	2	2	/	وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا	2

أهمية الكلمة القرآنية وبلاغتها:

إن من بلاغة الكلمة القرآنية تعدُّدُ وجوهها ومعانيها، لما لهذه الوجوه من أثر على التفسير وإبراز معانيه في صورة جليّة وواضحة، فإنك تجد للكلمة أكثر من معنى، وهذه المعاني تضفي وتعطي ألواناً شتى للتفسير، ومعاني مختلفة لا تضارب ولا تناقض فيها، بل يعاضد بعضها بعضاً، وذلك يجعل الكلمة القرآنية أكثر اتساعاً، ولا يجعلها محصورة ومقصورة على معنى واحد، " وكتاب الله لو نُزعت منه لفظة، ثم أُدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد، ونحن تتبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق، وجودة القريحة، وميز الكلام"[1].

(1) المحرر الوجيز: ابن عطية (52/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإننا نجد كثيراً من الكلمات القرآنية تحمل أكثر من معنى، ولا يكون هناك تضارب في فهم الآيات، بل كل معنى يعطي تصوراً وتفسيراً جديداً للآيات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ** ﴾[1]. وقوله: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ** ﴾[2].

" فلا عجب إذن أن نجد العرب في عصورهم الأولى يجهدون أنفسهم في اختيار الكلمة والبحث عنها وانتقائها مجندين لها ما مُنحوه من طاقات العقل ودفقات الشعور وجميل الأحاسيس، فلقد كانوا يدركون ما للكلمة من شأن أو ما تحدثه من أثر سلبي فيقبلونها أو يردونها نتيجة معرفة وذوق ... وألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته، وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة "[3].

فلا غرو أن تكون كلمة السبيل ومشتقاتها في القرآن الكريم من بين الكلمات التي لها عدة وجوه، ولكل وجه معنى يؤثر في تفسير القرآن الكريم.

وجوه كلمة السبيل في القرآن الكريم:

جاءت كلمة السبيل في القرآن الكريم على عدة أوجه، ذكر معظمها ابن العماد . رحمه الله . فقال: تفسر سبيل على أربعة عشر وجهاً:

أحدها: بمعنى الطاعة. **وثانيها:** بمعنى البلاغ. **وثالثها:** بمعنى مخرجاً. **ورابعها:** بمعنى المسلك. **وخامسها:** بمعنى المِلل. **وسادسها:** بمعنى الدِّين. **وسابعها:** بمعنى الطريق. **وثامنها:** بمعنى الحُجَّة. **وتاسعها:** بمعنى طريق الهدى. **وعاشرها:** بمعنى الهدى. **والحادي عشر منها:** بمعنى العدوان. **والثاني عشر:** بمعنى طاعته. **والثالث عشر:** بمعنى الملة. **والرابع عشر:** بمعنى الإثم[4].

وهناك وجوه أخرى لكلمة السبيل منها:

---

(1) سورة يوسف: من الآية (20).

(2) سورة البقرة: من الآية (207).

(3) إعجاز القرآن الكريم: عباس (ص: 167–170)، وانظر المفردات: الراغب (المقدمة).

(4) كشف السرائر: ابن العماد (ص: 238 – 241)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الممر: قال تعالى: ﴿ **فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا** ﴾[1]، وقال: ﴿ **وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا** ﴾[2].

ومنها: المخرج من رحم الأم حال الولادة: قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ** ﴾[3].

وبعد التعرّف على هذه الوجوه، تبين أن لكلمة السبيل معنى حقيقي وآخر مجازي، **فالمعنى الحقيقي**: هو الذي يتعلق بالطريق، الذي هو عبارة عن المسلك الذي يُسلك، فنجد أن كلمة السبيل جاءت بمعنى **الطريق السهل**، قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً** ﴾[4].

والطريق الواضح، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ** ﴾[5].

والممر، قال تعالى: ﴿ **فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا** ﴾[6].

والمخرج: قال تعالى: ﴿ **أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً** ﴾[7].

والوجوه المتبقية لكلمة السبيل جاءت بالمعنى المعنوي لها.

العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنوي لكلمة السبيل:

العلاقة بين المعنيين واضحة، ويُفهم من التعريف المختار للسبيل أن العلاقة هي: الاشتراك في العلة والوصول لها، فإذا ما أُريد الوصول إلى شيء، فلا بد من وجود مسلك أو طريق لبلوغ ذلك الشيء، سواء كان خيراً أو شراً، فإن طريق الخير لها ممر وطريق، وغاية وهدف، وكذلك الشر، وكل إنسان يسلك المسلك المناسب لكل طريق.

الوزن الصرفي لكلمة السبيل وماذا أفاد؟:

جاءت كلمة سبيل على وزن فعيل، وهي صيغة مبالغة، ومن التعريف لكلمة السبيل تبين أنه الطريق الواضح لكثرة الجريان فيه[8].

---

(1) سورة الكهف: من الآية (61).
(2) سورة الكهف: من الآية (63).
(3) سورة عبس: الآية (20).
(4) سورة الأعراف: من الآية (146).
(5) سورة الحجر: الآية (76).
(6) سورة الكهف: من الآية (61).
(7) سورة النساء: من الآية (15).
(8) التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي (ص: 396، 397).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعليه، فقد أفادت صيغة المبالغة الكثرة، فكثرة الجريان مبالغة في المشي والجري، لذلك ناسبت الكلمة سبيلاً ما دل عليه التعريف، من خلال الوزن الصرفي لها، الذي هو على وزن فعيل، ولمناسبة أحرف كلمة سبيل (السين، والباء، والياء، واللام) للتعريف، فمعاني هذه الحروف مناسبة ودالة على التعريف، لما فيها من سهولة ويسر، وهذا سيُتناول بالدراسة في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

ورود المفردة القرآنية " سبيل " في القرآن الكريم

بعد التأمل والاستقراء في كتاب الله ﷻ، تبيَّن أن المفردة القرآنية " **سبيل** " ومشتقاتها، تكررت في أكثر من موضع[1] في السور المكية والمدنية، وقد وردت على صور شتَّى، وهي:

1. جاءت نكرة:

◊ كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ** ﴾[2].

الجمهور على أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، أخبر الله تعالى بذم الخونة منهم، فظاهره أن في اليهود والنصارى من يُؤتمن فيقضي، ومن يؤتمن فيخون[3].

وفي قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ** ﴾[4]:

يعني بذلك جلّ ثناؤه: أن من استحل الخيانة من اليهود بجحود حقوق العربي بسبب أنه يقول: لا حرج علينا فيما أصبنا من أموال العرب ولا إثم؛ لأنهم على غير الحق، وأنهم مشركون[5].

والسبيل: **قيل:** العتاب، والذم، **وقيل:** الحجة، وقوله تعالى: ﴿ **فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ** ﴾[6]، من هذا المعنى، وهو كثير في القرآن الكريم وكلام العرب، **وقيل:** السبيل هنا الفعل المؤدي إلى الإثم، **والمعنى:** ليس عليهم طريق فيما يستحلون من أموال المؤمنين[7].

قلت:

ولعل مجيء كلمة سبيل نكرة في هذا السياق، لتدلل على أن بني إسرائيل تستخدم أي طريقة في الاستيلاء والسيطرة على أموال المؤمنين، بإيجاد الحجج التافهة، وإن ما نراه في هذه

---

(1) انظر الجدول المبين لعدد تكرار سبيل ومشتقاتها (ص: 38).

(2) سورة آل عمران: من الآية (75).

(3) البحر المحيط: أبو حيان (523/2).

(4) سورة آل عمران: من الآية (75).

(5) جامع البيان: الطبري (316/3)، بتصرف.

(6) سورة الشورى: من الآية (41).

(7) البحر المحيط: أبو حيان (523/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأيام من استيلاء على الأموال، باقتحام المصارف والبنوك، ومصادرة الأموال، يؤكد ما جاء به القرآن الكريم.

وورود **سبيل** نكرة في سياق النفي أفاد الشمول والعموم[1]، مما يدلل على حقيقة هؤلاء القوم في استخدام أي طريقة للاستيلاء على أموال المؤمنين وأراضيهم.

◊ وفي قوله تعالى: ﴿ **لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[2].

" في هذه الآية استئناف بياني لجواب سؤال مقدَّر نشأ عن تهويل القعود عن الغزو، وما توجه إلى المخلَّفين من الوعيد استيفاء لأقسام المخلفين: من ملوم ومعذور، من الأعراب أو من غيرهم ... وجملة ﴿ **مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ** ﴾ واقعة موقع التعليل لنفي الحرج عنهم، وهذه الجملة نظمت نظم الأمثال، وقوله: ﴿ **مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ** ﴾ دليل على علة محذوفة، **والمعنى:** ليس على الضعفاء ولا على من عطف عليهم حرج إذا نصحوا لله ورسوله؛ لأنهم محسنون غير مسيئين، و ﴿ **مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ** ﴾ أي مؤاخذة أو معاقبة، والمحسنون الذين فعلوا الإحسان، وهو ما فيه النفع التام ... **والسبيل** أصله الطريق، ويطلق على وسائل وأسباب المؤاخذة، واللوم، والعقاب؛ لأن تلك الوسائل تشبه الطريق الذي يصل منه طالب الحق إلى مكان المحقوق، ولمراعاة هذا الإطلاق جعل حرف الاستعلاء في الخبر عن السبيل دون حرف الغاية، ونظيره قوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً** ﴾[3]، وقوله: ﴿ **فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً** ﴾[4]، فدخل في المحسنين هؤلاء الذين نصحوا لله ورسوله، وليس ذلك من وضع المُظْهَرِ موضع المُضْمَرِ؛ لأن هذا مرمى آخر هو أسمى وأبعد غاية و ﴿ **مِن** ﴾ مؤكدة لشمول النص لكل سبيل "[5].

◊ وفي قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ** ﴾[6].

أي هل إلى خروج لنا من النار ورجوع لنا إلى الدنيا من سبيل؟ ومثل هذا قولهم الذي حكاه الله عنهم: ﴿ **هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ** ﴾[7]، أي هل إلى الرجعة إلى الدنيا من طريق؟.

---

(1) شرح القواعد الحسان في تفسير القرآن: السعدي (ص: 17).
(2) سورة التوبة: الآية (91).
(3) سورة النساء: من الآية (34).
(4) سورة النساء: من الآية (90).
(5) التحرير والتنوير: ابن عاشور (294/6).
(6) سورة غافر: الآية (11).
(7) سورة الشورى: من الآية (44).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ** ﴾[1]، أي من طريق يسلكها إلى النجاة[2].

من خلال تفسير الآيات التي وردت فيها لفظة **سبيل** نكرة، تبين أن لها معنيين:

الأول: حقيقي، وهو الطريق.

والآخر: مجازي، وهو المؤاخذة، والحجة، والعتاب؛ وهذا من بلاغة القرآن الكريم، الذي يجعل للكلمة أكثر من معنى ومدلول خاص بها.

2. جاءت معرفة:

وردت كلمة **سبيل** معرفة إما بأل التعريف، وإما بالإضافة.

أولاً: بأل التعريف: وقد وردت كذلك في أكثر من موضع في كتاب الله، منها:

◊ قال الله تعالى: ﴿ **أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ** ﴾[3].

معنى قوله تعالى: ﴿ **سَوَاء السَّبِيلِ** ﴾ أي وسطه واعتداله، وأبرز ذلك في صورة الشرط، وكأنه لم يقع، تنفيراً لهم وتبعيداً عن ذلك[4]، و ﴿ **سَوَاء السَّبِيلِ** ﴾ وسطه، قال تعالى: ﴿ **فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاء الْجَحِيمِ** ﴾[5]، أي وسط الجحيم، والغرض التشبيه دون نفس الحقيقة، **ووجه الشبه الشبه في ذلك:** أنه من سلك طريق الإيمان، فهو جار على الاستقامة المؤدية إلى الفوز، والظفر بالطلب من الثواب والنعيم، فالمبدل لذلك بالكفر عادل عن الاستقامة، فضلَّ السبيل[6].

أقول:

ينبه الله تعالى على أن من أسباب ضلال اليهود عن سواء السبيل هو تعنتهم وكثرة أسئلتهم لأنبيائهم، فيحذرنا أن نفعل فعلهم حتى لا نضل كما ضلوا، وقد حذّر الرسول ﷺ أيضاً من هذا فقال: " **إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثاً: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ** "[7].

---

(1) سورة الشورى: من الآية (46).

(2) فتح القدير: الشوكاني (600/4، 972).

(3) سورة البقرة: الآية (108).

(4) النهر الماد: أبو حيان (123/1).

(5) سورة الصافات: الآية (55).

(6) التفسير الكبير: الرازي (236/3).

(7) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: لا يسألون الناس إلحافاً 537/2 ح 1407).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◊ قال الله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ** ﴾[1].

يقول ﷻ: ﴿ **أَلَمْ تَرَ** ﴾ من رؤية القلب، وضمَّن معنى الانتهاء، أي: ألم ينته علمك إليهم، أو من رؤية البصر، أي: ألم تنظر، ﴿ **إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ** ﴾ أي حظاً من التوراة، وهم أحبار اليهود، ﴿ **يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ** ﴾ وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات، ﴿ **وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ** ﴾ أي لا يكتفون بضلال أنفسهم، بل يريدون بما فعلوا . من كتمان دعوته ﷺ . أن تضلوا أيها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوا، ويودون أن تكفروا بما أنزل عليكم من الهدى والعلم النافع[2].

◊ قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ** ﴾[3].

يخبرنا الله ﷻ في هذه الآية أنه أخذ عرفاء على قبائلهم بالمبايعة على السمع والطاعة لله، ولرسوله ﷺ، ولكتابه، وإخباره ﷻ لهم بأنه نعَّمهم بحفظه لهم، ونصرته، بإقامتهم الصلاة، وإيتائهم الزكاة، وتصديقهم برسله فيما يجيئون به من الوحي، ونصرهم، وإبرازهم لهم على الحق، وإنفاقهم في سبيله، وابتغاء مرضاته ﴿ **لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ** ﴾ أي ذنوبكم أمحوها، وأسترها، ولا أؤاخذكم بها ﴿ **وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ﴾ أي أدفع عنكم المحذور، وأحصل لكم المقصود.

وقوله: ﴿ **فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ** ﴾ أي فمن خالف هذا الميثاق بعد عقده، وتوكيده، وشده، وجحده، وعامله معاملة من لا يعرف، فقد أخطأ الطريق الواضح، وعدل عن الهدى إلى الضلال[4].

◊ قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ** ﴾[5].

---

(1) سورة النساء: الآية (44).

(2) محاسن التأويل: القاسمي (2274/5، 2275)، بتصرف.

(3) سورة المائدة: الآية (12).

(4) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (32/2-34)، بتصرف.

(5) سورة المائدة: الآية (77).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول ﷻ: لا تفرطوا كما فرطت اليهود والنصارى في عيسى عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿ **قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ** ﴾ **يعني** اليهود والنصارى، ﴿ **وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا** ﴾ **أي: أضلوا كثيراً من الناس،** ﴿ **وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ** ﴾ **أي:** عن قصد طريق محمد ﷺ، وتكرير ﴿ **ضَلُّواْ** ﴾ على معنى أنهم ضلوا من قبل، وضلوا من بعد، والمراد الأسلاف الذين سنّوا الضلالة، وعملوا بها من رؤساء اليهود والنصارى[1].

◊ قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾[2].

وفي هذا الحصر تأكيد للنفي السابق[3]، أي: لا سبيل عقاب إلا ﴿ **عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء** ﴾، والمراد بهم: المنافقون في المدينة، الذين يكرهون الجهاد.

والسبيل: حقيقة الطريق، ومر في قوله: ﴿ **مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ** ﴾[4].

وقوله: ﴿ **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء** ﴾ مستعار لمعنى السلطان، والمؤاخذة بالتبعة، شبه السلطان والمؤاخذة بالطريق؛ لأن السلطة يتواصل بها من هي له إلى تنفيذ المؤاخذة في الغير، ولذلك عدي بحرف عَلَى المغيِّر لمعنى الاستعلاء، وهو استعلاء مجزي بمعنى التمكن، من التصرف في مدخول عَلَى، فكان هذا التركيب استعارة مكنية، رمز إليها مما هو من ملائمات المشبه به، وهو حرف عَلَى، وفيه استعارة تبعية.

ماذا أفاد التعريف باللام في قوله: ﴿ **إِنَّمَا السَّبِيلُ** ﴾**؟.**

التعريف باللام في قوله: ﴿ **إِنَّمَا السَّبِيلُ** ﴾ تعريف العهد والمعهود، وهو السبيل المنفي في قوله تعالى: ﴿ **مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ** ﴾[5]، على قاعدة: النكرة إذا أعيدت معرفة، أي: إنما السبيل المنتفي عن المحسنين، مثبت ﴿ **عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء** ﴾.

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[6].

فنزل ذلك على المراد بالسبيل العذاب[7].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (162/6)، بتصرف.

(2) سورة التوبة: الآية (93).

(3) في قوله تعالى: ﴿ **مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ** ﴾.

(4) سورة التوبة: من الآية (91).

(5) سورة التوبة: من الآية (91).

(6) سورة الشورى: الآية (42).

(7) التحرير: ابن عاشور (5/11، 6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◊ قال الله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** ﴾[1].

يقول تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾ أي حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة، يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر، لا تخفى عليه خافية، ... أفمن هو كذلك كالأصنام التي يعبدونها لا تسمع، ولا تبصر، ولا تعقل، ولا تملك نفعاً لنفسها، ولا لعابديها، ولا كشف ضر عنها، ولا عن عابديها، وحذف هذا الجواب اكتفاء بدلالة السياق عليه، وهو قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء** ﴾ أي عبدوها معه من أصنام، وأنداد وأرباب.

وفي هذا المعنى إشارة إلى بعض الناس الذين يتخذون من دون الله أنداداً، ويبتغون النصرة دون الله، ويوالون اليهود والنصارى ظناً منهم أنهم ينفعونهم أو يضرون، ويعطونهم الولاء المطلق بصد أولياء الله، ومحاربتهم، ونعتهم بصفات لا تليق بهم كالتطرف، والإرهاب، وبذلك يظنون أنهم على حق، وصواب، ومما يزيد القلب حسرة أنك تجد من يساعد هؤلاء من علماء السلطان، ويزينون لهم، ويؤيدونهم على فعلهم وأقوالهم، ويصدرون الفتاوى في ذلك.

◊ قال الله تعالى: ﴿ **وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[2].

وهذه الآية مناسبة لما قبلها في قوله تعالى: ﴿ **وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾[3].

يَخْلُقُ فعل مضارع يراد به الاستقبال، وفي هذا إشارة أن الله سيخلق أموراً في المستقبل لم يكن العرب يعرفونها، وفي هذه الآية من معجزات القرآن العينية العلمية، وأنها آي من الله أن الله سيلهم البشر اختراع مراكب هي أجدى عليهم من الخيل، والبغال، والحمير، مثل السيارات، والقطارات، والطائرات، والدراجات وإلهام الله الناس لاختراعها هو ملحق بخلق الله، فالله ﷻ هو من ألهم المخترعين إلى اختراع هذه الأشياء، مما فطرهم عليه من الذكاء والعلم، فهذه المخترعات تحتاج إلى طريق للسير عليه، فقول الله عز وجل: ﴿ **وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[4]، جملة معترضة اقتضت اعتراضها مناسبة الامتنان بنعمة تيسير الأسفار بالرواحل، والخيل، والبغال، والحمير، فلما ذكرت نعمة تيسير السبل الموصلة

---

(1) سورة الرعد: الآية (33).

(2) سورة النحل: الآية (9).

(3) سورة النحل: من الآية (8).

(4) سورة النحل: الآية (9).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى المقاصد الجثمانية، ارتقى إلى التذكير بسبيل الوصول إلى المقاصد الروحانية، وهو سبيل الهدى؛ لأن سبيل الهدى نحصل به السعادة الأبدية.

فالسبيل مجاز لما يأتيه الناس من الأعمال من حيث هي موصلة إلى دار الثواب، أو دار العقاب، ولقصد استقامة الطريق وقع هنا وصفاً للسبيل، من قبيل الوصف بالمصدر؛ لأنه يقال: طريق قاصد، أي: مستقيم، وإضافة قصد إلى السبيل من إضافة الصفة إلى الموصوف، وهي صفة مخصصة لأن التعريف في السبيل هي للجنس، والضمير هنا عائد إلى السبيل على اعتبار جواز تأنيثه.

و: ﴿ **جَآئِرٌ** ﴾ وصف للسبيل على اعتبار استعماله مذكراً، أي: من جنس السبيل الذي منه أيضاً قصد سبيل جائر غير قصد.

والجائر هو الحائد عن الاستقامة، وكنِّي به عن طريق غير موصول إلى المقصود، أي: إلى الخير، وهو المفضي إلى خير فهو جائر بسالكه، ووصفه بالجائر على طريقة المجاز العقلي، ولم يصف السبيل الجائر إلى الله؛ لأن سبل الضلالة اخترعها أهل الضلالة اختراعاً لا يشهد له العقل الذي فطر الله الناس عليه، وقد نهى عن سلوكها[1].

وعلى ذلك:

فكلمة السبيل في هذه الآية اشتملت على المعنيين الحقيقي والمجازي:

الحقيقي: باعتبار أنه طريق يسلكه الإنسان، والدواب، والسيارات، والقطارات، والدراجات.

والمجازي: باعتباره الطريق إلى المقاصد الروحانية، وهو سبيل أو طريق الهدى.

والطرق في زماننا تنقسم إلى قسمين:

طريق معبَّدة ومستوية، التي هي طريق قصد، كما عبر عنها القرآن.

وطريق جائر غير معبدة، وغير مستوية، فنجد مثلاً أن السيارات والقطارات لا تستخدم أي طريق، فلها طريق مخصوص، والقطارات لا بد لها من سكة حديد تسير عليها، فالسيارات والقطارات لا تسير على طريق رملي أو طيني، ولكن نجد الدواب، والإنسان قد يستطيع السير على هذه الطرق جميعاً.

فقد تكون الطرق جائرة عن البعض وطريق قصد عند البعض، فالمؤمن طريقه واحدة، هي طريق قصد، وهي المؤدية إلى سبيل الله، دار الخلد، فتارة تكون طريقه صعبة وعرة، وتارة تكون

---

(1) التحرير والتنوير: ابن عاشور (111/14 – 113)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سهلة، وهو في كل الأحوال يسير عليها ما دامت توصله إلى رضوان الله، لا يتأثر بالصعب منها ولا تنفذ عزيمته في السهل منها.

◊ قال الله تعالى: ﴿ **وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّـهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ** ﴾[1].

قال الحسن البصري .رحمه الله .: وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ، كانت من بيت مملكة، وكان أولو مشورتها ثلاثمائة واثني عشر رجلاً، كل رجل على عشرة آلاف رجل، وأوتيت من متاع الدنيا مما يحتاج إليه الملك المتمكن ﴿ **وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ** ﴾[2]، يعني: سرير تجلس عليه عظيم هائل، مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر واللآلئ، وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد، رفيع البناء محكم، وكان فيه ثلاثمائة وستون طاقة من مشرقه، ومثلها من مغربه، قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة، وتغرب من مقابلتها، فيسجدون لها صباحاً ومساءً؛ ولهذا قال: ﴿ **وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّـهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ** ﴾[3]، أي: عن طريق الحق، أي: لا يعرفون سبيل الحق، التي هي إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من الكواكب وغيرها[4].

أقول:

ولعل تشييد هذا القصر وطريقة دخول الشمس بهذه الحسابات الدقيقة، جعلت الشيطان يزين لهؤلاء القوم عظمة الشمس التي سجدوا لها من دون الله عز وجل، فكان ذلك حياداً عن طريق الحق، ومعنى ذلك: أنَّ قوماً ملكتهم امرأة، وتحجرت عقولهم، وزين لهم الشيطان أعمالهم، وصدهم عن هذه الطريق، والصد هنا: المنع، صده عن الأمر: منعه وصرفه عنه[5]، أي أن الشيطان منع وصرف هؤلاء القوم عن طريق الحق والسجود لله عز وجل بسجودهم للشمس من دون الله، فكان ذلك صد عن السبيل.

---

(1) سورة النمل: الآية (24).
(2) سورة النمل: من الآية (23).
(3) سورة النمل: من الآية (24).
(4) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (362/3)، بتصرف.
(5) مختار الصحاح: الرازي (ص: 202).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◊ قال الله تعالى: ﴿ **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾[1].

يقول تعالى مخبراً عن نبيه لوط عليه السلام: إنه أنكر على قومه سوء صنيعهم، وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال، في إتيانهم الذكران من العالمين، ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم، وكانوا مع هذا يكفرون بالله، ويكذبون رسوله، ويخالفون؛ **ويقطعون السبيل:** أي يقفون في طريق الناس يقتلونهم، ويأخذون أموالهم[2].

واختُلف في قطع السبيل المشار إليه في الآية، **أهو** قطع الطريق بالسلب، **أم أنهم** كانوا يقطعون الطرق على الناس لطلب الفاحشة، **أم** أراد قطع سبيل النسل في ترك النساء وإتيان الرجال، وغيرها، والصواب أنها تشمل كل ذلك، فإن مَن أعمته الشهوة قطع على الناس طرقهم لأخذ مراده منهم، ومن أتى الرجال وترك النساء فقد قطع النسل؛ **والنادي:** المجلس الذي يجتمع فيه الناس، وهو اسم جنس؛ لأن الأندية في المدن كثيرة، فكأنه قال: وتأتون في اجتماعكم المنكر حيث اجتمعتم[3].

◊ قال الله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا** ﴾[4].

أي عن السبيل، وهو التوحيد، فلما حذف الجار وصل الفعل، فنصب؛ والإضلال لا يتعدى إلى مفعولين من غير توسط حرف الجر، لقوله: ﴿ **لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ** ﴾[5]...[6].

و ﴿ **السَّبِيلَا** ﴾: مفعول ثان؛ لأن أضل معدَّى بالهمزة، وضل يتعدى إلى مفعول واحد فيما هو مقيم، كالطريق، والمسجد؛ وهي سبيل الإيمان والهدى[7].

---

(1) سورة العنكبوت: الآية (29).

(2) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (412/3).

(3) المحرر الوجيز: ابن عطية (314/4، 315)، بتصرف. واختلف الناس في المنكر **فقالوا:** كانوا يحذفون الناس بالحصباء، **وقيل:** كانوا يأتون الرجال في مجالسهم، وبعضهم يرى بعضاً، **وقيل:** كانوا يتضارطون ويتصاقعون في مجالسهم، **وقيل:** كان أمرهم لعب الحمام، وتطريف الأصابع بالحناء، والصفير، والخذف، ونبذ الحياء في جميع أمورهم، انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (226/13، 227)، المحرر الوجيز: ابن عطية (315/4)، بتصرف.

(4) سورة الأحزاب: الآية (67).

(5) سورة الفرقان: من الآية (29).

(6) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (160/14).

(7) المحرر الوجيز: ابن عطية (401/4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◊ قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾[1].

أي بينا له وعرفناه طريق الهدى والضلال، والخير والشر، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾[2]، و﴿ **هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ** ﴾ أي بينا له السبيل إلى الشقاء والسعادة، **وقيل:** السبيل هنا خروجه من الرحم. ... وانتصاب ﴿ **شَاكِراً** ﴾ و ﴿ **كَفُوراً** ﴾ على الحال من مفعول هديناه، أي: مكناه من سلوك الطريق في حالتيه جميعاً، **وقيل:** على الحال من سبيل على المجاز، أي: عرفناه السبيل، إما سبيلاً شاكراً، وإما سبيلاً كفوراً ... و﴿ **إما** ﴾ هي إن شرطية، زيدت بعدها ما، أي بينا له الطريق، إن شكر، وإن كفر[3].

والهداية هنا بمعنى البيان، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى** ﴾[4].

والسبيل الطريق السوي، وفيه بيان انقسام الإنسان إلى قسمين: شاكر معترف بنعمة الله تعالى عليه، مقابل لها بالشكر، أو كافر جاحد[5].

◊ قال الله تعالى: ﴿ **ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ** ﴾[6].

قال الطبري .رحمه الله .: واختلف أهل التأويل في السبيل الذي يسره الله لنا، **فقال بعضهم:** هو خروجه من بطن أمه، **وقال آخرون:** بل معنى ذلك: طريق الحق والباطل بيناه له، وأعلمناه، وسهلنا له العمل به ... ثم يعقب الطبري .رحمه الله . قائلاً: وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: ثم الطريق، وهو الخروج من بطن أمه، يسره، وإنما قلنا: ذلك أولى التأويلين بالصواب؛ لأنه أشبهها بظاهر الآية، وذلك أن الخبر من الله قبلها وبعدها عن حقيقة خلقته، وتدبيره جسمه، وتصويره إياه في الأحوال، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله، وما بعده[7].

وقد وردت كلمة سبيل معرفة بأل التعريف وهي مضافة إلى ابن: كما في قوله تعالى: ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا** ﴾[8].

---

(1) سورة الإنسان: الآية (3).
(2) سورة البلد: الآية (10).
(3) فتح القدير: الشوكاني (430/5)، بتصرف.
(4) سورة فصلت: من الآية (17).
(5) تتمة أضواء البيان: الشنقيطي (391/8).
(6) سورة عبس: الآية (20).
(7) جامع البيان: الطبري (448/12).
(8) سورة الإسراء: الآية (26).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحق سبحانه وتعالى بعد أن حنَّن الإنسان على والديه، صعَّد المسألة فحثه على قرابة أبيه وقرابة أمه، فقال: ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ** ﴾.

وكلمة حق وردت في القرآن على معنيين:

الأول: في قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ** ﴾[1].

والحق المعلوم هو الزكاة، أما الحق الآخر فحق غير معلوم وغير موصوف، وهو التطوع والإحسان، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾[2].

ولم يقل معلوم؛ لأنه إحسان وزيادة عما فرضه الله علينا.

إن في هذه الآية حقوق أمر الله ﷻ بإيتائها، وابن السبيل من جملة من يستحق هذه الحقوق، وهذه الآية مجملة فصلتها آيات أخرى في كتاب الله ﷻ، وقبل: الخوض في ذلك يجب التعرف على ابن السبيل.

ابن السبيل: السبيل هو الطريق وينسب المسافر إليها لملازمته إياها ومروره عليها، والمراد الذي انقطعت به الأسباب في سفره عن بلده ومستقره وماله، والإنسان عادة ينسب إلى بلده، فتقول: ابن القاهرة وابن بورسعيد، فإن كان منقطعاً في الطريق وطرأت عليه الظروف فما أحوجه للعون والمساعدة، وإن كان في الحقيقة صاحب يسار وغنى، كأن يضيع ماله، فله حق في مال المسلمين بقدر ما يوصله إلى بلده؛ وابن السبيل إذا طلب المساعدة لا تسأله عن حقيقة حاله؛ لأن له حقاً واجباً، فلا تجعله في موضع مزلة أو حرج[3].

بعد التعرف على ابن السبيل، ما هي الحقوق التي أمر الله ﷻ بإيتائها؟؟.

من المعلوم أن قوله تعالى: ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ** ﴾، ورد في سورة الإسراء وهي سورة مكية، وهذه الآية جاءت مجمله وفُصلت في آيات أخر من سور مدنية وضحت الحقوق المتعلقة بابن السبيل، وهي:

1. حق ابن السبيل في الغنيمة: كما في قوله تعالى: ﴿ **وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾[4].

والغنم والغنيمة والمغنم: الفيء، يقال غنم القوم غنماً[5].

---

(1) سورة المعارج: الآية (24).

(2) سورة الذاريات: الآية (19).

(3) تفسير الشعراوي: الشعراوي (5226/9).

(4) سورة الأنفال: من الآية (41).

(5) لسان العرب: ابن منظور (445/12).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والغنيمة: هي ما أُوجف عليه بالخيل والركاب من أموال المشركين وأُخذ قسراً ويجب فيها الخُمس لمن قسمه الله ﷻ له وتقسم أربعة أخماسها لمن حضر الوقعة للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم واحد[1].

ولست هنا بصدد اختلاف الآراء حول كيفية تقسيم الخمس ولكن المتفق عليه أن ابن السبيل له حق في هذه الغنيمة بنص القرآن الثابت والاتفاق بين الفقهاء[2].

2. حق ابن السبيل في الصدقة: كما في قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾[3].

الصدقات: جمع صدقة، والصدقة هي ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزكاة؛ لكن الصدقة في الأصل تقال للمُتَطوع به، والزكاة للواجب، وقد يسمى الواجب صدقة إذا تحرى صاحبها الصِّدق في فعله لقوله تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾[4].

خصَّ الله سبحانه بعض الناس بالأموال دون بعض نعمة منه عليهم، وجعل شكر ذلك منهم إخراج سهم يؤدونه إلى من لا مال له نيابة عنه سبحانه فيما ضمنه بقوله: ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا** ﴾ وهذه الآية تبين مصارف الصدقات، وقد منح الله ﷻ هذه الأصناف هذه المنحة، وكان منهم ابن السبيل، فإنه يُعطى منها وإن كان غنياً في بلده، ولا يلزمه أن يشغل ذمته بالدَّين[5].

ما الحكمة أن جعل الله ﷻ ابن السبيل ممن يستحقون الزكاة؟

يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله: " وهذا الإنسان الغريب عن بلده لا بد أن تعينه حتى يصل إلى بلده وإن وجد الإنسان من يعينه في هذه الحالة فسوف يشجع ذلك سفر الشباب إلى الدول الأخرى لطلب الرزق، وأيضاً هناك من يسافر ليزداد خبرة أو يسافر للسياحة، وهناك من يسافر للتجارة وقد يكون غنياً، ولكنه قد يفقد ماله في الطريق؛ ويريد الحق أن يكفل عباده وهم غرباء من أي مفاجأة قد تجعلهم في عسر، فالذين سافروا سياحة . مثلاً . ثم أصيبوا بكارثة أوجب الله الحق مساعدتهم، والذين سافروا طلباً للرزق ولم يُوفقوا أوجب الله سبحانه وتعالى

---

(1) تهذيب اللغة: الأزهري (149/8).

(2) لمعرفة كيفية تقسيم الخمس انظر: أحكام القرآن: الجصاص (60/3).

(3) سورة التوبة: من الآية (60).

(4) المفردات: الراغب (ص: 278) والآية من سورة التوبة: من الآية (103).

(5) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (107/8، 119)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مساعدتهم؛ لأن الله سبحانه وتعالى يريد من عباده أن يسيروا في الأرض ليروا آياته وليبغوا الرزق؛ إذن فابن السبيل هو كل غريب صادفته ظروف صعبة ولا يجد ما يعود به إلى بلده "[1].

قلت:

وفي كلمة ابن السبيل يظهر بُعد النظر في أقوال الشيخ الشعراوي . رحمه الله . حيث بيَّن إشارة الله ﷻ للسفر لطلب الرزق والعلم والخبرة، لما للسفر من فوائد عظيمة.

3. حق ابن السبيل في النفقة عليه:

قال الله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾[2].

نزلت في عمرو بن الجموح ﷺ فقد كان شيخاً كبيراً ذا مال، سأل بماذا أتصدق؟ وعلى من أنفق؟[3].

" ... والآية دالة على الأمر بالإنفاق على هؤلاء والترغيب فيه، وهي في النفقة التي ليست من حق المال، أعني الزكاة، ولا هي من حق الذات من حيث إنها ذات كالزوجة، بل هذه النفقة التي هي من حق المسلمين بعضهم على بعض، لكفاية الحاجة وللتوسعة ...، فليست هاته الآية بمنسوخة بآية الزكاة ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ...** ﴾[4]، إذ لا تعارض بينهما حتى نحتاج للنسخ، وليس في لفظ هاته الآية ما يدل على الوجوب حتى يظن إنها نزلت في صدقة واجبة قبل فرض الزكاة؛ وابن السبيل هو الغريب عن الحي، المار في سفره، ينفق عليه ما يحتاج إليه "[5].

4. حق ابن السبيل في الفيء:

قال الله تعالى: ﴿ **مَّا أَفَاء اللَّـهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّـهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾[6].

---

(1) تفسير الشعراوي: الشعراوي (5226/9).

(2) سورة البقرة: الآية (215).

(3) البحر المحيط: أبو حيان (150/2).

(4) سورة التوبة: من الآية (60).

(5) التحرير والتنوير: ابن عاشور (317/2، 318)، بتصرف.

(6) سورة الحشر: من الآية (7).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والفيء: مأخوذ من فاء يفيء إذا رجع، وهو كل مال دخل على المسلمين من غير حرب ولا إيجاف لخراج الأرض، وقيل: الفيء عبارة عن كل ما صار للمسلمين من الأموال بغير قهر[1].

وفي هذه الآية بُين لرسول الله ﷺ ما يصنع بما أفاء الله عليه، وأمره أن يضعه حسب وضع الخمس من الغنائم، مقسوماً على الأقسام الخمسة[2].

5. حق ابن السبيل في الإحسان إليه:

قال الله تعالى: ﴿ **وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾[3].

" ... الإحسان هو أن تفعل فوق ما كلفك الله، مستشعراً أنه يراك، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والإحسان من أحسن، فيكون معناها أنه ارتضى التكليف، وزاد على ما كلفه "[4].

وابن السبيل: هو المسافر على ظهر طريقه، وسمي ابنه للزومه له، كما قيل: ابن ماء، للطائر الملازم للماء[5].

أقول:

يظهر جلياً من الآية أن الله ﷻ أمر بالإحسان لابن السبيل، وذلك بإعطائه ليس فقط من النفقة الواجبة كالزكاة بل مما زاد على ذلك من وجوه الإحسان المستحبة، كالنفقة والصدقة كما مر.

ولعل القرآن يحفزنا ويحثنا على إعطاء ابن السبيل في أكثر من حق في أكثر من آية لعلم الله ﷻ بالحال التي وصل إليها ابن السبيل، الغريب عن دياره، الذي انقطعت به السبل، فكان لزاماً على المسلمين الوقوف بجانبه، وتقديم يد العون له، فتكون بذلك مساعدته مادياً ومعنوياً.

ثانياً: وردت كلمة سبيل معرفة بالإضافة:

1. **مضافة إلى لفظ الجلالة (الله):** كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ** ﴾[6].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (3/8)، بتصرف.

(2) الكشاف: الزمخشري (82/4).

(3) سورة النساء: من الآية (36).

(4) تفسير الشعراوي: الشعراوي (2219/4).

(5) المحرر الوجيز: ابن عطية (51/2).

(6) سورة البقرة: الآية (156).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2. **مضافة إلى الطاغوت:** كما في قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ** ﴾[1].

3. **مضافة إلى المؤمنين . المؤمنون:** كما في قوله تعالى: ﴿ **غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[2].

4. **مضافة إلى المجرمون . المجرمين:** كما في قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ** ﴾[3].

5. **مضافة إلى الذين لا يعلمون:** كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾[4].

6. **مضافة إلى ربك:** كما في قوله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** ﴾[5].

7. **مضافة إلى الرشاد:** كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾[6].

8. **مضافة إلى الرشد:** كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً**﴾[7].

سَبِيلاً﴾[7].

9. **مضافة إلى الغي:** كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً** ﴾[8].

جاءت **سبيل** معرفة بإضافة هذه الألفاظ إليها، وسنتناولها إن شاء الله بالدراسة، وبيان معانيها:

أولاً: إضافة سبيل للفظ الجلالة (الله) (سبيل الله):

والملاحظ أن كلمة (سبيل الله) مسبوقة في القرآن بحرف جر **في**، فتكون: " في سبيل الله"، وبالنظر والتأمل في كتاب الله ﷻ نجد أن كلمة " في سبيل الله " جاءت:

---

(1) سورة النساء: من الآية (76).
(2) سورة النساء: من الآية (115).
(3) سورة الأنعام: الآية (55).
(4) سورة يونس: الآية (89).
(5) سورة النحل: من الآية (125).
(6) سورة غافر: الآية (38).
(7) سورة الأعراف: من الآية (146).
(8) سورة الأعراف: من الآية (146).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◊ **في سياق الآيات التي يُذكر فيها القتال:** كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ **قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ**﴾[2].

◊ **ووردت في سياق الإنفاق:** كما في قوله تعالى: ﴿ **وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾[3].

◊ **وردت في سياق الهجرة:** كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً** ﴾[4].

◊ **وردت في سياق الجهاد:** كما في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ** ﴾[5].

◊ **وردت في سياق الضرب في الأرض:** كما في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ** ﴾[6].

• معنى قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ**﴾[7].

قال الطبري ـ رحمه الله ـ: " معنى قوله تعالى ذكره: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ** ﴾[8] على طاعتي في جهاد عدوكم، وترك معاصيَّ، وأداء سائر فرائضي عليكم، ﴿ **وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ** ﴾: هو ميت، فإن الميت من خلقي من سلبته حياته وأعدمته حواسه، فلا يلتذ لذة ولا يدرك نعيماً، فإن من قتل منكم من سائر خلقي في سبيلي أحياء عندي، في حياة ونعيم وعيش هني، ورزق سني، فرحين بما آتيتهم من فضلي وحبوتهم به من كرمي "[9].

قلت:

في ذلك إشارة إلى أنه قد يوجد سُبل أخرى يُقتل فيها الإنسان، ولكنها لا تؤول به إلى

---

(1) سورة البقرة: الآية (190).
(2) سورة آل عمران: من الآية (13).
(3) سورة البقرة: من الآية (195).
(4) سورة النساء: من الآية (100).
(5) سورة التوبة: من الآية (20).
(6) سورة النساء: من الآية (94).
(7) سورة البقرة: الآية (154).
(8) سورة البقرة: من الآية (153).
(9) جامع البيان: الطبري (42/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نعيم الله، كقتله في سبيل الله، فمن الناس مَن يقتل من أجل فكرة ضالة متمسك بها، كما يفعل الملحدون، ومنهم من يقتل نفسه في سبيل الإمبراطور، كما يفعل أو فعله البعض في اليابان، والبعض يقتل من أجل الرياء والسمعة والشهرة، فكل ذلك في غير سبيل الله؛ وأما من قتل في سبيل الله فهم الشهداء الذين وعدهم الله بالخير الكثير والجنة، وكما جاء في الحديث عن ابن عباس . رضي الله عنهما . قال: قال رسول الله ﷺ: " **الشُّهَداءُ عَلَى بَارِقِ نَهْرٍ بِبَابِ الجَنَّةِ فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ** "[1].

- وفي قوله تعالى: ﴿ **وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[2].

هذه الآية جاءت بعد آيات القتال، ومعناها: أعدوا أنفسكم للقتال في سبيل الله، وقوله: ﴿ **وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ يقتضي منا أن نعرف أن كلمة تهلكة على وزن تفعلة، ولا يوجد على وزن تفعلة في اللغة العربية سوى كلمة تهلكة، **والتهلكة:** هي الهلاك، وهو خروج الشيء عن حال صلاحه بحيث لا يدري أين يذهب، ومثال ذلك هلاك الإنسان، يكون بخروج روحه ﴿ **لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ** ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ يكشف لنا بعضاً من روائع الأداء البياني في القرآن، ففي الجملة الواحدة تعطيك الشيء ومقابل الشيء، وهذا أمر لا تجده في أساليب البشر، فالحق في هذه الآية بقوله لنا: ﴿ **وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ** ﴾ أي أنفقوا في الجهاد، كما يقول بعدها: ﴿ **وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ لماذا؟ لأن الإنفاق هو إخراج المال إلى الغير الذي يؤدي لك مهمة تفيد في الإعداد لسبيل الله، كصناعة الأسلحة والإمدادات التموينية، أو تجهيز مبان وحصون، وهذه أوجه إنفاق المال[4].

يرى الباحث:

أن المتأمل في لفظة ﴿ **فِي سَبِيلِ اللّهِ** ﴾ يجد أنها جاءت في سياق الأعمال الصالحة، وأي أعمال! فلقد جاءت في سياق القتال في سبيل الله والهجرة، والجهاد والإنفاق في سبيل الله، فيا ترى ما مدلول هذه اللفظة وتأثيرها ولطائفها؟.

---

(1) المستدرك: الحاكم (84/2 ح 2403)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (194/5): " رواه أحمد وإسناده رجاله ثقات).

(2) سورة البقرة: الآية (195).

(3) سورة الأنفال: من الآية (42).

(4) تفسير الشعراوي: الشعراوي (844/2، 845).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن **(في)** في أصل الوضع اللغوي تفيد الوعاء والظرفية[1].

يقول الرماني: " في: وهي من الحروف العوامل، وعملها الجر، ومعناها: الوعاء، تقول من ذلك: المال في الكيس، واللص في السجن، أي اشتمل الكيس على المال، والسجن على اللص، وقد يتسع فيها فتجرى مجرى المثل، وذلك نحو قولك: فلان ينظر في العلم، كأن العلم قد اشتمل عليه "[2].

وبناء على ما تقدم يكون المعنى في التعبير الكريم: إنه ينبغي أن يكون سبيل الله تعالى مشتملاً على ما تتقون، في أي شيء تفعلونه، من إنفاق مال وجهاد، ينصرف بحيث تكون هذه الأعمال الصالحة لله ﷻ لا يدخل معها رياء ولا سمعة أو منَّة، أو تعلُّق نفس، أو أي أذى، فإن ذلك وما شاكله يكدر الظرف، وقد يغير الوعاء بالكلية، فلا يكون في سبيل الله، وإنما في سبيل غيره، فيكون حرياً بالرد والبطلان، كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى** ﴾[3]. وبذلك يعلم أن شرط الإخلاص حققه حرف الجر (في) ونهض به، وهذا من دقة الاصطفاء القرآني في مجال حروف المعاني، فقد أفاد هذا الحرف شرطا مهماً لقبول الأعمال، وهو أن تكون خالصة لله ﷻ وذلك بمقتضى المدلول الظرفي للحرف (في)[4].

والسبيل في الأصل: هو الطريق الممتد طولاً، وسمي الطريق سبيلاً لامتداده ولكونه يفضي سالكه إلى الغاية، ويوقفه على النهاية، وذلك بحسب ما يضاف إليه، فسبيل مكة . مثلاً . يفضي إلى مكة، وسبيل الله تعالى يفضي إلى مرضاة الله وجناته وينقذ سالكه من النيران، وسائر صنوف الهوان[5].

وإضافة السبيل إلى الله أكسبت المضاف تعريفاً وتخصيصاً وتحديداً وتقييداً[6]، يقول الفخر الفخر الرازي: " واعلم أن الإنفاق هو صرف المال إلى وجوه المصالح، فلذلك لا يقال في المطيع: إنه منفق، فإذا قُيد الإنفاق بذكر سبيل الله، فالمراد به طريق الدين؛ لأن السبيل هو

---

(1) انظر: حروف المعاني: الزجاجي (ص: 12)، وصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي (ص: 450، 454).

(2) معاني الحروف: الرماني (ص: 96).

(3) سورة البقرة: من الآية (264).

(4) النظم القرآني في آيات الجهاد: عبد الرحمن (ص: 42، 43) بتصرف.

(5) السابق نفسه.

(6) السابق نفسه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطريق، وسبيل الله هو دينه، فكل ما أمر الله به في دينه من الإنفاق، فهو داخل في هذه الآية"[1].

أقول:

وعلى هذا القول تقاس باقي الأعمال الصالحة التي تكون في سبيل الله، فالقتال والجهاد والصدقات والهجرة وغيرها من الأعمال الصالحة، فمن قُتل في سبيل الله، فلا يعتبر أنه أهلك نفسه، ومن هاجر في سبيل الله، فلا يعتبر أنه نفى نفسه وضيعها، فما دامت في سبيل الله، فهي قربة وطاعة لله ﷻ.

ما الحكمة من اصطفاء التعبير القرآني (في سبيل الله) بعد الأمر بالإنفاق، ولم يُقَلْ في غير القرآن مثلاً: وأنفقوا في سبيل الجهاد؟.

في قوله تعالى: ﴿ **وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾[2].

لقد ذكر الرازي . رحمه الله . وجهين تعليلاً لذلك قائلاً:

الأول: إن هذا التعبير عن العلة في وجوب هذا الإنفاق، وذلك لأن المال مال الله، فيجب إنفاقه في سبيل الله؛ ولأن المؤمن إذا سمع ذكر الله اهتز ونشط، فيسهل عليه إنفاق المال.

الثاني: إن هذه الآية إنما نزلت وقت ذهاب رسول الله ﷺ إلى مكة لقضاء العمرة، وكانت تلك العمرة لا بد أن تفضي إلى القتال إن منعهم المشركون، فكانت عمرة وجهاداً، واجتمع فيه المعنيان، فلما كان الأمر كذلك لا جرم قال تعالى: ﴿ **وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ** ﴾ ولم يقل: وأنفقوا في الجهاد والعمرة[3].

فمحصل ذلك التعبير عموم ما يوصل إلى الله، وأعظمه الجهاد في سبيل الله؛ لأنه يبنى عليه إعلاء الدين، وإنفاذ فرائضه وأحكامه، وإعزاز جانب المسلمين، وكسر شوكة الكافرين[4].

ثانيا: إضافتها إلى الطاغوت:

كما في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ** ﴾[5].

إن هذه الآية احتوت على خطفات إعجازية أشار إليها الشيخ الشعراوي . رحمه الله . حيث قال: " وعرفنا أن الطاغوت: هو المبالغ والمسرف في الطغيان، ويطلق على المفرد والمثنى

---

(1) التفسير الكبير: الرازي (135/5).

(2) سورة البقرة: من الآية (195).

(3) التفسير الكبير: الرازي (136/5)، النظم القرآني في آيات الجهاد: عبد الرحمن (ص: 44)، بتصرف.

(4) النظم القرآني في آيات الجهاد: عبد الرحمن (ص: 44)، بتصرف.

(5) سورة النساء: من الآية (76).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والجمع، فتقول: رجل طاغوت، ورجلان طاغوت، ورجال طاغوت، والحق يقول: ﴿ **اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ**﴾[1].

إذن فالطاغوت يطلق على المفرد وعلى المثنى وعلى الجمع، وهل الطاغوت هو الشيطان؟ يصح. أهو الظالم الجبار الذي يطغيه التسليم له بالظلم؟ يصح. أهو الذي يفرض الشر على الناس فيتقوا شره؟ يصح، وكل تلك الألوان اسمها الطاغوت.

والأسلوب القرآني يتنوع فيأتي مرة ليقول: ﴿ **قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ** ﴾[2].

وانظر للمقابلة هنا: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ** ﴾[3] هنا ﴿ **آمَنُواْ** ﴾ و ﴿ **كَفَرُواْ** ﴾، وهنا أيضاً ﴿ **فِي سَبِيلِ اللّهِ** ﴾ و ﴿ **فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ** ﴾ هذه مقابل تلك، ولكي نعرف العبارات التي يثيرها ربنا سبحانه وتعالى علينا أن ندرك منها الخطفة الإعجازية، قال تعالى في هذه الآية: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ** ﴾ مقابلات؛ لأن الكافر مفهوم أنه طاغوت.

ولكن إذا ذكرت في الثانية مقابلاً لمحذوف من الأولى، أو حذفت من الأولى مقابلاً محذوف من الثانية، هذا يسمونه في الأسلوب البياني إحتباك كيف؟

هاهو ذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ** ﴾[4]. أي تقاتل في سبيل الطاغوت، ويقابلها الفئة التي تقاتل في سبيل الله، ولابد أن تكون مؤمنة.

إذن فالكلام كله منسجم، فقال: ﴿ **قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا** ﴾ وترك صفتها، كمؤمنة وقال: ﴿ **تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ** ﴾، وستعرف على الفور أنها مؤمنة، وربنا يحرك عقولنا كي لا يعطينا المسائل بوضوح مطلق، بل لنُعمل فكرنا، كي لا يكون هناك تكرار، ولكن تعرف أنه إذا قال: ﴿ **فِي سَبِيلِ اللّهِ** ﴾ يعني المؤمنين، وإذا قال: ﴿ **فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ** ﴾ يعني الكافرين[5].

ثالثاً: إضافتها إلى المؤمنين (سبيل المؤمنين):

---

(1) سورة البقرة: من الآية (257).

(2) سورة آل عمران: من الآية (12).

(3) سورة النساء: من الآية (76).

(4) سورة آل عمران: من الآية (12).

(5) تفسير الشعراوي: الشعراوي (2428/4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى** ﴾[1].

نزلت هذه الآية في نفر من قريش قدموا إلى المدينة وأسلموا، ثم انقلبوا إلى مكة كافرين، ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ** ﴾، والمشاقة أي المعاداة، والآية عامة في كل من خالف طريق المسلمين، وفي قوله: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ** ﴾ دليل على صحة القول بالإجماع[2].

رابعاً: إضافتها إلى المجرمين (سبيل المجرمين):

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ** ﴾[3].

الكاف للتشبيه، وذلك إشارة إلى التفصيل الواقع في هذه السورة، أي: ومثل ذلك التفصيل المشار إليه نفصل آيات القران، ونلخصها في صفة أحوال المجرمين، من هو مطبوع على قلبه لا يرجى إسلامه، ومن ترى منه أمارة القبول، وهو الذي يخاف إذا سمع ذكر القيامة، ومن دخل في الإسلام إلا أنه لا يحفظ حدوده، والنسيان يكون لازماً ومتعدياً، وتميم وأهل نجد يذكِّرون السبيل، وأهل الحجاز يؤنثونها... وهو خطاب للرسول ﷺ، وقيل: له ظاهراً، والمراد أمته؛ لأن الرسول ﷺ كان استبانها؛ وخص سبيل المجرمين؛ لأنه يلزم من استبانتها استبانة سبيل المؤمنين، أو يكون على حذف المعطوف لدلالة المعنى عليه، والتقدير: سبيل المجرمين والمؤمنين، وقيل: خص سبيل المجرمين؛ لأنهم أثاروا ما تقدم من الأقوال وهواهم في هذا الموضع، لأنها آيات ردٍّ عليهم، واللام في ﴿ **لِيَسْتَبِينَ** ﴾ متعلقة بفعل متأخر، أي ولتستبين سبيل المجرمين فصلناها لكم، أو قبلها علة محذوفة وهو قول الكوفيين، التقدير: ولنبين لكم ولتستبين[4].

خامساً: إضافتها إلى الرشد والغي (سبيل الرشد، سبيل الغي):

كما في قوله تعالى: ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ** ﴾[5].

في هذه الآية سبيلان:

---

(1) سورة النساء: من الآية (115).

(2) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (247/5، 248)، بتصرف.

(3) سورة الأنعام: الآية (55).

(4) تفسير البحر المحيط: أبو حيان (144/4، 145)، بتصرف.

(5) سورة الأعراف: الآية (146).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأول: سبيل الرشد: وهو الذي ابتعد عنه المتكبرون.

الثاني: سبيل الغي: الذي اتخذه المتكبرون سبيلاً.

وسبيل الرشد جاءت بمعنى طريق الهداية والسداد، لا يتخذوه لأنفسهم سبيلاً؛ وسبيل الغي أي طريق الضلال يتخذونه سبيلاً، ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ** ﴾ عن التفكر فيها، والاتعاظ بها، وغافلين: ساهين[1].

والمتكبرون ﴿ **إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا** ﴾ أي يختارونه لأنفسهم مسلكاً مستمراً لا يكادون يعدلون عنه، لموافقته لأهوائهم الباطلة، وإفضائه بهم إلى شهواتهم، ﴿ **ذَلِكَ** ﴾ إشارة إلى ما ذكر من تكبُّرهم وعدم إيمانهم بشيء من الآيات، وإعراضهم عن سبيل الرشد، وإقبالهم التام إلى سبيل الغي[2].

أقول وبالله التوفيق:

لعل ما ذُكر من تفسير لهذه الآية يوضح المقابلة التي تكون بين أهل الإيمان وأهل الكفر، من أن أهل الإيمان يسلكون طريق الهداية والرشاد، لأنها تلبي لهم رغباتهم من إرضاء الله ﷻ، أما أهل الباطل فإنهم يسلكون طريق الضلال لإرضاء رغباتهم؛ ففي هذه الآية توجد مقابلة في قوله تعالى: ﴿ **سَبِيلَ الرُّشْدِ** ﴾ ويقابلها: ﴿ **سَبِيلَ الْغَيِّ** ﴾.

سادساً: إضافتها للاسم الموصول:

أ. إضافتها للاسم الموصول (الذين):

كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[3].

قلت:

في قوله تعالى: ﴿ **سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ يمكن القول بأن الذين لا يعلمون هم الجهلة، فتكون الآية بمعنى: ولا تتبعان سبيل الجهلة.

وفي هذه الآية يعني أنه قد ﴿ **أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا** ﴾ يا موسى وهارون، لأن هارون كان يُؤَمِّن، ﴿ **فَاسْتَقِيمَا** ﴾ فاثبتا، على ما أنتما عليه من الدعوة وإلزام الحجة، ولا تستعجلا، فإن ما طلبتما كائن ولكن في وقته، ﴿ **وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ طريق الجهلة في الاستعجال، أو عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله تعالى[1].

---

(1) معالم التنزيل: البغوي (200/2).

(2) تفسير أبي السعود: أبو السعود (272/3).

(3) سورة يونس: الآية (89).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يظهر مما سبق:

أن الاستقامة هنا سبيل وطريق الأنبياء، فهي إشارة إلى أن نكون متبعين لطرق الأنبياء؛ فإن كان هنا نهي لموسى وهارون عليهما السلام بأن لا يكونا متبعَيْن لطريق الجهلة، فمن باب أولى أن يكون أتباع الأنبياء هم المقصودون بأن لا يكونوا متبعين هذه الطريق؛ وهنا إشارة للمؤمنين بعدم الاستعجال لنصر الله وإظهار الحق، وأن يكون لهم الأسوة في موسى وهارون وفي جميع الأنبياء عليهم السلام، أن نصر الله قادم؛ وهنا إشارة إلى أن الجهلة هم من يزيغون ويحيدون عن طريق الاستقامة والهداية، أما المؤمنون فهم على طريق مستقيم بهداية من الله ﷻ.

ب. إضافتها إلى الاسم الموصول (مَن):

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[2].

﴿ **وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ** ﴾ أي سبيل المؤمنين في دينك، ولا تتبع سبيلهما فيه، وإن كنت مأموراً بحُسن مصاحبتهما في الدنيا[3].

﴿ **سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ** ﴾ أي رجع إليَّ بالتوحيد والإخلاص بالطاعة، وحاصله اتبع سبيل المخلصين[4].

وفي هذا وصية لجميع العالم، كأن المأمور الإنسان، و﴿ **أَنَابَ** ﴾ معناه: مال ورجع إلى الشيء، وهذه سبيل الأنبياء والصالحين، وحُكي أن المأمور سعد بن أبي وقاص ﷺ حيث أتى به أبو بكر ﷺ فالله يخاطبه باتباع طريق أبي بكر ﷺ[5].

أقول:

إذن فقد ورد في تفسير قوله تعالى عدة معان منها: سبيل المؤمنين، سبيل المخلصين، الراجعون إلى الله، أبو بكر ﷺ، ولا تعارض بين هذه الأقوال لأن المؤمنين والمخلصين والراجعين كلها تؤدي إلى نفس المعنى، وبالنسبة لأبي بكر ﷺ فمَن المؤمن والمخلص إن لم

---

(1) تفسير البيضاوي: البيضاوي (213/3).

(2) سورة لقمان: الآية (15).

(3) تفسير النسفي: النسفي (283/3).

(4) روح المعاني: الآلوسي (87/21).

(5) المحرر الوجيز: ابن عطية (349/4)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يكن أبا بكر ﷺ، وهو صاحب رسول الله ﷺ وخليفة المسلمين بعد رسول الله ﷺ، وعليه من الممكن أن نعتبر أن هذا من ذكر الخاص بعد العام، ومن المعلوم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

سابعاً: إضافتها إلى الرب (سبيل ربك):

كما في قوله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾[1].

في هذه الآية حكاية أمر النبي ﷺ باتباع ملة إبراهيم عليه السلام[2]، ومن أمره ﷺ بالدعوة إليها من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه، فتأمل.

﴿ **ادْعُ** ﴾ أي من بُعثت إليهم من الأمة قاطبة، فحذف المفعول للتعميم، أو افعل الدعوة، كما في قولهم: يعطي ويمنع، أي يفعل الإعطاء والمنع، فحذفه للقصد إلى إيجاد نفس الفعل إشعاراً بأن عموم الدعوة غني عن البيان وإنما المقصود الأمر بإيجادها على وجه مخصوص.

﴿ **إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ** ﴾ إلى الإسلام الذي عبر عنه تارة بالصراط المستقيم وأخرى بملة إبراهيم عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية وتبليغ الشيء إلى كماله اللائق شيئاً فشيئاً مع إضافة الرب إلى ضمير النبي ﷺ ﴿ **رَبِّكَ** ﴾ في مقام الأمر بدعوة الأمة على الوجه الحكيم... ﴿ **وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** ﴾ أي الخطابات المقنعة والعِبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم أنك تناصحهم، فالأولى لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق، والثانية لدعوة عوامهم ... ﴿ **وَجَادِلْهُمْ** ﴾ أي ناظر معانديهم ﴿ **بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ بالطريقة التي هي أحسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين[3].

قلت:

إن في هذه الآية أسلوب دعوي يعجز البشر عن الإتيان به، هو الجمع بين دعوة الخواص والعوام، وكل حسب فهمه، ومع الإشراك بينهما في أمور العقائد، وهذا درس للدعاة لاختيار الأسلوب المناسب لمن يدعونه، فإن كان من طبقة العلماء فلهم ما يناسبهم من حوار ومجادلة ومناظرة والإتيان بالبراهين، وكل ذلك برفق ولين ليس فيه تشدد ولا تعصُّب، والهدف يكون الوصول إلى الحق؛ وإن كان من طبقة العوام فلهم أيضاً ما يناسبهم من أسلوب وحوار، وقد

---

(1) سورة النحل: الآية (125).

(2) وذلك في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ سورة النحل: الآية (123).

(3) تفسير أبي السعود: أبو السعود (151/5)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جمع ﷺ هذين الأمرين وذلك بدعوته لأكابر الأقوام وعوامهم؛ وإن الأمة الإسلامية تفقد شيئاً مهماً في الدعوة إلى الله وهو الحكمة، فإننا نجد الأمة الآن بين متساهل ومتشدد، والفتن والأهوال تحيط بها من كل الاتجاهات نسأل الله الخلاص.

وهذه الآية اشتملت على شيء مهم هم ضرورة الإخلاص في الدعوة إلى الله ﷻ، فلا تكون الدعوة إلا لدين الله ومن أجل الله ﷻ لا من أجل المصالح التي قد تنال بدعوة أكابر الأقوام، ولا من أجل السمعة والجاه، بل تكون لله ﷻ وهذا ما يفهم من قوله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ** ﴾ فهي بمعنى سبيل الله.

وإن الداعي إذا أراد أن يدعو غيره فلا بد فيما يدعو إليه من أمرين:

أحدهما: المقصود المراد.

والثاني: الوسيلة والطريق الموصل إلى المقصود، فلهذا يذكر الدعوة تارة إلى الله ﷻ وتارة إلى سبيله سبحانه هو المعبود المراد المقصود بالدعوة[1].

ثامناً: إضافتها إلى الرشاد (سبيل الرشاد):

كما في قوله تعالى: ﴿ **يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾[2]، وقوله: ﴿ **وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾[3].

وردت هذه اللفظة مرتين في سورة غافر مرة على لسان فرعون ومرة على لسان الرجل الذي آمن وكل يعد من يخاطبه أنه سيهديه إلى سبيل الرشاد، فما الفرق بينهما؟

أولاً: سبيل الرشاد عند فرعون:

جاء في تفسير الآية: ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾ تفطن فرعون إلى أنه المعرَّض به في خطاب الرجل المؤمن قومه فقاطعة كلامه وبين سبب عزمه على قتل موسى عليه السلام بأنه ما عرض عليهم ذلك إلا لأنه لا يرى نفعاً إلا في قتل موسى عليه السلام ولا يستصوب غير ذلك، ويرى أن ذلك هو سبيل الرشاد ... والسبيل مستعار للعمل وإضافته إلى الرشاد قرينة، أي ما أهديكم وأشير عليكم إلا بعمل فيه رشاد، وكأنه يعرِّض بأن كلام مؤمنهم سفاهة رأي[4].

---

(1) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير: ابن تيمية (162/15).

(2) سورة غافر: الآية (29).

(3) سورة غافر: الآية (38).

(4) التحرير والتنوير: ابن عاشور (133/24).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقيل: إن سبيل الرشاد هو اسم صنم من أصنام فرعون[1].

قلت:

إن سبيل الرشاد عند فرعون هو قتل موسى عليه السلام وكيفية التخلص منه، فهكذا تتقلب المعايير عند أهل الفساد فيكون قتل الصالحين والمؤمنين هو طريق الرشاد لهم ولأقوامهم وهذا حاصل في واقعنا من ملاحقة المؤمنين والصالحين في أنحاء العالم، وإقناع الناس بأن في قتلهم طريق الرشاد والمصلحة، وهذه سنة منذ زمن فرعون بل من قبله وإلى زمننا هذا، وستسمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ثانياً: سبيل الرشاد عند مؤمن آل فرعون:

في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾[2].

سبيل الرشاد: بمعنى طريق الهدى[3].

سبيل الرشاد: أي سبيلاً يصل سالكه إلى المقصود وفيه تعريض بأن ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغي والضلال[4].

وهذا الخطاب من مؤمن آل فرعون إلى قومه من باب الإجمال ثم التبيين وهذا الفهم من سياق الآيات " وهذا مقال في مقام آخر قاله مؤمن آل فرعون فهذه المقالات المعطوفة بالواو مقالات متفرقة ... ورتب خطبته على أسلوب تقديم الإجمال ثم تعقبه بالتفصيل فابتدأ قوله: ﴿ **اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾ وسبيل الرشاد مجمل وهو على إجماله مما تتوق إليه النفوس فربْطُ حصوله باتباعهم إياه مما يقبل بهم على تلقي ما تفسير هذا السبيل ويسترعي أسماعهم إلى ما يقوله إذ لعله سيأتيهم بما ترغبه أنفسهم ... فجملة ﴿ **إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ** ﴾[5] مبينة لجملة ﴿ **أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾[6].

أقول:

إن سبيل الرشاد عند فرعون هو سبيل الغي والضلال، وهو المؤدي إلى النار، أما سبيل

---

(1) الإتقان: السيوطي (375/2).

(2) سورة غافر: الآية (38).

(3) تفسير البغوي: البغوي (98/4).

(4) تفسير أبي السعود: أبو السعود (277/7).

(5) سورة غافر: من الآية (39).

(6) التحرير والتنوير: ابن عاشور (149/11).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرشاد عند مؤمن آل فرعون فهو طريق الحق والهداية، والذي يؤدي بصاحبه إلى الجنة؛ ولكن لماذا في قول فرعون: ﴿ **أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾ الياء ثابتة في ﴿ **أَهْدِيكُمْ** ﴾ وغير ثابتة في قول مؤمن آل فرعون ﴿ **أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾؟.

الجواب في ذلك أن قول فرعون فيه نوع من الشك وعدم اليقين، أما قول مؤمن آل فرعون ففيه اليقين على صدق ما يقول، وفي ذلك طمأنة للمخاطبين في قول مؤمن آل فرعون على خلاف قول فرعون.

وهكذا يجب أن يكون الداعية الصادق فيما يدعو إليه، فلا بد أن يُشعر المخاطبين بصدق ما يقول، حتى يطمئنهم على سلامة الطريق التي سيسلكونها، وأنها تحقق آمالهم وأمنهم في الدنيا والآخرة.

وأمر آخر أن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، لذلك جاءت الياء زيادة في قولة فرعون، فقد زاد في الكلمة حتى يؤكد كلامه، وهذا ينبه في طياته على أسلوب الطغاة من تضخيم الكلام والتهويل فيه لتركيع المخاطبين بالتخويف، وهذا خلاف المؤمن فإن قوله قليل مختصر لا يحتاج إلى تضخيم لإيمانه بأن ما يقول حق وصدق وأنه واقع لا محالة.

ومن الناحية النحوية فإن قول مؤمن آل فرعون واقع في جواب الطلب في قوله: ﴿ **اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ** ﴾ فحُذفت الياء للجزم.

أما قول فرعون ﴿ **وَمَا أَهْدِيكُمْ** ﴾ فهو واقع في سياق النفي، فهو فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدَّرة.

تاسعاً: إضافتها إلى الضمائر المتصلة:

أولاً: إضافتها إلى الهاء:

أ. كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾[1].

والهاء في ﴿ **سَبِيلِهِ** ﴾ عائد على لفظ الجلالة على الله فتكون الآية بمعنى إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيل الله فجاءت سبيل هنا معرفة بالإضافة، بإضافة الهاء لها.

ب. كما في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا** ﴾[2].

فالضمير في ﴿ **سَبِيلَهُ** ﴾ عائد على الحوت الذي ذكر في قصة موسى عليه السلام وغلامه،

---

(1) سورة الأنعام: الآية (117).

(2) سورة الكهف: الآية (61).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإنه يعني أن الحوت اتخذ طريقه الذي سلكه في البحر، ويعني بالسرب المسلك والمذهب يسرب فيه: يذهب فيه ويسلكه[1].

يرى الباحث:

أنه يتبين من هذه الآية أن الطريق ليست قاصرة فقط على الطريق المادي أو الترابي المعروف، بل هناك طريق أخرى هي الطريق المائية؛ لأن طريق الحوت أو السمك لا تكون إلا في البحر والماء، وليست هذه الطريق المائية قاصرة فقط على الحيتان والأسماك، بل هناك الغواصات والسفن، وكل لها طريق ومجال تسلكه، فالسفن أعلى الماء، والغواصات داخل الماء، فكلمة سبيل وطريق أعم من أن تكون مقصورة فقط على الطريق الترابي أو الجبلي إلى غير ذلك من الطرق.

ثانياً: إضافتها إلى ياء المتكلم:

كما في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[2].

" أي قل يا محمد: هذا هو منهجي، والسبيل كما نعلم هو الطريق، وقوله الحق ﴿ **هَذِهِ سَبِيلِي** ﴾ يدل على أن كلمة السبيل تأتي مرة مؤنثة كما في هذه الآية، وتأتي مرة مذكرة، كما في قوله الحق: ﴿ **وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا**﴾[3]، وأعلن يا محمد أن هذه الدعوة التي جئت بها هي للإيمان بالله الواحد وسبحانه لا ينتفع بالمنهج الذي نزل عليك ليطبقه العباد بل فيه صلاح حياتهم..."[4].

وعليه:

فالخطاب إذن موجه للنبي ﷺ فالضمير في ﴿ **سَبِيلِي** ﴾ عائد على النبي ﷺ وأمته داخلة فيه أيضاً؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولأن النبي ﷺ هو قائد وقدوة أمته، وفيها توضيح لطريقة الدعوة إلى الله، بالاتباع لمنهج النبي ﷺ على بصيرة.

ثالثاً: إضافتها إلى الضمير (هم):

كما في قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا**

---

(1) جامع البيان: الطبري (273/15)، بتصرف.

(2) سورة يوسف: الآية (108).

(3) سورة الأعراف: من الآية (146).

(4) تفسير الشعراوي: الشعراوي (7124/12، 7125).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1].

" هذه الآية فيها تأمل، وذلك أن الله تعالى علق القتل على الشرك، ثم قال: ﴿ فَإِنْ تَابُوا﴾ والأصل أن القتل متى كان للشرك يزول بزواله، وذلك يقتضي زوال القتل بمجرد التوبة من غير اعتبار إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ولذلك سقط القتل بمجرد التوبة، قبل وقت الصلاة والزكاة، وهذا بيِّن في المعنى غير أن الله تعالى ذكر التوبة وذكر معها شرطين آخرين، فلا سبيل إلى إلغائهما، نظيره قوله ﷺ: " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللهُ.. "[2]، ... هذه الآية دالة على أن من قال: قد ثبت أنه لا يجتزأ بقوله حتى يضاف إلى ذلك أفعاله المحققة للتوبة "[3].

أقول:

الضمير هنا عائد على المشركين الذين صاروا في حوزة المؤمنين، فإن تابوا توبة نصوحاً، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يخلي المسلمون سبيلهم ويعفون عنهم.

رابعاً: مضافة إليها نون الجماعة:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[4].

اللام في ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ هي لام التبليغ، أي قالوا مخاطبين لهم: اسلكوا طريقتنا وادخلوا في ديننا ﴿ وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ﴾ أي إن كان اتباع سبيلنا خطيئة تؤاخذون بها عند البعث والنشور كما يقولون فلنحمل ذلك عنكم فنؤاخذ به دونكم؛ واللام في ﴿ وَلْنَحْمِلْ ﴾ لام الأمر كأنهم أمروا أنفسهم بذلك..[5].

3. جاءت جمعاً:

أ. كما في قوله تعالى: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[6].

---

(1) سورة التوبة: الآية (5).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (أبواب القبلة، باب فضل استقبال القبلة يستقبل بأطراف رجليه 153/1 ح 385).

(3) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (48/8، 49)، بتصرف.

(4) سورة العنكبوت: الآية (12).

(5) فتح القدير: الشوكاني (241/4)، بتصرف.

(6) سورة المائدة: الآية (16).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" ﴿ **سُبُلَ السَّلَامِ** ﴾ في هذه الآية سبل جمع سبيل وهي مضافة إلى السلام ومعنى ﴿ **سُبُلَ السَّلَامِ** ﴾ طرق السلامة والنجاة من عذاب الله، أو سبل الله "[1].

قلت:

الصلة هنا واضحة في خاتمة الآية أو الفاصلة القرآنية لهذه الآية، بقوله تعالى: ﴿ **وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ فمن اتبع سبل الله بتطبيق شرعه وأوامره، قادته إلى طريق السلامة، وهي الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو طريق معتدل غير معوج، يؤدي بسالكه إلى الجنة؛ فالعلاقة هنا علاقة اتباع وجزاء؛ اتباع المنهج والسلوك والعقيدة، وجزاء بالهداية للصراط المستقيم والجنة.

" وقيل: ﴿ **سُبُلَ السَّلَامِ** ﴾ طرق السلامة من العذاب الموصلة إلى دار السلام المنزهة عن كل آفة؛ وقيل: المراد بـ ﴿ **السَّلَامِ** ﴾: الإسلام، ﴿ **وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ** ﴾ الكفرية ﴿ **إِلَى النُّورِ** ﴾ الإسلامي ﴿ **وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ إلى طريق يتوصلون بها إلى الحق لاعوج فيها، ولا مخافة "[2].

ولا يوجد تعارض بين هذه الأقوال، فإن سبل السلام تكون بتطبيق الإسلام، وهو المؤدي إلى الجنة.

ب. وكما في قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[3].

لنا في هذه الآية وقفات، ولكن بعد التعرف على معنى هذه الآية، فقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا** ﴾ أي في شأننا ولوجهنا خالصاً، أطلق المجاهدة ليعم جهاد الأعادي الظاهر والباطن ﴿ **لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ سبل البر إلينا والوصول إلى جانبنا، أو لنهدينهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقهم لسلوكها كقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى** ﴾[4] ... ﴿ **وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ معية النصر والمعونة[5].

والمتأمل في الآية يعلم وجه الربط بين المجاهدة والهداية في الآية، فالهداية لا تكون إلا بعد مجاهدة، فهي كالثمرة لها.

---

(1) الكشاف: الزمخشري (601/1).

(2) فتح القدير: الشوكاني (31/2).

(3) سورة العنكبوت: الآية (69).

(4) سورة محمد: من الآية (17).

(5) تفسير أبي السعود: أبو السعود (48/7).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله تعالى: ﴿ **لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ أي الطريق الموصل إلينا[1].

يرى الباحث:

أولاً: قوله ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا** ﴾ اسم موصول المراد به المجاهدون.

﴿ **جَاهَدُوا فِينَا** ﴾: جاهد: فعل ماضٍ، ﴿ **لَنَهْدِيَنَّهُمْ** ﴾ فعل مضارع.

قد يقول قائل: سياق الآيات يتطلب أن يكون: الذين يجاهدون فينا لنهدينهم أو: الذين جاهدوا فينا هديناهم، فقوله تعالى: ﴿ **جَاهَدُوا** ﴾ بالفعل الماضي على اعتبار أن ﴿ **وَالذِينَ جَاهَدُوا** ﴾ في الهجرة؛ الهجرة حدث مضى، فناسب الفعل الماضي الحدث المقتضي، فهؤلاء الذين جاهدوا في الهجرة " لنهدينهم سبل الثبوت على الإيمان، والسبل هنا يحتمل أن تكون طرق الخير ومسالكها، ويحتمل أن تكون سبل الأعمال المؤدية إلى الجنة والعقائد النيرة "[2].

وعلى اعتبار أن الخطاب بالماضي، ولكن المراد منه المضارع أن يكون ﴿ **جَاهَدُواْ فِينَا**﴾ بمعنى يجاهدون فينا، وقد استعمل القرآن ذلك لأمور بلاغية في مواطن كثيرة، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾[3]، فقد عبر بصيغة الماضي بدلاً من المضارع.

ومعنى ذلك أن يكون قوله تعالى: ﴿ **وَالذِينَ جَاهَدُوا** ﴾ أن الجهاد في سبيل الله قديم، والذين جاهدوا فينا هديناهم طرقنا، وكانت معيتنا معهم.

ثانياً: الآية أوسع من أن تكون كلمة ﴿ **لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ أن تكون خاصة بمن هاجروا فقط، فهي عامة لكل المجاهدين، الذين يجاهدون في سبيل الله، والذين يطلبون العلم، وغيرهما، وإن المجاهدين يهديهم الله سبله وطرقه في كل وقت وكل حين.

ولعل هذا ما نلمسه في أيامنا هذه من كرامات وهدايات من الله تعالى للمقاتلين في سبيله، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ. ما حدث في اجتياح العدو لمدينة جباليا[4] حيث وفق الله أحد المجاهدين لفكرة الغطاء حتى لا يُكشفوا ويُصوروا من قِبل طائرات الاستطلاع فقام الناس بتغطية الأماكن التي يتواجد فيها المجاهدون بما يسمى بالشادر ورد الله بذلك كيد الكائدين؛ أليس هذا من باب قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾.

---

(1) فتح القدير: الشوكاني (262/4).

(2) المحرر الوجيز: ابن عطية (326/4).

(3) سورة النمل: من الآية (87)، وانظر: علوم البلاغة: علوان (ص: 82).

(4) كان هذا بتاريخ 2004/9/29-2004/11/14، واستمر الاجتياح لمدة أسبوعين تقريباً، وارتقى إلى العلا فيه 135 شهيداً، وأبلى فيه المجاهدون بلاء حسناً، ورد الله الذين كفروا بغيظهم مدحورين والحمد لله.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب. ما قام به المجاهدون من حفر الأنفاق، مَن الذي هداهم لهذه الفكرة؟ أليس الله؟ أليس هذا من باب قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾؟.

ج. ولا ننسى ما حدث مع سعد بن أبي وقاص ﷺ من استخدام الخيول لعبور النهر في فتح المدائن وبلاد فارس وهذا من باب قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾.

هناك أمور كثيرة تحتاج إلى بحث، وهي تحت باب: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾.

4. جاءت كلمة سبيل مسبوقة بحروف الجر:

أولاً: مسبوقة بحرف الجر (في):

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ** ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ **وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾[2]، وقد تم الحديث عما تضمنته هذه الآيات من معان، وما أفاد حرف الجر فور دخوله على هذه الآيات[3].

ثانيا: مسبوقة بحرف الجر (عن):

إن الناظر في الآيات المتعلقة بلفظة سبيل المسبوقة بحرف الجر عن، يجد أنها جاءت في سياق الضلال، وفي سياق الصد عن سبيل الله ﷻ:

1.في سياق الصد عن سبيل الله:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ** ﴾[4].

" **والصد:** المنع عن عمل، والسبيل هنا ما يوصل إلى المطلوب الحق، وهو السعادة الدائمة، فإن الشيطان بتسويله لهم كُفْرَهُم، قد حرمهم من السعادة الأخروية، فكأنه منعهم من سلوك طريق يبلغهم إلى المقر النافع[5].

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾[6].

إن القارئ لهذه الآية يظن لأول وهلة أن الضمير في قوله: ﴿ **وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ** ﴾ عائد

---

(1) سورة البقرة: من الآية (190).

(2) سورة البقرة: من الآية (195).

(3) انظر (ص: 58).

(4) سورة العنكبوت: الآية (38).

(5) التحرير والتنوير: ابن عاشور (249/20).

(6) سورة الزخرف: الآية (37).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على الكفار، ولكن الضمير هنا عائد على الشيطان، وذلك لتناسق الضمائر في ﴿ **وَإِنَّهُمْ** ﴾ و ﴿ **لَيَصُدُّونَهُمْ** ﴾ وفي ﴿ **يَحْسَبُونَ** ﴾ لمدلول واحد، كأن الكلام: وأن العشاة ليصدهم الشياطين عن السبيل، أي سبيل الهدى والفوز[1].

" وقد مُثلت حالة الذين يعشون عن ذكر الرحمن، وحال مقارنة الشياطين لهم بحال من استهدى قوماً ليدلوه على طريق موصل لبغيته، فضللوه وصرفوه عن السبيل، وأسلكوه في فيافي التيه غشاً وخديعة، وهو يحسب أنه سائر إلى حيث يبلغ طلبته "[2].

قلت:

يتبين لنا في هذه الآية أن الذي يصد الإنسان عن طريق الحق والفوز بالجنة هو العدو الأول للإنسان وهو الشيطان، إذ جعل صده للإنسان عن السبيل منهجاً له، إما بنفسه، أو بأتباعه من الشياطين، أو من يوالي الشيطان من شياطين الإنس، فهذا منهجهم وهو الصد عن سبيل الله ﷻ.

2.في سياق الضلال:

- كما في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ** ﴾[3].

الخطاب لعموم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، والغلو: مصدر غلا في الأمر إذا جاوز حده المعروف، فالغلو الزيادة في عمل على المتعارف منه بحسب العقل أو العادة أو الشرع، فمن غلو اليهود تجاوزهم الحد في التمسك بشرع التوراة بعد رسالة عيسى ومحمد . عليهما السلام . ومن غلو النصارى دعوى إلهية عيسى عليه السلام وتكذيبهم محمداً ﷺ.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ** ﴾ عطف على النهي عن الغلو، وهو عطف عام من وجه على خاص من وجه، ففيه فائدة عطف العام على الخاص، وعطف الخاص على العام، وهذا نهي لأهل الكتاب الحاضرين عن متابعة تعاليم الغلاة من أحبارهم ورهبانهم الذين أساؤوا فهم الشريعة عن هوى منهم مخالف للدليل، وقوله: ﴿ **وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ** ﴾ مقابل لقوله: ﴿ **قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ** ﴾ فهذا ضلال آخر متعين، وسواء السبيل الذي ضلوا عنه هو الإسلام[4].

---

(1) تفسير البحر المحيط: أبو حيان (817)، بتصرف.

(2) التحرير والتنوير: ابن عاشور (212/25).

(3) سورة المائدة: الآية (77).

(4) التحرير والتنوير: ابن عاشور (6-290-291)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أقول:

وفي هذا إشارة من الله ﷻ إلى عدم الغلو في الأشياء والتعاليم الشرعية، خاصة إن كانت لموافقة الهوى في النفس، فإن ذلك يؤدي إلى ضلال الإنسان عن الإسلام والطريق السوي السهل، فيؤدي ذلك إلى التشدد والتنطع، وعدم فهم الإسلام على حقيقته، والزيغ عن الحق.

- وكما في قوله تعالى: ﴿ **ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ** ﴾[1].

فقوله تعالى: ﴿ **ثَانِيَ عِطْفِهِ** ﴾ مستكبراً في نفسه، وقيل: لاوٍ رقبته، وقيل: يعرض عن ذكري، ويقول الطبري . رحمه الله .: " وهذه الأقوال الثلاثة متقاربات المعنى، وذلك أن من كان ذا استكبار فمن شأنه الإعراض عما هو مستكبر عنه ولاوٍ عنقه عنه، والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هذا المخاصم في الله بغير علم أنه من كبره إذا دعي إلى الله أعرض عن داعيه، ولوى عنقه عنه، ولم يسمع ما يقال له استكباراً، ويحاول هذا المشرك في الله بغير علم معرضاً عن الحق استكباراً ليصد المؤمنين بالله عن دينهم الذي هداهم له ويستزلهم عنه "[2].

ثالثاً: وردت مسبوقة بحرف الجر (به):

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ** ﴾[3].

أي طريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها[4]؛ والضمير في ﴿ **وَإِنَّهَا** ﴾ عائد على المدينة المُهلكة، وقوله ﴿ **لَبِسَبِيلٍ** ﴾ أي ممر ثابت، وهي بحيث يراها الناس ويعتبرون بها لم تندرس[5].

وهذا تنبيه لقريش كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (137) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾[6].

قلت:

إن في إهلاك الله ﷻ عبرة وعظة للأقوام المقبلة بعدهم، وذلك بترك الآثار حول

---

(1) سورة الحج: الآية (9).
(2) جامع البيان: الطبري (9/114– 115)، بتصرف.
(3) سورة الحجر: الآية (76).
(4) تفسير أبي السعود: أبو السعود (5/86).
(5) البحر المحيط: أبو حيان (5/450)، بتصرف، تفسير الواحدي: الواحدي (1/596).
(6) سورة الصافات: الآيتان (137، 138).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تدميرهم للدلالة على أن هؤلاء القوم قد دمروا وأهلكوا نتيجة أفعالهم الشنيعة، فيكون ما تبقى من الآثار المدمرة عظة وعبرة، فأهل قريش كانوا يرون هذا التدمير والإهلاك بأعينهم؛ لأن هذه الأماكن كانت في طريقهم وممراتهم أثناء تجاراتهم، فكانوا يرونها، والله ﷻ جعلها عبرة وعظة لهم، فما بالنا نحن اليوم نرى العذاب يقع على الناس بأعيننا، نراه رأي العين كما حدث في بعض البلاد في الأمس القريب من زلزال وفيضان للمياه والبحار والأمواج العالية؟[1].

أليست هذه الزلازل والفيضانات لبسبيل مقيم لنا لنتعظ ونتق الله ﷻ؟.

3. **جاءت مصدراً (سبيلاً)**: وجاءت على معان عده:

أ. بمعنى الزاد والراحلة[2]:

كما في قوله تعالى: ﴿ **فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾[3].

ب. بمعنى نسخ حكم بحكم آخر يعني أن السبيل هو الناسخ لذلك[4]:

كما في قوله تعالى: ﴿ **أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا** ﴾[5].

وقد وضح النبي ﷺ ذلك فقال: " **خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً: البِكْرُ بِالبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ** "[6].

ج. جاءت بمعنى وسطاً[7]:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا** ﴾[8].

قال ابن كثير . رحمه الله . كان . أي النبي ﷺ . إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به، قال: فقال الله

---

(1) ما يسمى بموجة تسونامي التي أهلكت ما يزيد عن 270 ألفاً من البشر.

(2) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (387/1).

(3) سورة آل عمران: الآية (97).

(4) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير(463/1).

(5) سورة النساء: من الآية (15).

(6) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الحدود، باب حد الزنى 1316/3 ح 1690).

(7) البحر المحيط: أبو حيان (86/6).

(8) سورة الإسراء: من الآية (110).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ** ﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبون القرآن، ﴿ **وَلَا تُخَافِتْ بِهَا** ﴾ عن أصحابك، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك، ﴿ **وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا**﴾[1].

أقول:

يوجه الله ﷻ الدعاة في هذه الآية إلى استخدام أحسن الدعوة، من سلوك الطريق الوسط، فلا يُعرض نفسه ودعوته للأذى بالسب والاعتراض، ولا يُقصر في توصيل رسالته للمدعوين، ومن الأمثلة المعاصرة على ذلك ما يحدث أحياناً في بعض المساجد من استخدام مكبرات الصوت في بعض الصلوات خاصة صلاة الفجر في لحظات السكون والراحة مما يؤذي الكثير من الناس خاصة المرضى ومن لا تجب عليه الصلاة مثل النساء الحيض، مما يُسبب شتمهم للمسؤولين عن المسجد، أو استنكارهم لهذا الفعل الذي من الممكن أن نتفاداه.

(1) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (70/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

السنــة

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم السنة

المطلب الثاني: مشتقات كلمة السنة في القرآن الكريم

المطلب الثالث: ورود المفردة القرآنية سنة في القرآن الكريم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

مفهوم السنة

بعد التعرف على السبيل ووروودها في القرآن الكريم، والمعاني التي وردت لها؛ أنتقل إلى معرفة نظير آخر من نظائر الطريق وهو السنة.

أولاً: السنة في اللغة:

مأخوذه من السنن، وهو الطريق، ولذلك قيل: فلان من أهل السنة، أي من أهل الطريق المستقيمة المحمودة ... **وفي الأصل:** سنن الطريق، وهو طريق سنه أوائل الناس، فصار مسلكاً لمن بعدهم[1]؛ **والسنة:** السيرة[2].

ثانياً: السنة في الاصطلاح:

للسنة عدة تعاريف في الاصطلاح:

1. **السنة عند المفسرين:**

عرفها الطاهر بن عاشور بأنها: السيرة من العمل أو الخلق الذي يلازم المرء صدور العمل على مثالها[3].

2. **السنة في اصطلاح المحدثين:**

هي كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خُلقية أو خَلقية، أو سيرة، سواء كان ذلك قبل البعثة كتحنثه في غار حراء، أم بعدها[4].

3. **السنة في اصطلاح الفقهاء:**

هي الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب[5].

4. **السنة عند الشيخ القرضاوي:**

هي الطريقة المعتادة التي يجري عليها القَدَر الإلهي في سياسية الخلق عامة، وفي عقاب الطغاة والمكذبين خاصة[6].

---

(1) لسان العرب: ابن منظور (226/13)، بتصرف.

(2) مختار الصحاح: الرازي (133/1).

(3) التحرير والتنوير: ابن عاشور (96/4).

(4) السنة قبل التدوين: الخطيب (ص: 16).

(5) الحديث والمحدثون: أبو زهرة (ص: 10).

(6) المدخل لدراسة السنة النبوية: القرضاوي (ص: 10)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التعريف الراجح:

بعد النظر في التعاريف السابقة فإنني أرجح منها تعريف الشيخ يوسف القرضاوي . حفظه الله . لما احتواه من إيضاح للسنة المرادة في كتاب الله ﷻ؛ إذ أن التعاريف السابقة للسنة أفادت وأرادت سنة رسول الله ﷺ وذلك لأنها معرفة بأل التعريف، يقول الشيخ القرضاوي:

" إذا أطلقت كلمة السنة مفرده ومعرفة بالألف واللام في لغة الصحابة وسلف الأمة ﷺ انصرفت إلى سنة النبي ﷺ ويراد بها: الطريقة التي كان يتحراها . عليه الصلاة والسلام . وبعبارة أخرى، السنة تعني: المنهاج النبوي النظري والعملي "[1].

ويتبين من التعريفات السابقة، أن السنة هي الطريق الموصلة لفهم الأحكام الشرعية، وذلك باعتبار أن السنة شارحة للقرآن ومفصلة لما أُجمل، وذلك باعتبار أن السنة المصدر الثاني من مصادر التشريع.

(1) المدخل لدراسة السنة النبوية: القرضاوي (ص: 10).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

مشتقات كلمة السنة في القرآن الكريم

وردت لفظة السنة ومشتقاتها في القرآن الكريم ست عشرة مرة، ثلاث عشرة مرة بلفظة سُنَّة، ومرتين جاء جمع بلفظ سنن، ومرة واحدة بلفظ سنتنا، وهذا الجدول سيوضح ذلك[1]:

رقم	الكلمة	عدد السور	المكية	المدنية	مثال	التكرار
1	سنة	8	6	7	سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا	13
2	سنن	2	–	2	قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ	2
3	لسنتنا	1	1	–	وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا	1

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: عبد الباقي (ص: 451).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

ورود المفردة القرآنية " سُنَّة " في القرآن الكريم

أولاً: جاءت معرَّفة:

لم تأت سنة معرفة بأل التعريف في القرآن الكريم، بل جاءت معرفة بالإضافة:

1. إضافتها إلى لفظ الجلالة (الله):

كما في قوله تعالى: ﴿ **سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا**﴾[1].

انتصب ﴿ **سُنَّةَ اللَّهِ** ﴾ على النيابة عن المفعول المطلق؛ لأن ﴿ **سُنَّةَ** ﴾ اسم مصدر السن، وهو آت بدلاً من فعله، والتقدير: سنَّ الله ذلك سنة، فالجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، جواباً لسؤال من يسأل: لماذا لم ينفعهم الإيمان وقد آمنوا؟ **فالجواب:** أن ذلك تقدير قدره الله للأمم السالفة، أعلمهم به وشرطه عليهم، فهي قديمة في عباده، لا ينفع الكافر الإيمان إلا قبل ظهور البأس، ولم يُستثنَ من ذلك إلا قوم يونس عليه السلام[2].

يرى الباحث:

أن لفظة ﴿ **سُنَّةَ اللَّهِ** ﴾، وهي لفظة تدل على الإفراد، مرتبطة ارتباطا تاماً بلفظة سنن، وهي جمع لهذه الكلمة لأنها توضح معناها، حيث يقول تعالى: ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ...** ﴾[3].

فالسنن هنا جمع سنة، " والجاري بكثرة على ألسنة المفسرين والمعربين: أن السنة اسم مصدر سنَّ، ولم يذكروا الفعل سنَّ مصدراً قياسياً، وفي القرآن إطلاق السنة على هذا المعنى كثير: ﴿ **وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** ﴾[4]، وفسروا السنة هنا بسنن الله في الأمم الماضية.

والمعنى: قد مضت من قبلكم أحوال للأمم جارية على طريقة واحدة، هي عادة الله في الخلق، وهي أن قوة الظالمين وعتوهم على الضعفاء أمر زائل، والعاقبة للمتقين المحقين، ولذلك قال: ﴿ **فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾[5]، أي المكذبين برسل ربهم ... "[6].

---

(1) سورة الأحزاب: من الآية (33).

(2) التحرير والتنوير: ابن عاشور (222/24)، المحرر الوجيز: ابن عطية (572/4).

(3) سورة آل عمران: من الآية (137).

(4) سورة الأحزاب: من الآية (62).

(5) سورة آل عمران: من الآية (137).

(6) التحرير والتنوير: ابن عاشور (96/4-97)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2. إضافتها إلى الأولين:

كما في قوله تعالى: ﴿ **فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا** ﴾[1].

أي إنما ينظرون العذاب الذي نزل بالكفار الأولين ﴿ **فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا** ﴾.

أي أجرى الله العذاب على الكفار، وجعل ذلك سنة فيهم، فهو يعذب بمثله من استحقه لا يقدر أحد أن يبدل ذلك، ولا أن يحول العذاب عن نفسه إلى غيره، والسنة الطريقة[2].

3. إضافتها إلى الاسم الموصول (من):

كما في قوله تعالى: ﴿ **سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا** ﴾[3].

أي أن سنتنا هذه السنة فيمن أرسلنا قبلك إليهم، أنهم إذا أخرجوا نبيهم من بين أظهرهم، أو قتلوه، أن ينزل العذاب بهم ﴿ **وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً** ﴾، أي ما أجرى الله به العادة لم يتمكن أحد من تحويله ولا يقدر على تغييره[4].

و ﴿ **سُنَّةَ** ﴾ تارة أضافها الله ﷻ إلى لفظ الجلالة، وأضافها هنا إلى **مَن** التي هي بمعنى القوم، لتعلق الأمر بالجانبين[5].

أقول:

وإضافتها إلى لفظ الجلالة تارة، ومَنْ تارة أخرى، يوضح سنة الله في الأقوام، فإن كانت سنة الأقوام هنا التكذيب والإنكار والتعذيب للرسل، فإن سنة الله فيهم الإهلاك والتعذيب، فالعلاقة هنا علاقة توافق بين ما يفعله الأقوام وسنة الله فيهم، فإن كان ما يفعلونه فيه شر، فسنة الله فيهم موافقة ومناسبة لأفعالهم، وهي الإهلاك والتعذيب.

ثانياً: وردت جمعاً (سنن):

كما في قوله تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾[6].

---

(1) سورة فاطر: من الآية (43).

(2) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (230/14).

(3) سورة الإسراء: الآية (77).

(4) فتح القدير: الشوكاني (309/3)، بتصرف.

(5) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (230/14).

(6) سورة النساء: الآية (26).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجاءت سنن بعدة معاني:

أ. ﴿ **سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ** ﴾ مناهج من تقدمكم من أهل الرشد لتسلكوا طرقهم[1].

ب. **وقيل:** ليبين لكم طرق الذين من قبلكم من أهل الحق وأهل الباطل[2].

ج. وقيل: ﴿ **سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ** ﴾ بمعنى سبل مَن قبلكم من أهل الإيمان بالله وأنبيائه[3].

وفي هذه الآية بيان لقصد إلحاق هذه الأمة بمزايا الأمم التي قبلها ... من هداية إلى أصول ما صلح به حال هذه الأمم التي سبقتنا من كليات الشرائع ومقاصدها[4].

قلت:

ولا خلاف في هذه المعاني المتعددة لكلمة **سنن**، فكلها يؤدي إلى معنى واحد، إذ أن هذه المعاني يعتمد بعضها على الآخر، فالوصول إلى الهداية إلى أصول ما صلحت به الأمم يحتاج إلى سبل وطرق، وهي احتوت على مناهج، وهذه المناهج نهجها أهل الرشد، فهي منهج الأنبياء وأهل الإيمان بالله، والثمرة من نهجها هي إرضاء الله ﷻ، وصلاح النفس والمجتمع، والفوز بالجنة.

---

(1) تفسير البيضاوي: للبيضاوي (175/2).

(2) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (98/5)، بتصرف.

(3) جامع البيان: الطبري (29/4).

(4) التحرير والتنوير: ابن عاشور (20/5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

الصـــراط

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الصراط

المطلب الثاني: مشتقات كلمة الصراط في القرآن الكريم

المطلب الثالث: ورود المفردة القرآنية " صراط " في القرآن الكريم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

مفهوم الصراط

أولاً: الصراط في اللغة:

الصراط هو الطريق[1]، الصراط، السراط، الزراط: الطريق[2].

ثانياً: الصراط في الاصطلاح:

1. قال الإمام الطبري .رحمه الله .: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً: أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح البيِّن الذي لا اعوجاج فيه[3].

2. الصراط من السبيل ما لا التواء فيه ولا اعوجاج، بل يكون على سبيل القصد، فهو أخص منها[4].

قلت:

الطريق كلمة عامة إذ إنها تشمل الطريق المستقيم والمعوج أما الصراط فهو معنى خاص للطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وعليه فلا تعارض بين التعريفين، إذ إن مفادهما واحد.

---

(1) مجمل اللغة: ابن فارس (557/2).

(2) لسان العرب: ابن منظور (340/7)، انظر مادة صراط فصل الصاد المهملة.

(3) جامع البيان: الطبري (103/1).

(4) الكليات: الكفوي (ص: 513، 567).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

مشتقات كلمة الصراط في القرآن الكريم

وردت لفظة الصراط ومشتقاتها في القرآن الكريم خمساً وأربعين مرة على النحو التالي[1].

رقم	الكلمة	عدد السور	المكية	المدنية	مثال	التكرار
1	الصراط	6	5	1	اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ	6
2	صراط	21	23	9	صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ	32
3	صراطاً	3	1	4	وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا	5
4	صراطك	1	1	–	لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ	1
5	صراطي	1	1	–	وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا	1

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: عبد الباقي (ص: 500– 501).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

ورود المفردة القرآنية " صراط " في القرآن الكريم

أولاً: وردت معرَّفة:

1. بالألف واللام:

وردت كلمة الصراط معرّفة بأل التعريف بمعنى الطريق الواضح، والإسلام، وكتاب الله[1]، كما في قوله تعالى: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[2].

وبمعنى الطريق الذي يُمشى فيه، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ** ﴾[3]، وتعدية فعل الاستباق إليه على حذف (إلى) بطريقة الحذف والإيصال، قال الشاعر: **تمرون الديار ولم تعوجوا؛ أراد:** تمرون على الديار. أو على تضمين استبقوا معنى ابتدروا، أي ابتدروا الصراط متسابقين، أي مسرعين لما دهمهم، رجاء أن يصلوا إلى بيوتهم قبل أن يهلكوا، فلم يبصروا الطريق[4]؛ يعني أنهم لا يقدرون على سلوك الطريق المعتاد ودون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك[5].

أقول:

اشتملت هاتان الآيتان على المعنى الحقيقي والمجازي لكلمة صراط وطريق، فالمعنى الحقيقي مشتمل في قوله تعالى: ﴿ **فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ** ﴾ والمقصود من الصراط هنا: معناه الحقيقي، وفي قوله تعالى: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ أشار هنا إلى المعنى المجازي لهذه الكلمة لما احتوته من معانٍ كثيرة، ومشتملة على معنى الطريق الحقيقي والمجازي، وهذا إن دلَّ فإنما يدل على بلاغة القرآن في استخدام اللفظة الواحدة في أكثر من معنى.

2. بالإضافة:

أ. إضافتها إلى الاسم الموصول (صراط الذين):

كما في قوله تعالى: ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** ﴾[6].

---

(1) جامع البيان: الطبري (1/102- 105).

(2) سورة الفاتحة: الآية (6).

(3) سورة يس: الآية (66).

(4) التحرير والتنوير: ابن عاشور (23/52).

(5) الكشاف: الزمخشري (3/328)، بتصرف.

(6) سورة الفاتحة: من الآية (7).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهي بدل من الصراط المستقيم، وهو في حكم تكرير العامل، كأنه قيل: اهدنا الصراط المستقيم، اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم.

فما فائدة البدل؟ وهلا قيل: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم؟.

يقول الزمخشري ـ رحمه الله ـ: " فائدته التوكيد، لما فيه من التثنية والتكرير، والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين، ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده "[1].

ب. إضافتها إلى ربك:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا** ﴾[2].

الإشارة بقوله: ﴿ **وَهَذَا** ﴾ إلى القرآن والشرع الذي جاء به الرسول ﷺ، وقيل: التوحيد، وهذا إشارة إلى الهدى والضلال، وأضيفت الصراط إلى الرب على جهة أنه من عنده وبأمره، مستقيماً لا عوج؛ وانتصب مستقيماً على أنه حال مؤكدة[3].

وقيل: في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ** ﴾ أي طريقه الذي اقتضته الحكمة، وعادته في التوفيق والخذلان[4].

قلت:

إن هذا المعنى يكون بمعنى سنة الله، أي أن الصراط هنا بمعنى السنة التي اقتضت قهر الطغاة والعصاة، ونصر المؤمنين، والله تعالى أعلم.

ج. إضافتها إلى الحميد:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ** ﴾[5].

معنى هذه الآية: أن الله يرشدهم إلى أقوال، أي يلهمهم أقوالاً حسنة يقولونها بينهم.

وقد ذكر بعضها في قوله تعالى: ﴿ **دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ** ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ** ﴾[7].

---

(1) الكشاف: الزمخشري (68/1).

(2) سورة الأنعام: من الآية (126).

(3) البحر المحيط: أبو حيان (221/4).

(4) الكشاف: للزمخشري (49/2).

(5) سورة الحج: الآية (24).

(6) سورة يونس: من الآية (10).

(7) سورة الزمر: الآية (74).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويجوز أن يكون المعنى: أنهم يرشدون إلى أماكن يسمعون فيها أقوالاً طيبة ... وجملة ﴿ **وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ** ﴾ معترضة في آخر الكلام، والواو للاعتراض، وهي كالتكملة لوصفِ حُسن حالهم لمناسبة ذكر الهداية في قوله: ﴿ **وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ** ﴾... **والمعنى:** وقد هدوا إلى صراط الحميد في الدنيا وهو دين الإسلام، شُبِّه بالصراط لأنه موصل إلى رضى الله ﷻ، والحميد من أسماء الله تعالى، أي المحمود كثيراً، فهو فعيل بمعنى مفعول، فإضافة صراط إلى اسم الله لتعريف أيِّ صراط هو، ويجوز أن يكون الحميد صفة الصراط أي المحمود وسالكه، فإضافة صراط إليه من إضافة الموصوف إلى الصفة، والصراط المحمود هو صراط دين الله، وفي هذه الجملة إيماء إلى سبب استحقاق تلك النعم أنه الهداية السابقة إلى دين الله في الحياة الدنيا[1].

أقول:

في هذه الآية إشارة من الله ﷻ أن الكلام الطيب هداية منه سبحانه وتعالى، والكلام الطيب سبب من الأسباب التي تؤدي إلى الهداية إلى الصراط المستقيم.

الأقوال الطيبة والكلام الطيب يحيها الله ﷻ، ومحمود عند الله قائله، والحميد اسم من أسماء الله ﷻ، فإضافتها إلى الحميد، وهو اسم من أسماء الله ﷻ أكسبت هذا الصراط تشريفاً وتعظيماً وتقديساً.

د. إضافتها إلى العزيز الحميد: (صراط العزيز الحميد):

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾[2].

في هذه الآية عطف جملة على جملة، ولكن هذا العطف أفاد المقابلة، فعطف هذه الآية ﴿ **وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ** ﴾[3] على الآية السابقة ﴿ **وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ** ..﴾[4].

أفاد هذا العطف المقابلة بين الآيتين، وذلك بالإشارة أن الذين سعوا في الآيات أهل جهالة، وفي قوله: ﴿ **وَيَرَى** ﴾ الرؤية علمية، واختير فعل الرؤية هنا دون ويعلم للتنبيه على أنه علم يقيني بمنزلة العلم بالمرئيات التي علمها ضروري، و﴿ **الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ** ﴾ فسره بعض المفسرين بأنهم علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى ... وإضافتها إلى العزيز الحميد دون بقية

---

(1) التحرير والتنوير: ابن عاشور (234/17، 235).

(2) سورة سبأ: من الآية (6).

(3) سورة سبأ: من الآية (6).

(4) سورة سبأ: من الآية (5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأسماء الحسنى إيماء إلى أن المؤمنين حين يؤمنون بأن القرآن هو الحق والهداية، استشعروا من أن الإيمان أنه صراط يبلغ به إلى العزة قال الله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[1]، ويبلغ إلى الحمد أي الخصال الموجبة للحمد، وهى الكمالات من الفضائل والفواضل[2].

أقول:

توضح هذه الآية أن أهل العلم هم الذين يبصرون الطريق الواضح بتفكرهم وهدايتهم لهذا الطريق، الذي باتباعه يتوصلون به إلى العزة.

هـ. إضافتها إلى الجحيم:

كما في قوله تعالى: ﴿ **فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ** ﴾[3].

الضمير المنصوب في ﴿ **فَاهْدُوهُمْ** ﴾ عائد على الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله، أي الأصنام.

وعطف الفعل ﴿ **فَاهْدُوهُمْ** ﴾ بحرف الفاء الذي يفيد التعقيب، وفيه إشارة لسرعة الأمر بهم إلى النار عقب ذلك الحشر.

والصراط هنا: الطريق، أي طريق جهنم، ولكن كيف تكون الهداية إلى طريق جهنم؟!

الهداية والهدى: الدلالة على الطريق لمن لا يعرفه، فهي إرشاد إلى مرغوب، وقد غلبت في ذلك؛ لأن كون المهدي راغباً في معرفة الطريق من لوازم فعل الهداية، ولذلك تُقابل بالضلالة وهي الحيرة في الطريق، فَذِكْر ﴿ **فَاهْدُوهُمْ** ﴾ هنا تهكم بالمشركين[4]، وعلى سبيل التوبيخ في الامتناع[5].

قلت:

إضافة الصراط إلى الجحيم للدلالة على التوبيخ والتهكم، وللتشنيع، وهذه الإضافة أعطت هذه اللفظة تهويلاً وتخويفاً من سلوك هذا الطريق، وأضفت على سالكه الخزي والاحتقار في الدنيا والآخرة.

و. إضافتها إلى الكاف الدالة على الله ﷻ:

---

(1) سورة المنافقين: من الآية (8).
(2) التحرير والتنوير: ابن عاشور (22/144-146)، بتصرف.
(3) سورة الصافات: الآية (23).
(4) التحرير والتنوير: ابن عاشور (23/102- 103)، بتصرف.
(5) البحر المحيط: أبو حيان (7/341).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[1].

الكاف الذي هو في محل مضاف إليه، يدل على أن المعنى هو صراط الله المستقيم؛ لأن سياق الآيات يدل على ذلك من خلال الحوار الذي دار من الله ﷻ والشيطان عليه لعنه الله.

﴿ **صِرَاطَكَ** ﴾ في هذه الآية انتصب على أنه مفعول به، والتقدير: لأَلزمنَّ بقعودي صراطك المستقيم، وهذا الصراط هو دين الإسلام، وهو الموصل إلى الجنة، **ومعنى قعوده:** أنه يعترض لهم على طريق الإسلام، كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة، وعبر بالقعود دلالة على الثبوت في المكان، وفي الحديث: " **إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الإِسْلامِ، فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ؛ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الهِجْرَةِ، فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ المُهَاجِرِ كَمَثَلِ الفَرَسِ فِي الطولِ؛ فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ، فَهُوَ جُهْدُ النَّفْسِ وَالمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ المَرْأَةُ، وَيُقْسَمُ المَالُ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ ﷻ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ ﷻ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ** "[2].

يرى الباحث:

أولاً: ذِكْرُ القرآن الكريم للفظة القعود، فيها دلالة واضحة على مدى التربص والترصد الذي يحاوله الشيطان، من أن يوقع الإنسان في حباله ومصائده، ليعصي الله ﷻ، فاستخدام القعود تدلل على الفترة الزمنية الطويلة، وليست بالقصيرة، واستخدام صيغة المضارع فيه دلالة على الاستمرارية على القعود والتربص، وأن الشيطان لا ييأس بهذا القعود، فإنه يحاول أن يثبِّط ويقلِّل من عزيمة المؤمن وإغوائه، ويفهم من هذا الحديث أن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه في طريق الإسلام والجهاد والهجرة، محاولاً أن ينال منه، وقد أشير في بداية البحث إلى الفرق بين القعود والجلوس[3].

ثانياً: إضافة صراط إلى الكاف الدالة على الله ﷻ فيها تشريف لهذا الصراط، كما

---

(1) سورة الأعراف: الآية (16).

(2) البحر المحيط: أبو حيان (4/276-277)، بتصرف، والحديث أخرجه النسائي في سننه (كتاب الجهاد، باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد، 6/21 ح 3134)، وصححه الألباني في المصدر نفسه.

(3) انظر (ص: 29).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذكر تعالى في أكثر من آية: ﴿ **صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ﴾[1]، ﴿ **صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾[2]، ﴿ **صِرَاطِ الْحَمِيدِ** ﴾[3].

ثالثاً: هذا اعتراف من الشيطان بأن صراط الله صراطاً مستقيماً، وهو الذي يحاول أن ينهانا ويبعدنا عنه، فهو يشهد بأنه مستقيم، فما بال العصاة الحائدين عن هذا الصراط؟ ألا يعودون؟!

ز. إضافتها إلى الياء التي تدل على محمد ﷺ:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[4].

يقول الشيخ الشعرواي ـ رحمه الله ـ: " أي أنه ختم الوصايا التسع بهذا القول؛ لأن الصراط المستقيم يشمل الوصايا التسع السابقة، ويشمل كل ما لم يذكر هنا، قلت: إننا نلاحظ أن الخمس الأُوَل ذيلها الحق بقوله: ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾، والأربع التي بعدها ذيلها الحق بقوله: ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ والواحدة الجامعة لكل شيء قال تذييلاً لها: ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾.

فما الفرق بين التعقُّل والتذكُّر والتقوى؟.

إن الأشياء الخمسة الأولى التي قالها الحق فيها: ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾[5].

هذه الأشياء كانت موجودة في زمن نزول القرآن، إنهم كانوا يشركون بالله ويعقون والديهم ويقتلون الأولاد، ويقارفون الفواحش، ويقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، فأوضح لهم: تعقلوها، فإذا تعقلتموها تجدون أن تكليف الله يمنعكم من هذه الأفعال، إنه أمر يقتضيه العقل السليم ... لكن الأربع الأخرى: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[6].

---

(1) سورة الشورى: من الآية (53).
(2) سورة سبأ: من الآية (6).
(3) سورة الحج: من الآية (24).
(4) سورة الأنعام: الآية (153).
(5) سورة الأنعام: من الآية (151).
(6) سورة الأنعام: من الآية (152).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هم كانوا يفعلونها ويتفاخرون بها فالتي كانوا يعملونها من قيام على أمر مال اليتيم والوفاء، والكيل والميزان، والعدل في القول والوفاء بالعهد قال: ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ أي إياكم أن تغفلوا عنها، فإذا كنتم تفعلونها وأنتم على جاهلية، فافعلوها من باب أولى وأنتم على إسلامية، ثم جاء بالوصية الجامعة، وهي ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[1].

ونظراً لأن هذه الوصية تستوعب كل الأحكام إيجاباً وسلباً، نهياً وأمراً، فوضح لهم أنه يجب عليكم أن تتبعوا الصراط المستقيم، لتقوا أنفسكم آثار صفات القهر من الحق سبحانه وتعالى، وأول جنودها النار.

والصراط هو الطريق المعبد، ويأخذون منه صراط الآخرة، وهو كما يقال: أدقُّ من الشعرة، وأحدُّ من السيف، ما معنى هذا الكلام؟

معناه: أن يمشى عليه بيقظة تامة واعتدال؛ لأنه لو راح يَمْنة يهوي في النار، ولو راح يَسْرة يسقط فيها، فهو صراط معمول بدقة وليس طريقاً واسعاً... فلتمش على صراط الله ومنهجه معتدلاً، فلا تنحرف يمنة أو يسرة؛ لأن الميل يبعدك عن الغاية ... كذلك الدِّين كلما نلتقي فيه ويقرب بعضنا من بعض نسير في الطريق المستقيم، وكلما ابتعدنا عن التشريع تفرقت بنا السبل.

ورسول الله ﷺ جلَّى بالحركة الفعلية منطوق السنة الكلامية، حينما جلس بين أصحابه ﷺ وخط خطاً وقال: " **هَذَا سَبِيلُ اللهِ** "، ثم خط خطوطاً عن يمينه، وخطوطاً عن يساره، ثم قال: " **هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهَا** " ثم قرأ هذه الآية: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ...** ﴾[2]، وانظر إلى جلال الحق حينما يجعل الصراط المستقيم إليه في دينه منسوباً إلى رسوله ﷺ: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا** ﴾ فالرسول ﷺ يسير على هذا الصراط، وهو لا يغش نفسه، والذي يفعله ويمشي فيه يأمركم بأن تمشوا فيه، وهو لم يأمركم أمراً وهو بنجوة وبُعد عنه، ولو غشكم جميعاً لا يغش نفسه، وهذا هو صراطه الذي يسير فيه.

والسبيل هنا معروف أنه إلى الله، فكأن سبيل الله هو طريق محمد ﷺ، ونسب الفعل والحدث إلى الله وحده، ففي البداية قال: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا** ﴾، ثم قال: ﴿ **سَبِيلِهِ** ﴾

---

(1) سورة الأنعام: من الآية (153).

(2) أخرجه ابن حبان في صحيحه (المقدمة، باب الاعتصام بالسنة وما يتعلق بها نقلاً وأمراً 180/1 ح 6)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالصراط لم يعمله محمد ﷺ لنفسه، ولكن أراده الله للمؤمنين جميعاً، ورسول الله ﷺ يأخذ بأيديهم إليه "[1].

ثانياً: وردت كلمة الصراط موصوفة:

1. موصوفة بالاستقامة:

كما في قوله تعالى: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[2].

ما معنى الاستقامة؟ للاستقامة عدة معانٍ منها:

أ. الاستقامة ضد الاعوجاج، وهي مرور العبد في طريق العبودية بإرشاد الشرع والعقل والمدومة[3].

ب. وقيل: الاستقامة ألا يختار على الله شيئاً[4].

ج. كون الخط بحيث تنطبق أجزاؤه المفروضة بعضها على بعض.

د. الاستقامة هي الوفاء بكل العهود، ولزوم الصراط المستقيم، برعاية حد الوسط في كل أمر، من مطعم ومشرب وملبس، وكل أمر دينيّ ودنيويّ[5].

قلت:

فالاستقامة اشتملت على هذه المعاني، وكلها تؤدي إلى الطريق الواضح، ولكني أرجح من هذه المعاني: المعنى الأول، وذلك لأن الاستقامة قُيدت بأن يكون في طريق العبودية بإرشاد الشرع والعقل؛ لأن المعايير تختلف باختلاف الزمان والمكان فالمستقيم في بلد لا يكون مستقيماً في أخرى؛ لأن معايير الاستقامة تختلف من إنسان لآخر، فقد يكون الإنسان ذو أخلاق ومكارم، لكنه بعيد عن الله، فأي استقامة تكون؟! فالتعريف الأول يجعل الاستقامة مقيَّدة أن تكون بإرشاد الشرع، وفي إطار العبودية لله سبحانه وتعالى.

2. موصوفة بالاستواء:

كما في قوله تعالى: ﴿ **فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى** ﴾[6].

حيث الآية تتحدث وتجيب متى سيحدث هذا؟.

---

(1) تفسير الشعراوي: الشعراوي (4001/7-4003)، بتصرف.

(2) سورة الفاتحة: الآية (6).

(3) التعريفات: الجرجاني (37/1).

(4) التعريفات: الجرجاني (37/1).

(5) التعاريف: المناوي (59/1).

(6) سورة طه: من الآية (135).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سيحدث هذا ساعة تقوم الساعة، حيث الانصراف إما إلى جنة، وإما إلى نار، ساعتها ستعلمون من أصحاب الصراط السوي.

والصراط: هو الطريق المستقيم؛ **والسوي:** المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا أمت، والأمت بمعنى أن يكون فيه انخفاض وارتفاع[1]، وقال بعدها: ﴿ **وَمَنِ اهْتَدَى** ﴾؛ لأنه قد يوجد الصراط السوي، ولا يوجد من يسلكه، فالمقصود الصراط السوي ومن اهتدى إليه وسلكه[2].

(1) مختار الصحاح: الرازي (ص: 10).

(2) تفسير الشعراوي: الشعراوي (9467/15)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

المنهـــاج

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم المنهاج

المطلب الثاني: ورود المفردة القرآنية منهاج في القرآن الكريم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

مفهوم المنهاج

المنهاج في اللغة: من منهج، والنهج الطريق الواضح، ونهج الأمر وأنهج وضح، ومنهج الطريق ومنهاجه، قال تعالى: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾[1]، ومنه قولهم: نهج الثوب، وأنهج: بان فيه أثر البِلى[2]؛ **والمنهاج:** الطريق الواضح[3].

المنهج في الاصطلاح: هو الطريقة التي ينهجها الفرد حتى يصل إلى هدف معين[4].

أو هو: خطوات منظمة يتبعها الباحث في معالجة الموضوعات التي يقوم بدراستها إلى أن يصل إلى نتيجة معينة[5].

التعريف الراجح:

بالنظر إلى التعريفين السابقين، نجد أن التعريف الأول فيه دَوْر، حيث عرف المنهج بما يُنهج، فإذا أردنا شرح التعريف درنا لنعرف (ينهجها) بالمنهج، وهو عيب في التعريف.

والتعريف الثاني اقتصر على منهج البحث العلمي.

لذلك وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾[6]، يمكن تعريف **المنهج والمنهاج بأنه:** الوسيلة والبرنامج الذي يُوصَل من خلال اتباعه إلى هدف ما.

---

(1) سورة المائدة: من الآية (48).

(2) المفردات: الراغب (ص: 508).

(3) مختار الصحاح: الرازي (ص: 364).

(4) محاضرات في العلوم التربوية والسلوكية: مجموعة مؤلفين (ص: 92).

(5) مناهج البحث العلمي: بوحوش والذنيبات (ص: 13).

(6) سورة المائدة: من الآية (48).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

ورود المفردة القرآنية " منهاج " في القرآن الكريم

وردت كلمة المنهج في كتاب الله ﷻ مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾[1].

والشِرعة: هي الطريق في الماء.

والمنهاج: هو الطريق في اليابس.

ومقومات حياة الإنسان هي من الماء ومن الغذاء الذي يخرج من الأرض، فكذلك جعل الحق سبحانه وتعالى في الغيم هذين الاثنين، الشرعة والمنهاج، وما دام سبحانه قد جعل لكل منا شرعة ومنهاجاً، فلماذا قال في موضع آخر من القرآن: ﴿ **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا** ﴾[2]؟.

معنى هذا القول هو الاتفاق في أصول العقائد التي لا تختلف أبداً باختلاف الأزمان، ومنذ بدء الإسلام نجد أنه جاء ليؤصل العقيدة أولاً بلا هوادة، كوحدانية الله وعدم الإشراك ... أما بقية الأحكام الفعلية فقد جعلها على مراحل، وكان يخفف قليلاً قليلاً[3].

ويطلق على المنهاج أنه الطريق الواسع، وهو هنا في الآية تخييل أُريد به طريق القوم إلى الماء ... فمنهاج المسلمين لا يخالف الاتصال بالإسلام، فهو كمنهاج المهتدين إلى الماء؛ ومنهاج غيرهم منحرف عن دينهم، كما كانت اليهود قد جعلت عوائد مخالفة لشريعتهم، فذلك كالمنهاج الموصل لغير المورود، وفي هذا الكلام إيهام أريد به تنبه الفريقين إلى الفرق بين حاليهما، وبالتأمل يظهر لهم.

وقوله تعالى: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾[4]، كالتعليل للنهي، أي إذا كانت أهواؤهم في متابعة شريعتهم أو عوائدهم، فدعهم وما اعتادوه وتمسكوا بشرعكم[5].

أقول:

إن سياق هذه الآية جاء في سياق نزول تشريع، لقوله تعالى: ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ** ﴾[6].

---

(1) سورة المائدة: من الآية (48).

(2) سورة الشورى: من الآية (13).

(3) تفسير الشعراوي: الشعراوي (3188/5).

(4) سورة المائدة: من الآية (48).

(5) التحرير والتنوير: ابن عاشور (223/6)، بتصرف.

(6) سورة المائدة: من الآية (48).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد جاءت بعد آيات تحدثت عن القصاص، وهذه تشريعات شرعها الله ﷻ حيث قال سبحانه عمن لا يطبق هذه الأحكام: ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾[1]، وقال: ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾[2]، وقال: ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾[3]، ثم جاءت الآية التي تقول: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾[4]، وعرفنا سابقاً أن الشِرعة الطريق إلى الماء، والمنهاج الطريق في اليابسة، والطريق الواسع الموصل إلى الماء؛ في ذلك كله إشارة إلى أن تطبيق الشريعة والمنهج الرباني طريق يوصل بسالكه إلى الحياة، كما أن الناس يسلكون الطريق الصلبة والطريق الواسعة لورود الماء، وهو سبب حياتهم، كما قال تعالى: ﴿ **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا** ﴾[5].

أيضاً فيه إشارة إلى أن طريق الشرع واسعة في استنباط الأحكام الشرعية وغير ضيقة، وفيها سهولة ومرونة.

وأي قوم لا يسلكون تطبيق الأحكام الشرعية في حياتهم، فهم قوم كافرون وظالمون وفاسقون، سيحيون حياة صعبة.

ولعل ما نجده في أيامنا في هذا الواقع من عدم تطبيق شرع الله في القتلة والمفسدين ما يجعلنا نفقد الأمن والأمان والحياة الطبيعية، وقد قال تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[6]، ففقد الناس للأمن هو حرمان من الحياة الطيبة، وكأنه الموت.

وفي هذه الآية دليل على أن الشرع فيه اتساع، وهو صالح لكل زمان ومكان، وفي قوله تعالى: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾[7]، فالواقع يتجدد وتطرأ أمور جديدة في كل مجتمع؛ فإن صح القول فهذه الآية دليل على حجية القياس، أي أن العلماء والمجتهدين في كل زمان ومكان يجوز لهم أن يستنبطوا أحكاماً شرعية حسب ما يطرأ ويتجدد في واقعهم، معتمدين بذلك على الشريعة في الأصل والقياس على أصول شرعية وفقهية، وذلك يفهم من قوله: ﴿ **لِكُلٍّ** ﴾ و ﴿ **مِنْكُمْ** ﴾ فالخطاب هنا عام، ويدخل فيه العلماء والمجتهدون، إذ أن العبرة

---

(1) سورة المائدة: الآية (44).
(2) سورة المائدة: الآية (45).
(3) سورة المائدة: الآية (47).
(4) سورة المائدة: من الآية (48).
(5) سورة الأنعام: من الآية (122).
(6) سورة البقرة: الآية (179).
(7) سورة المائدة: من الآية (48).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ولذلك يقول ﷻ: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّـهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّـهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾[1]، " **ومعناه** إن الله وَكَلَ اختيار طرق الخير وأضدادها إلى عقول الناس وكسبهم، حِكمة منه تعالى ليتسابق الناس إلى إعمال مواهبهم العقلية، فتظهر آثار العلم، ويزداد أهل العلم علماً، وتقام الأدلة على الاعتقاد الصحيح ... ولذلك قال: ﴿ **لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ** ﴾ أي في جميع ما آتاكم من العقل والنظر "[2].

(1) سورة المائدة: من الآية (48).

(2) التحرير والتنوير: ابن عاشور (224/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس

النجـــدان

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم النجدين

المطلب الثاني: ورود المفردة القرآنية " النجدان " في القرآن الكريم

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المطلب الأول

مفهوم النجدين

النجدان في اللغة: مثنى نجد، والنجد هو ما ارتفع من الأرض والجمع نِجاد بالكسر، ونجود وأنجد[1]، والنجد الطريق المرتفع، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾[2]، أي الطريقين: طريق الخير وطريق الشر، والنجد: الطريق الواضح[3].

النجدان في اصطلاح المفسرين:

أولاً: عند الراغب الأصفهاني:

المكان الغليظ الرفيع وقوله: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾[4]، فذلك مثل لطريقي الحق والباطل في الاعتقاد والصدق والكذب في المقال والجميل والقبيح في الفعال[5]، وفيه أنه عرفهما كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ** ﴾[6].

ثانياً: عند الطاهر بن عاشور:

النجد الأرض المرتفعة ارتفاعاً دون الجبال، فالمراد هنا نجدان مرتفعان، والطريق قد يكون منجداً مصعداً، وقد يكون غوراً منخفضاً[7].

ثالثاً: عند الإمام الطبري:

نجد: طريق في ارتفاع[8].

التعريف الراجح:

يظهر من التعريفات السابقة أنه لا تعارض بينها، إذ أن بعضها يشرح بعضاً، وإن كان من ترجيح فأرجح ما اختاره الإمام الطبري وذلك:

1. لأنه تعريف واضح ومختصر.

---

(1) مختار الصحاح: الرازي (ص: 347).
(2) سورة البلد: الآية (10).
(3) فقه اللغة: الثعالبي (ص: 216).
(4) سورة البلد: الآية (10).
(5) المفردات: الراغب (ص: 485).
(6) سورة الإنسان: من الآية (3).
(7) التحرير والتنوير: ابن عاشور (354/30).
(8) جامع البيان: الطبري (590/12).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2. جعل التعريف جزءاً من تفسير الآية، لقوله: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾[1]، يقول تعالى ذكره وهديناه الطريقين، ونجد طريق في ارتفاع[2].

3. لأنه المعنى الأقرب لموضوع الرسالة.

(1) سورة البلد: الآية (10).

(2) جامع البيان: الطبري (590/12).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني:

ورود المفردة القرآنية " النجدان " في القرآن الكريم

وردت كلمة النجدين مرة واحدة في القرآن الكريم وقد وردت على معنى الطريق كما أُشير سابقاً، ولها معان أخرى منها:

أولاً: وردت بمعنى ثديا الأم:

" قال ابن عباس . رضي الله عنهما .: النجدان: ثديا الأم "[1].

وذكر الطبري . رحمه الله . في تفسيره: وهديناه الثديين سبيلي اللبن الذي يغذى به وينبت عليه لحمه وجسمه[2].

قلت:

ربما يستغرب البعض من سماع هذا القول كما أن الإمام الطبري . رحمه الله . رجَّح قول من قال: عنى بذلك طريق الخير والشر، وذلك أنه لا قول في ذلك نعلمه غير القولين الذين ذكرنا والثديين وإن كانا سبيلي اللبن فإن الله تعالى إذ عدَّد على العبد نعمه بقوله: ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾[3]، إنما عدد عليه هدايته إلى سبيل الخير من نعمه فكذلك قوله: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾[4]، ولكن أقول: لا استغراب من هذا القول لو أننا تأملنا الآيات التي تسبق هذه الآية ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾، وهي قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ**﴾[5] عين ولسان وشفتين، أليست هذه مناسبة لوضع الطفل وهو يرضع ويتناول ثدي أمه وخاصة أن الآيات الأولى تحدثت عن ﴿ **وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ** ﴾[6]، ويفهم من خلالها الولادة وما ينتج عنها من أمور متعلقة بها من رضاعة، وأكثر الأشياء استخداماً عند الطفل في حالة الرضاع اللسان والشفتان والعينان، اللسان للتذوق، والشفتان التقام ثدي الأم، والعين لإبصار الثدي الذي هو مكان الغذاء؛ لاسيما أن التعاريف السابقة لكلمة نجد تتناسب مع ثدي الأم بالنسبة للطفل، فهو طريق فيه ارتفاع بالنسبة لطفل مولود، ولكن الله هيأ من يقربه له ويسهله عليه، وهي الأم.

لا أجزم بهذا القول ولكن القول الذي يعني ثديي الأم قول معتبر لما أشرت إليه سابقاً.

---

(1) المحرر الوجيز: ابن عطية (484/5).

(2) جامع البيان: الطبري (492/12).

(3) سورة الإنسان: الآيتان (2، 3).

(4) سورة البلد: الآية (10).

(5) سورة البلد: الآياتان (8، 9).

(6) سورة البلد: الآية (3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واعتماد الطبرى في قوله: ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ** ﴾ كقوله: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾ هناك فرق:

1. الهداية في الآية الأولى ﴿ **هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ** ﴾ تختلف عن ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾.

الهداية في الأولى هداية إرشاد، يقول الطاهر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا** ﴾، وهداية السبيل تمثيل لحال المرشد، والسبيل الطريق الجادة إلى ما فيه النفع بواسطة الرسل إلى العقائد الصحيحة والأعمال الصالحة ... وفي هذا نداء على أن الله أرشد الإنسان إلى الحق وأن بعض الناس أدخلوا على أنفسهم ضلال الاعتقاد ومفاسد الأعمال، فمن برأ نفسه من ذلك، فهو الشاكر وغيره الكفور[1].

الهداية في قوله تعالى: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾ هداية إلهام، لقول ابن عاشور أيضاً: " وقد استعيرت الهداية هنا للإلهام الذي جعله الله في الإنسان يدرك به الضار والنافع وهو أصل التمدن الإنساني وأصل العلوم والهداية بدين الإسلام إلى ما فيه الفوز[2].

فمن الذي ألهم الطفل الرضيع أن يتغذى من ثدي أمه سوى الله ﷻ؟

2. وفي الآية الأولى: ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ** ﴾ أتبعها الله عز وجل بقوله: ﴿ **إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾ أما في قوله تعالى: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾ لم يذكر نجد خير أو شر.

3. لا تعارض أن يكون ذلك من باب تعدد النعم على الإنسان أكبر نعمة أن يهدي الله الإنسان الرضيع طريقه لتناول طعامه وذلك مع ضعفه من أن يتناول طعامه بدون إلهام من الله ومساعدة الأم.

ثانياً: وردت بمعنى سبيل الخير والشر:

فقوله تعالى: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾ قال الطبري رحمه الله: سبيل الخير والشر[3].

---

(1) التحرير والتنوير /ابن عاشور (29/375-376)، بتصرف.

(2) التحرير والتنوير /ابن عاشور (30/355).

(3) جامع البيان: الطبري (12/591).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث السادس

العلاقة بين الطريق ونظائرها

وفيـــه:

العلاقة الأولى: علاقة توضيح المعنى

العلاقة الثانية: علاقة تسمية وصفة

العلاقة الثالثة: علاقة الاستخدام لكل لفظة ونظير

العلاقة الرابعة: علاقة الاتفاق والاختلاف في المعنى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العلاقة بين الطريق ونظائرها

بعد التعرف على نظائر الطريق في كتاب الله ﷻ ودراستها، ومعرفة المعاني التي جاءت بها، كان لزاماً أن نتعرف على العلاقة بين الطريق ونظائرها؛ وبعد النظر والدراسة تمكنت من التوصل إلى أن هناك علاقة بين الطريق ونظائرها، وكانت على التالي:

العلاقة الأولى: علاقة توضيح المعنى:

إذ إن النظائر لكلمة الطريق عند دراستها، وتوضيح معناها، تبيَّن أن كل نظير من هذه النظائر يحمل معنى الطريق، سواء كان هذا المعنى حقيقياً أم مجازياً.

ومن الأمثلة على ذلك: كلمة سبيل، نجد عند تفسيرها ومعرفة معناها أنها اشتملت على المعنيين الحقيقي والمجازي، فالحقيقي مثلاً كقوله تعالى: ﴿ **فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا**﴾[1]، فهذه الآية تناولت المعنى الحقيقي لهذه الكلمة التي جاءت بمعنى ممر، وهو من معاني الطريق الحقيقية، وأيضاً هذا طريق مائي؛ لأن الحوت يعيش في الماء، فطريقه طريق مائي، وقد جاءت سبيل تحمل المعنى المجازي، فهناك معان كثيرة منها الطاعة والبلاغ وطريق الهدى[2].

العلاقة الثانية: علاقة تسمية وصفة:

إن النظائر الواردة في كتاب الله ﷻ هي أسماء للطريق، وقد ذكرت هذه الأسماء والنظائر في كتاب الله ﷻ في أكثر من آية، وكانت كل كلمة من هذه النظائر مناسبة لوجودها في الآية والسياق، وسيتم إن شاء الله تعالى تناولها بالتفصيل في الفصل التالي[3].

العلاقة الثالثة: علاقة الاستخدام لكل لفظة ونظير:

إن كلمة الطريق ونظائرها كثيرة الاستخدام في حياتنا وواقعنا، ولكن لكل لفظة استخدام، ولاسيما أن كتاب الله ﷻ استخدم كل لفظة في مكانها المناسب، فلو كان أي تغيير لكان هناك اختلال في المعنى، فكتاب الله محكم ومعجز بآياته وكلماته وحروفه؛ وقد سبق أن بينا ما قاله ابن عطية من أن حذف حرف أو كلمة من كتاب الله يضرُّ بالمعنى، فلن نأتي بكلمة تتناسب كمناسبة الكلمة التي حُذفت، ولو أدرنا لسان العرب؛ وأيضاً الإنسان منا يستخدم الطريق ونظائرها، ولكن لكل كلمة استخدام، فإذا كان الكلام عن المشي والجريان ناسب ذلك كلمة الطريق، وإن كان الحديث بخصوص دعوة إلى الله وأمور متعلقة بها ناسب استخدام كلمة سبيل، وإن كان الحديث عن قراءة وأحكام وتشريعات ناسب كلمة المنهاج، وإن كان الحديث عن

---

(1) سورة الكهف: من الآية (61).

(2) انظر (ص: 37).

(3) وانظر في ذلك: فقه اللغة: الثعالبي (ص: 216).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طريق الآخرة ويوم القيامة ناسب كلمة الصراط، وإن كان الكلام حقيقي نستخدم كلمة الطريق، وإن كان الكلام فيه مجاز نستخدم تلك النظائر والله أعلم.

العلاقة الرابعة: علاقة الاتفاق والاختلاف في المعنى:

إذا أردت أن تعرف هذه النظائر تعرفها بمعنى الطريق، فكل هذه النظائر اشتركت في معنى واحد على الرغم من اختلافها.

وهذه النظائر إذا اجتمعت تفرقت في المعنى، وإذا تفرقت اجتمعت في المعنى، كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾[1]، فمعنى سبيل في ﴿ **سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ يختلف عن سبيل في **ابْنِ السَّبِيلِ** فهما قد اجتمعتا في الآية، ولكن المعنى مختلف.

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[3].

فهذه الآيات اشتملت على بعض نظائر الطريق وهي الصراط والسبيل وهي مجتمعة مع بعضها في الآيات ولكنها متفرقة ومختلفة في المعنى إذ أن لكل لفظة معناها الخاص بها وهذه النظائر إذا جاءت متفرقة في الآيات فهي مجتمعة في المعنى إذ ترجع معانيها إلى أنها الطريق.

---

(1) سورة التوبة: الآية (60).

(2) سورة الأعراف: الآية (86).

(3) سورة الأنعام: الآية (153).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الكلمة القرآنية والقيمة البلاغية

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم الكلمة

المطلب الثاني: الفرق بين كلام البشر والكلمة القرآنية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

مفهوم الكلمة

أولاً: الكلمة في اللغة:

الكلمة مفرد كَلِم، وفيها ثلاث لغات: كَلِمة، وكِلمة، وكَلْمة، مثل كَبِد، وكِبْد، وكَبْد.

والكِلْمة لغة تميمية، والكَلِمة لفظة حجازية جمعها كَلِم تذكر وتؤنث، يقال: هو الكلم وهي الكلم؛ والجمع في لغة تميم الكِلَم.

والكلام هو القول، معروفٌ، وقيل: الكلام ما كان مكتفياً بنفسه[1].

ثانياً: الكلمة اصطلاحاً:

الكلمة هي قول مفرد[2].

ورود لفظة كلمة في القرآن:

وردت لفظة كلمة في القرآن ستاً وعشرين مرة، سبع مرات في السور المدنية، وتسع عشرة مرة في السور المكية.

فمن ورودها في السور المكية: قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ** ﴾[3].

ومن ورودها في السور المدنية: قوله تعالى: ﴿ **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾[4].

أولاً: جاءت كلمة بمعنى عيسى عليه السلام:

كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ** ﴾[5].

وسمي كلمة الله لأنه كان بقول الله سبحانه: كن؛ وقيل: كتاب الله[6]، كما في قوله تعالى:

---

(1) لسان العرب: ابن منظور (523/12، 524)، بتصرف.

(2) شرح شذور الذهب: ابن هشام (ص: 11).

(3) سورة الزمر: الآية (19).

(4) سورة الفتح: الآية (26).

(5) سورة النساء: من الآية (171).

(6) فتح القدير: الشوكاني (429/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[1].

ثانياً: جاءت كلمة بمعنى القول[2]:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾[3].

ثالثاً: جاءت كلمة بمعنى كلمة التوحيد وكلمة الشرك:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[4].

والمراد بكلمة الذين كفروا الشرك[5]، وكلمة الله هي لا إله إلا الله، وفي الصحيحين عن أبي أبي موسى الأشعري ﷺ قال: سئل النبي ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ: " **مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ** "[6].

رابعاً: جاءت كلمة بمعنى القضية[7]، أي ما قضاه الله:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾[8].

" يخبر تعالى أنه قد سبق في قضائه وقدره لعلمه التام وحكمته النافذة، أن ممن خلقه من يستحق الجنة، ومنهم من يستحق النار، وأنه لابد أن يملأ جهنم من هذين الثقلين الجن والإنس، وله الحجة البالغة والحكمة التامة "[9].

---

(1) سورة آل عمران: من الآية (39).

(2) التحرير والتنوير: ابن عاشور (77/9)، بتصرف.

(3) سورة الأعراف: من الآية (137).

(4) سورة التوبة: من الآية (40).

(5) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (359/2).

(6) أخرجه البخاري في صحيحه (أبواب الخمس، باب من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره، 1137/3 ح 2958)، ومسلم في صحيحه (كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في ..، 1513/3 ح 1904)، واللفظ له.

(7) المفردات: الراغب (ص: 442).

(8) سورة هود: من الآية (119).

(9) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (466/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامساً: جاءت بمعنى ما وعد من الثواب والعقاب[1]:

كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾[2]، وكما في قوله سبحانه: ﴿ **كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[3].

(1) المفردات: الراغب (ص: 442).

(2) سورة الزمر: من الآية (71).

(3) سورة يونس: الآية (33).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

الفرق بين كلام البشر والكلمة القرآنية

بعد التعرف على الكلمة وورودها في القرآن الكريم، والمعاني التي جاءت فيها، كان لابد من معرفة الفرق بين كلام البشر، والكلمة القرآنية، وهذه الفروقات كما يلي:

أولاً: الكلمة القرآنية كلمة مقدسة لنسبتها إلى كتاب مقدس، وهو القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾[1]، والقدس: الطهر؛ والمراد به هنا معناه الحقيقي والمجازي الذي هو الفعل وجلالة القدر[2].

ثانياً: الكلمة القرآنية كلمة إلهية ربانية، وذلك أن القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى فمن يتكلم أي كلمة من القرآن يثاب عليها ويتعبد بقراءتها وتلاوتها؛ خاصة أنه قد يراد بالكلمة القرآنية بعض الآيات، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾[3]، والكلمات كما أوضحت كتب التفسير هي قوله تعالى: ﴿ **قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[4].

ثالثاً: القرآن عندما يستعمل الكلمة تأتي في أعلى وأرقى درجات البيان، بخلاف كلام البشر، فمهما كانت الكلمة بليغة لا تصل إلى البلاغة القرآنية.

رابعاً: الكلمة القرآنية كلمة قديمة، لأن كلام الله من صفاته، والصفات قديمة، أما كلام البشر فهي حادثة، لأنها تخرج من إنسان وهو مخلوق.

قلت:

إن الذي نزل بالقرآن على محمد ﷺ هو جبريل عليه السلام، وقد وصفه الله ﷻ فقال عنه: ﴿ **نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ** ﴾ فإذا كان الذي نزل بالقرآن مطهر ومقدس، فإن ما ينزل به أيضاً مقدس ومنزه؛ لأنه تلقاه من قدُّوس حكيم.

وقد سُمي الحديث القدسي قدسياً لنسبته إلى الله ﷻ والكلمة القرآنية مقدسة لأنها كلام الله ﷻ، أما الكلمة العادية فهي كلمة غير مقدسة لأنها تخرج من أي إنسان سواء كان مسلماً أو كافراً.

---

(1) سورة النحل: الآية (102).

(2) التحرير والتنوير: ابن عاشور (285/14).

(3) سورة البقرة: الآية (37).

(4) سورة الأعراف: الآية (23).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

أصوات وصفات حروف الكلمة وأثرها على التفسير

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: المناسبة بين الطريق ونظائرها وبين الآيات الواردة فيها وعلاقتها بالمكي والمدني

المطلب الثاني: أثر بنية وصفات حروف الطريق ونظائرها على المعنى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

المناسبة بين الطريق ونظائرها وبين الآيات الواردة فيها وعلاقتها بالقرآن المكيّ والمدنيّ

أولاً: مفهوم المناسبة:

المناسبة في اللغة: المقاربة والمشاركة[1].

المناسبة في الاصطلاح: هي الرابط بين شيئين بأي وجه من الوجوه؛ وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها؛ وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها[2].

ثانياً: أهمية علم المناسبات:

إن علم المناسبات من العلوم التي قلما يطرقها المفسرون، وهو من العلوم المهمة لتفسير كتاب الله ﷻ، وفائدته جعل الكلام مترابطاً؛ وهي تحتاج إلى علم بكتاب الله، وأن يتصف طارق هذا العلم بقدرة على ربط الآيات والسور بعضها ببعض، دون تكلف أو ليّ لأعناق الآيات، ويحتاج إلى فهم وتَذَوُّق لمعاني آيات القرآن الكريم، وإعجازه، وأسراره البلاغية، وأوجه بيانه الفريد[3].

أقوال بعض العلماء في علم المناسبة:

قال الشيخ العز بن عبد السلام: المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر[4].

قال الإمام الرازي في تفسير سورة البقرة: ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته ولعل الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه، أرادوا ذلك[5].

قال القاضي ابن العربي في سراج المريدين: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى

---

(1) مختار الصحاح: الرازي (ص: 273).

(2) مباحث في التفسير الموضوعي: مسلم (ص: 58).

(3) مباحث في علوم القرآن: القطان (ص: 88)، بتصرف.

(4) البرهان: الزركشي (37/1).

(5) الإتقان: السيوطي (235/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تكون كالكلمة الواحدة منسقة المعاني منتظمة المباني، علم عظيم[1].

ولقد قسّم الدكتور مصطفى مسلم المناسبات في القرآن الكريم إلى قسمين:

القسم الأول: المناسبات في السورة الواحدة، ويشتمل على نوعين:

النوع الأول: المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة.

النوع الثاني: مناسبة فواتح السور.

القسم الثاني: المناسبات بين السور، ويشتمل أيضاً على نوعين:

النوع الأول: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها.

النوع الثاني: مناسبة مضمون كل سورة لما قبلها[2].

وإن الذي سأتناوله في هذا البحث إن شاء الله هو المناسبة بين الطريق ونظائرها في الآيات الواردة فيها، وسأتناول بعض الآيات كنماذج، وهو المحور الثاني، وأشير إلى أني لن أتطرق إلى جميع الآيات بل إلى بعضها حتى لا يكون هناك تكلف وليّ لأعناق الآيات، بل سأتناول ما فيه مناسبة بين النظائر والآية الموجودة فيها.

يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (167) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا** ﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى** ﴾[4]، ويقول سبحانه: ﴿ **قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[5].

إن السياق في الآيات السابقة يتحدث عن الهداية سواء كانت هذه الهداية هي النجاة من النار أو نجاة من الأعداء المتمثلة في فرعون أو هداية إلى الجنة المتمثلة في سلوك الصراط المستقيم؛ وكل ذلك يحتاج إلى طريق لبلوغ هذا الهدف.

فقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (167) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا** ﴾.

---

(1) البرهان: الزركشي (36/1).

(2) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: مسلم (ص: 68-84).

(3) سورة النساء: الآيات (167 - 169).

(4) سورة طه: الآية (77).

(5) سورة الأحقاف: الآية (30).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الشيخ الشعراوي: والحديث هنا يبدأ عن الكفر والظلم ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا** ﴾ والكفر هو ستر الوجود الأعلى؛ والظلم معناه أنهم عاشوا بمنهج بشري لا يؤدي لهم متاعاً ولا سعادة في حياتهم الدنيا وبذلك يكونون قد ظلموا أنفسهم؛ ومن بعد ذلك يقودهم هذا المنهج إلى عذاب الآخرة[1].

أقول:

يشير الله سبحانه وتعالى إلى هؤلاء الكافرين والظالمين بأنهم قد اتخذوا الكفر والظلم وكانت وسيلة لهم وركبوا عليها وسارت بهم في طريق ولكن هذه الطريق طريق وعرة وخطرة أدت بهم إلى جهنم أي أن كل إنسان يسلك طريق الكفر والظلم فإن نهايته معروفة وهي النار خالداً فيها؛ فالتناسب واضح أن الكفر والظلم طريق إلى جهنم والعياذ بالله.

وإن كلمة طريق في الآيات السابقة وردت مرة في آيات من سور مكية وفي آيات من سور مدنية.

ونجد أن طريق في السور المكية جاءت في سياق الخير والنجاة من الأعداء كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى** ﴾[2]، وجاءت في سياق الخير والهداية إلى الصراط المستقيم كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[3].

على العكس في السورة المدنية . وهي سورة النساء . حيث جاءت في سياق الشر ودخول النار والهداية لها حيث قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (167) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا** ﴾[4].

وقد أشرت قبل ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى** ﴾[5]، أن المقصود بالطريق في هذه الآية هو الطريق الماديّ الحقيقيّ وهناك مناسبة بين الطريق وبين هذه الآية في قوله

---

(1) تفسير الشعراوي: الشعراوي (2862/5).

(2) سورة طه: الآية (77).

(3) سورة الأحقاف: الآية (30).

(4) سورة النساء: الآيتان (168، 169).

(5) سورة طه: الآية (77).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى: ﴿ أَسْرِ ﴾ أي يسري بهم في الليل ويذهب بهم من قبضة فرعون؛ وقوله: ﴿ **فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا** ﴾ يضرب البحر بعصاه، وقال: انفلِق عليَّ بإذن الله، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، أي الجبل العظيم، فأرسل الله الريح على أرض البحر فلفحته حتى صار يابساً كوجه الأرض[1].

المناسبة واضحة أن الإسراء هو سير الليل[2]، والسير لا بد لها من طريق، والطريق وصفها الله ﷻ بأنها ﴿ يَبَساً ﴾ أي خالية من الطين والبلل، فهناك تناسب بين الطريق والآية الموجودة فيها من حيث وصف الطريق باليبوسة، ومن حيث أن الإسراء والسير ليلاً لا يكون إلا على طريق.

- **لفظة سبيل ومشتقاتها:**

أولاً: سبيل:

وردت هذه الكلمة في السور والآيات المكية والمدنية، كما يلي:

1. **ورودها في السور والآيات المدنية:** فقد وردت في سياق الطاعة والأعمال الصالحة.

بعد التأمل والنظر في كتاب الله ﷻ تبين أن كلمة سبيل حيثما وردت في السور والآيات المدنية جاءت في سياق القتال والهجرة والجهاد والإنفاق والغزو والضرب في الأرض والدعوة إلى الله ﷻ، كل ذلك مقترن بلفظ الجلالة وهي قوله تعالى: ﴿ **فِي سَبِيلِ اللهِ** ﴾ وباقتران كلمة سبيل الله ومجيئها في هذا السياق يتضح ما يلي:

أ. أن هذه الأمور من قتال وهجرة وجهاد هي طريق من الطرق المؤدية إلى طريق الله، قال الراغب: السبيل: الطريق التي فيها سهولة[3].

ب. كلمة سبيل حينما تقولها تشعر بسهولة ويسر، وكأن في ذلك إشارة إلى أن هذه الطرق هي أيسر وأسهل طريق إلى الجنة على الرغم من أن الظاهر غير ذلك ويحتاج إلى جهد وتعب ومشقة.

2. ورودها في السور المكية:

وردت في سياق محاربة الدعوة:

حيث وردت في سياق الصد والإضلال ومشاقة الرسول وجاءت في سياق الإفساد والغي واللهو والاستهزاء وذلك أن الخطاب في هذه السور كان لأهل مكة وقد كانوا في ذلك الوقت

---

(1) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (161/3).

(2) فتح القدير: الشوكاني (257/3).

(3) المفردات: الراغب (ص: 229)، الإتقان: السيوطي (414/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مشركين ويعبدون الأصنام ويرتكبون أفعال الجاهلية وكانوا يصدون عن دعوة الله ويضلون الذين آمنوا، ويحاربون ويشاقُّون الرسول ﷺ، ويستهزئون به ومن آمن معه؛ وكانت القوة والغلبة لهؤلاء المشركين، فكانت هذه الأمور سهلة ويسيرة عليهم وهذا يوضح سبب استخدام كلمة سبيل في هذا الموطن والسياق لدلالتها على اليسر والسهولة فتناسبت وهذا الموطن.

يقول تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾[1]، وقال في نفس السورة: ﴿ **وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[2].

جاءت كلمة سبيل الله في سياق القتال والإنفاق، وكلمة سبيل الله كما أشرت سابقاً تفيد أن القتال والإنفاق من السبل المؤدية إلى سبيل الله وطاعته ورضاه وجنته.

وهناك اتصال وثيق بين الجهاد وبين الإنفاق؛ والجهاد لمطلق الميقات حيث ما وقع من مكان وزمان ناظراً بوجه ما لما يقابله من عموم الإسلام الذي هو ذكر كلمة الإخلاص وهي لا إله إلا الله على الدوام: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا** ﴾[3]، ﴿ **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** ﴾[4]، ... ولما كانت النفقة من أعظم دعائم الجهاد وكان العيش في أول الإسلام ضيقاً والمال قليلاً فكان ذلك موجباً لكل أحد أن يتمسك بما في يده ظنّاً أن في التمسك به النجاة وفي إنفاقه الهلاك أخبرهم أن الأمر على غير ما يسوِّل به الشيطان ... ﴿ **أَنْفِقُواْ** ﴾ وأظهر ولم يضمر إظهاراً للاعتناء بأمر النفقة ولئلا يفيد حيثية من الحيثيات فقال: ﴿ **فِي سَبِيلِ اللهِ** ﴾ أي الملك الذي كل شيء تحت قهره كما قال: ﴿ **وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ** ﴾ وهو كل ما أمر به الله وإن كان استعماله في الجهاد أكثر[5].

أقول:

إن الأنفس والأموال في مكة كانت قليلة فكان الإنفاق عزيزاً، بينما اتسعت رقعة الإسلام في المدينة وزاد عدد الداخلين في دين الله فكثروا وزاد المال، فزيادة عدد المؤمنين وكثرة المال جعلت سهولة في كثرة المجاهدين وسهولة في الإنفاق لإعداد الجيش والمجاهدين فناسبت كلمة سبيل التي تشير إلى السهولة هذا المعنى.

---

(1) سورة البقرة: الآية (190).
(2) سورة البقرة: الآية (195).
(3) سورة الأحزاب: الآية (41).
(4) سورة التوبة: من الآية (5).
(5) نظم الدرر: البقاعي (1/362-367)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾[1].

يخبر الله تعالى عن بعض الناس أن منهم ﴿ **مَنْ يَشْتَرِي** ﴾ أي غير مهتدٍ بالكتاب ولا مرحوم به ﴿ **لَهْوَ الْحَدِيثِ** ﴾ أي ما يلهي به من الأشياء المتجددة التي تستلذ فينقطع بها الزمان من الغناء والمضحكات وكل شيء لا اعتبار فيه فيوصل النفس بما أوصلها إليه من اللذة إلى مجرد الطبع البهيمي فيدعوها إلى العبث من اللعب كالرقص ... ولما كان من المعلوم أن عاقبة هذه الملاهي الضلال بانهماك النفس في ذلك لما طُبعت من الشهوة لمطلق البطالة فكيف مع ما يثير ذلك ويدعو إليه من اللذاذة ... ﴿ **لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ من الضلال والإضلال ﴿ **عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ أي الطريق الواضح الواسع الموصل إلى رضا الملك ... منبهاً لهم على أن هذا مضل عن السبيل[2].

قلت:

توضح هذه الآيات بعض السبل التي تؤدي إلى الضلال عن سبيل الله، وهي تلك الملهيات: من الرقص والغناء، والملذات، وهي طرق سهلة السلوك لما فيها من راحة ودعة، وكلمة سبيل جاءت مناسبة لهذا المعنى، وورودها في هذا السياق . وإن كانت سبيل مضافة إلى " الله " . لما لها من صفة السهولة واليسر .

وكأن المراد أن أي طريق فيها معصية الله وضلال عن سبيله فيها سهولة ويسر لما فيها من الراحة والتمتيع للجسد، ولكن هذا متاع بسيط وزائل وفي النهاية والعياذ بالله غضب ونار جهنم.

ثانياً: لفظ السبيل:

بعد استقراء الآيات التي جاء فيها لفظ السبيل نجد أنها في السور المكية والمدنية جاءت في سياق:

أ. **الأسئلة التعنتية:** كما في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾[3].

ب. **الإيمان وإنفاق المال والصدقة والغنيمة والفيء:** ولقد جاءت كلمة السبيل مضافة إلى الله كما في قوله تعالى: ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا**

---

(1) سورة لقمان: الآية (6).

(2) نظم الدرر: البقاعي (6/6، 7)، بتصرف.

(3) سورة البقرة: الآية (108).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾[1]، حيث جاءت في سياق الإيمان والإحسان.

وكما في قوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2]، حيث جاءت في سياق حق ابن السبيل في الغنيمة وجزء من المال.

وكما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[3]، حيث جاءت في سياق الزكاة والصدقة.

أقول:

ابن السبيل في هذه الآيات هو ابن الطريق وهو الغريب الذي انقطعت به السبل، فنسب إلى الطريق، وهو أيضاً بمعنى آخر المقطوع الذي انقطع عن أهله وماله وولده فيكون بحاجة إلى المال كي يعينه على العيش، فإن نسبة الإنسان المقطوع إلى الطريق جعلت له الحق في المال الذي شرعه الله فلو نسب إلى أي شيء آخر لكان في ذلك صعوبة إذ يقول الناس مثلاً: خذ مالاً من الذي نسبت إليه، فإن نسبته إلى السبيل جعلته يأخذ مالاً لسهولته والمناسبة واضحة أن ابن السبيل واحد ممن يستحق هذه الصدقة أو الزكاة أو مما أفاء الله على المسلمين.

ج. جاءت في سياق الإضلال والصد عن سبيل الله:

يقول الله تعالى: ﴿ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[4]، ويقول سبحانه: ﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾[5]، ويقول جل جلاله: ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[6].

د. في سياق الهداية:

---

(1) سورة النساء: الآية (36).
(2) سورة الأنفال: الآية (41).
(3) سورة التوبة: الآية (60).
(4) سورة المائدة: من الآية (12).
(5) سورة الرعد: من الآية (33).
(6) سورة النمل: الآية (24).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال الله تعالى: ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿ **هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾[2].

المناسبة بين السبيل والآيات الواردة فيها:

لقد جاءت لفظة السبيل في سورة النحل ولم تأت على رأس آية، بل جاءت في سياق الهداية تحمل معناها الحقيقي، ولكنها أرادت معان عظيمة في قوله تعالى: ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[3]، جملة معترضة اقتضت اعتراضها مناسبة الامتنان بنعمة تيسير الأسفار بالرواحل والخيل والبغال والحمير فلما ذكرت نعمة تيسير السبيل الموصلة إلى التذكير بسبيل الوصول إلى المقاصد الروحانية وهو سبيل الهدى فكان تعهد الله بهذه السبيل نعمة أعظم من تيسير المسالك الحياتية لأن سبيل الهدى تحصل بالسعادة الأبدية ... فالسبيل مجاز لما يأتيه الناس من الأعمال من حيث هي موصلة إلى دار الثواب أو دار العقاب كما في قوله: ﴿ **هَذِهِ سَبِيلِي** ﴾[4]؛ ويزيد هذه المناسبة بياناً أنه لما شرحت دلائل التوحيد التوحيد ناسب التنبيه على أن ذلك طريق للهدى وإزالة العذر، وإن من بين الطرق التي يسلكها الناس طريق ضلال وجور؛ وقد استعير لتعهد الله بتبيين سبيل الهدى حرف " على " المستعار كثيراً في القرآن وكلام العرب لمعنى التعهد كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى** ﴾[5] ... والقصد استقامة الطريق[6].

أقول:

من المعلوم أن كلمة السبيل تشمل المعنيين الحقيقي . الذي هو بمعنى الطريق . والمجازي . الذي جاء بعدة معان كطاعة الله وشرعه وطريق الهدى والدعوة ..

ونجد أن كلمة السبيل جاءت في الآيات رأس آية في كثير منها، وقد جاءت في سياق الضلال والصد، فما هي المناسبة بين السبيل التي جاءت رأس آية وبين السياق الذي وردت فيه؟ وحتى تتضح الإجابة نأخذ لذلك بعض الأمثلة:

---

(1) سورة النحل: الآية (9).

(2) سورة الإنسان: الآية (3).

(3) سورة النحل: الآية (9).

(4) سورة يوسف: من الآية (108).

(5) سورة الليل: الآية (12).

(6) التحرير والتنوير: ابن عاشور (111/14، 112)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الله تعالى: ﴿ **أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾[1].

أي يريهم الله جهرة، ويتبدل الشدة بالرخاء، فقد عدل عن السبيل[2]، وذهب عن قصد الطريق وسمته أي طريق طاعة الله[3].

أقول:

إن سؤال الإنسان للأسئلة التي يكون فيها كفر، وعلى سبيل التنطع والتشدد، تكون بمثابة حياد عن طريق الإيمان، فالمناسبة بين رأس الآية والآية التي جاءت فيها واضحة، وهي أن الكفر وتلك الأسئلة هي طريق ضلال وحياد عن طريق الله وهو الإيمان، وبعد الاستقراء لآيات الله، تبين أن هناك مناسبة بين رأس الآية المنتهية بقوله: ﴿ **سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾، وبين الآيات الواردة فيها مثلا قوله: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ** ﴾[4].

﴿ **أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ** ﴾ هنا أي: يودون أن لو تكفرون بما أنزل عليكم أيها المؤمنون، وتتركون ما أنتم عليه من الهدى و العلم النافع، وقد أخبر الله تعالى عن اليهود في هذه الآية، فهم يشترون الضلالة بالهدى و يعرضون عما أنزل الله على رسوله ﷺ، ويتركون ما بأيديهم من العلم عن الأنبياء الأولين في صفة محمد ﷺ ليشتروا به ثمناً قليلاً من حطام الدنيا[5].

قلت:

إن كتمان الحق كما يبين الله تعالى وشراء الضلالة بالهدى، هو طريق ضلال وحياد عن طريق الهدى والإيمان فهذه، مناسبة واضحة بين الآية وفاصلتها، وفي ذلك إشارة إلى الأمانة العلمية التي لا يجوز لأي إنسان أن يكتمها مهما كانت، وأن يكون دقيقاً في نقلها وتبليغها.

يقول تعالى: ﴿ **وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ** ﴾[6].

---

(1) سورة البقرة: الآية (108).

(2) فتح القدير: الشوكاني (165/1)، بتصرف.

(3) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (49/2).

(4) سورة النساء: الآية (44).

(5) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (508/1)، بتصرف.

(6) سورة النمل: الآية (24).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المناسبة واضحة في هذه الآية، وهي أن الشيطان يجتهد في منع وصد الناس عن طريق الهدى والإيمان، وذلك بإغوائهم وعبادة غير الله وإشراكهم بالله آلهة أخرى، والتزيين والتحسين بهد الضلال، وكل ذلك من أنواع الصد عن طريق الهدى والإيمان، وهو السبيل.

العلاقة بين السبيل و القرآن المكي والمدني من السور والآيات:

بعد التأمل ودراسة كلمة السبيل ومشتقاتها وورودها في السور المكية والمدنية تبين ما يلي:

1. أن معظم ورود كلمة سبيل ومشتقاتها وردت في السور المدنية في سياق الجهاد والقتال والإنفاق والصدقات والحج، وهذه العبادات، وهذه الأمور لم تكن مفروضة على المؤمنين في بداية الدعوة في المرحلة المكية، وذلك لقلة هذه الفئة المؤمنة وضعفهم في هذا الوقت، أما في المرحلة المدنية زاد عددهم وقويت شوكتهم وانتشرت الدعوة، وفي ذلك إشارة أيضاً أن هذه العبادات هي طرق طاعة الله، وسبيل سهل لدخول الجنة.

2. معظم ورود كلمة سبيل في السور المكية جاءت في سياق الضلال والصد عن سبيل الله، وذلك أن هدف الكفار كان واضحاً، وهو قتل هذه الدعوة في مهدها، والصد عنها بأي طريقة كانت.

3. ورود لفظة (في سبيل الله) ، (سبيلي) ، (سبلنا) كانت معظمها في السور المدنية، ووردت في سياق القتال، والحج، والإنفاق، وهذه العبادات تحتاج إلى إخلاص، وفي المرحلة المدنية كان المؤمنون والمنافقون وأهل الكتاب، فكان التأكيد على ذكر الإخلاص وعدم الرياء، ويفهم هذا من إضافة لفظ الجلالة للسبيل، أما في المرحلة المكية لم يكن هناك إلا المؤمنون حقاً، ولم يكن منافقون.

4. السور المكية والمدنية اشتملت على المعنيين الحقيقي والمجازي لكلمة السبيل، فتارة جاءت بمعنى الطريق، أي المعنى الحقيقي، ومرة بالمعنى المجازي، منه طاعة الله، الدعوة، الإسلام، وإن دلّ ذلك فإنما يدلّ على بلاغة الكلمة القرآنية.

- **لفظة الصراط:**

يقول تعالى: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ** ﴾[1].

جاءت كلمة الصراط في سياق الهداية: يقول الشيخ الشعراوي: " والهداية نوعان: هداية دلالة، وهداية معونة. هداية الدلالة هي للناس جميعاً؛ وهداية المعونة هي للمؤمنين فقط المتبعين لمنهج الله، والله تعالى هدى كل عباده هداية دلالة، أي دلهم على طريق الخير وبينه

(1) سورة الفاتحة: الآيتان (6، 7).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لهم... فمن أراد أن يتبع طريق الخير اتبعه ... ومن أراد أن لا يتبعه تركه الله لما أراد. هذه الهداية العامة هي أساس البلاغ من الله، فقد بين لنا تبارك وتعالى في منهجه بـ افعل ولا تفعل ما يرضيه وما يغضبه ... وبين لنا الطريق الذي نتبعه لنهتدي، والطريق الذي لو سلكناه لحق علينا غضب الله وسخطه؛ ولكن هل كل من بيَّن له الله سبحانه وتعالى طريق الهداية اهتدى؟ نقول: لا، واقرأ قوله جلّ وعلا: ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾[1]، ... والمطرود من هداية الله في المعونة على الإيمان هم الكافرون والفاسقون والظالمون.

إن الحق سبحانه يقول: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾، ما هو الصراط؟ إنه الطريق الموصلة إلى الغاية؛ ولماذا نص على أنه الصراط المستقيم؟ لأن الله سبحانه وتعالى وضع لنا في منهجه الطريق المستقيم، وهو أقصر الطرق إلى تحقيق الغاية، فأقصر طريق بين نقطتين هو الطريق المستقيم، ولذلك إذا كنت تقصد مكاناً فأقصر طريق تسلكه هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه ... لذلك فإن الإنسان المؤمن يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يهديه إلى أقصر الطرق الموصلة إلى الغاية، وما هي الغاية؟ إنها الجنة والنعيم في الآخرة؛ ولذلك نقول: يا رب اهدنا وأعنا أن نسلك الطريق المستقيم، وهو طريق المنهج...، وقوله تعالى: ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ** ﴾، فسَّرتها الآية الكريمة ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً** ﴾[2]،... فأنت تطلب من الله تعالى أن تكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، أي أنك تطلب من الله جلّ جلاله أن يجعلك تسلك نفس الطريق الذي سلكه هؤلاء لتكون معهم في الآخرة، فكأنك تطلب الدرجة العالية في الجنة؛ لأن كل من ذكرناهم لهم مقام عال في جنة النعيم، ومعنى ﴿ **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ**﴾ أي يا رب لا تيسر لنا الطريق الذي يستحق به غضبك كما استحقه الذين غيَّروا وبدَّلوا وضلوا عن السبيل فاتخذوا منهجاً غير منهج الله ويحاولون أن يأخذوا غيرهم إلى الضلالة[3].

يرى الباحث:

أن المناسبة والعلاقة بين الهداية والصراط واضحة، فالصراط المستقيم هو الطريق الذي

---

(1) سورة فصلت: الآية (17).

(2) سورة النساء: الآية (69).

(3) تفسير الشعراوي: الشعراوي (1/83-87)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يسلكه المهدي باتباع أوامر الله ومنهج الله، والهداية المقصودة هي كما أشار الشيخ الشعراوي . رحمه الله . هي هداية المعونة التي هي نفس طريق وصراط الذين أنعم الله عليهم، وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون، وفي ذلك إشارة بأن الصراط هو طريق النعيم والجنة، فإن الذي هداه الله يسلك الصراط، والعلاقة علاقة ترابط واتصال، فلا صراط مستقيم لمن لم يهده الله، ولا هداية دون سلوك الصراط المستقيم الذي هو صراط الأنبياء والشهداء والصالحين.

السبل الهادية للصراط المستقيم:

ذكر لنا القرآن الكريم بعضاً من هذه السبل التي تهدي صاحبها إلى الصراط المستقيم منها:

أولاً: الاعتصام بالله:

قال الله تعالى: ﴿ **وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[1].

في هذه الآية خرج الاستفهام عن غرضه الحقيقيّ إلى غرض بلاغي، وهو الإنكار، أي من أين يأتيكم ذلك . المقصود الكفر . ولديكم ما يمنع منه، ويقطع أثره؟ وهو تلاوة آيات الله وكون الرسول ﷺ بين أظهركم؛ ثم أرشدهم إلى الاعتصام بالله ﷻ ليحصل لهم بذلك الهداية إلى الصراط المستقيم الذي هو الإسلام، وفي وصف الصراط بالاستقامة ردٌّ على ما ادعوه من العوج؛ ومعنى الاعتصام بالله: التمسك بدينه وطاعته، وقيل: بالقرآن[2].

يرى الباحث:

أنه لا تعارض بين من قال: إن الاعتصام بالله التمسك بدينه وطاعته ومن قال: بالقرآن؛ فالاختلاف هنا اختلاف تنوع لا تضاد، فإن القرآن يحث على طاعة الله، والتمسُّك بدينه، وطاعة الله فأخْذُها وتعلمها من القرآن، فلا اختلاف بين هذين القولين.

ثم هذه الآية مشروطة لمن أراد الاهتداء إلى الصراط المستقيم، فنجد أن هذه الآية مكونة من فعل شرط وجوابه، فأداة الشرط وفعله هنا متمثل في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ** ﴾، وهو يحتاج إلى جواب، وجوابه: ﴿ **فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾، فحصول الهدية مشروط بالاعتصام بالله . والله تعالى أعلم . ثم إن وقوع جواب الشرط بصيغة الماضي، ووجود **(قَدْ)** التي تفيد التحقيق، يؤكد حدوث الهداية إلى الصراط المستقيم.

ثانياً: شكر النعمة:

---

(1) سورة آل عمران: الآية (101).

(2) فتح القدير: الشوكاني (464/1)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[1].

" أثنى الله جل وعلا في هاتين الآيتين الكريمتين على نبيه إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بأنه أمة، أي إمام مقتدى به، يُعلِّم الناس الخير، كما قال تعالى: ﴿ **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** ﴾[2]، وأنه قانت لله، أي مطيع له، وإنه لم يكن من المشركين، وأنه شاكر لأنعُم الله، وأن الله اجتباه، أي اختاره واصطفاه، وأنه هداه إلى صراط مستقيم "[3].

" وجملة ﴿ **اجْتَبَاهُ** ﴾ مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ لأن الثناء المتقدم يثير سؤالَ سائلٍ عن سبب فوز إبراهيم بهذه المحامد، فيجاب بأن الله اجتباه، لقوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾" [4].

وفي قوله تعالى: ﴿ **شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ** ﴾ كان يُخلص الشكر لله فيما أنعم عليه ولا يجعل معه في شكره في نعمه عليه شريكاً من الآلهة والأنداد وغير ذلك، كما يفعل مشركو قريش ﴿ **اجْتَبَاهُ** ﴾ اصطفاه واختاره لخلته، ﴿ **وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ وأرشده إلى الطريق المستقيم، وذلك دين الإسلام لا اليهودية ولا النصرانية.

أقول:

في مدح الله ﷻ لنبيه إبراهيم عليه السلام بعدم كونه من المشركين، وأنه كان أمة قانتاً، وكان مخلصاً في شكر الله فيما أنعم الله عليه من النعم، كانت هذه الأمور سبباً في اصطفاء الله ﷻ واجتبائه لإبراهيم عليه السلام وهدايته إلى صراط مستقيم، وإلى دين الإسلام؛ فشكر النعمة والإخلاص في الشكر سبب من أسباب الهداية إلى الصراط المستقيم، والله تعالى أعلم.

ثالثاً: اتباع الرسل وما جاء به القرآن:

قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[5].

تتحدث هذه الآية عن أهل الكتاب، والمقصود بأهل الكتاب اليهود والنصارى، وإن كان المقصود هنا اليهود أكثر من النصارى، لكونهم مجاوري رسول الله ﷺ في المدينة المنورة،

---

(1) سورة النحل: الآيتان (120، 121).

(2) سورة البقرة: من الآية (124).

(3) أضواء البيان: الشنقيطي (284/3).

(4) التحرير والتنوير: ابن عاشور، والآية من سورة الأنعام: من الآية (124).

(5) سورة المائدة: الآيتان (15، 16).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمعني بـ ﴿ **رَسُولُنَا** ﴾ محمد ﷺ وأضيف إلى الله تعالى إضافة تشريف؛ وفي هذه الآية دلالة على صحة نبوته؛ لأن إعلامه بما يخفون من كتابهم وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا يصحب القرَّاء، دلالة على إنما يعلمه الله تعالى.

والضمير في قوله تعالى: ﴿ **يُبَيِّنُ** ﴾ و ﴿ **وَيَعْفُو** ﴾ عائد على ﴿ **رَسُولُنَا** ﴾، ويجوز أن يعود على الله تعالى؛ وفي قوله تعالى: ﴿ **وَكِتَابٌ مُبِينٌ** ﴾ قيل: هو القرآن، سمَّاه نوراً لكشف ظلمات الشرك والشك، وقيل: هو الرسول ﷺ، وقيل: هو الإسلام، وقيل: النور موسى عليه السلام، والكتاب التوراة وقوله: ﴿ **يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ** ﴾: ﴿**رِضْوَانَهُ**﴾ أي رضا الله، و﴿ **سُبُلَ السَّلَامِ** ﴾ طرق النجاة والسلامة من عذاب الله، والضمير في ﴿ **بِهِ**﴾ ظاهره عائد على كتاب الله، ويحتمل أن يكون عائداً على الرسول ﷺ والإسلام ﴿ **وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ هو دين الله وتوحيده، وقيل: طريق الجنة وطريق الحق، والظاهر أن هذه الجمل كلها متقاربة[1].

يبدو مما سبق:

1. أن اتباع الرسل هو من السبل المؤدية إلى الصراط المستقيم، وهذا ما أشارت إليه الآية السابقة، وقد أشارت آيات أخرى إلى أن الرسل هداهم الله إلى صراط مستقيم، كقوله تعالى عن موسى وهارون عليهما السلام: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[2]، وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ **اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[3]، فإذا كان الأنبياء والرسل هداهم الله إلى الصراط المستقيم، والرسل لا يدعون إلا إلى كل فضيلة، ولا يدعون إلا إلى الله وإلى الصراط المستقيم، فإن من يتبع الرسل وما جاؤوا به من كتب، فإنما هو هداية للصراط المستقيم.

2. من خلال المعاني السابقة لهذه الآيات، يظن البعض أن ذكر الأقوال التي تحدثت عن النور والكتاب قد يكون فيها تعارض، وهذا ليس تعارضاً، وإنما هو من باب احتمال أن يكون للآية أكثر من معنى، لما في القرآن من بلاغة، ولا تعارض بين الأقوال وإن اختلفت، فأن يكون النور هو القرآن والرسول والإسلام وموسى، فكل من هذه الألفاظ يؤدي إلى معنى واحد، فكلهم نور يزيل الظلمات بالإيمان بهم وباتباعهم، فالاختلاف هنا اختلاف تنوُّع لا تضاد، والله تعالى أعلم.

رابعاً: الإيمان والعلم:

(1) البحر المحيط: أبو حيان (464/3)، بتصرف.
(2) سورة الصافات: الآية (118).
(3) سورة النحل: من الآية (121).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال الله تعالى: ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[1].

" جملة ﴿ **وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ معترضة، والواو للاعتراض و﴿ **الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ** ﴾ هم المؤمنون، وقد جمع لهم الوصفان كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ** ﴾[2]، فإظهار لفظ ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ في مقام ضمير ﴿ **الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ** ﴾ لقصد مدحهم بوصف الإيمان، والإيماء إلى أن إيمانهم هم سبب هديهم، وعكسه قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾[3]"[4].

يظهر للباحث:

أن الإيمان هنا: الإيمان بما جاء به النبي ﷺ، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، **وعلاقة العلم مع الإيمان:** أن العلم وُصف به المؤمنون؛ لأنهم تعلموا من رسول الله ﷺ فإيمان على علم خير من إيمان على جهل، فلا يكون إيمان صحيح إلا بعلم، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يقولون: **تعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيماناً**[5].

وقد ورد مدح العلماء وأهل العلم في أكثر من آية من كتاب الله، فالعلم عامل مهم في الإيمان، فنجد ذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ** ﴾[6]، وقوله: ﴿ **هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[7]، فالإيمان سبب من أسباب الهداية إلى الصراط المستقيم، والله تعالى أعلم.

العلاقة بين الصراط و القرآن المكي والمدني:

بعد الاستقراء لكلمة الصراط ومشتقاتها في كتاب الله تبيَّن ما يلي:

1. إن معظمها ورد في سياق الهداية سواء كانت في السور المكية أو المدنية ، وهذا يعني أن الصراط المستقيم واحد لا يتغير، فهو الطريق الواضح الموصل للجنة.

---

(1) سورة الحج: الآية (54).
(2) سورة النور: من الآية (56).
(3) سورة الزمر: من الآية (3).
(4) التحرير والتنوير: ابن عاشور (307/17).
(5) التمهيد: ابن عبد البر (133/14)، بنحوه.
(6) سورة محمد: الآية (19).
(7) سورة الزمر: من الآية (9).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2. الصراط في غالبية السور المكية والمدنية موصوف بالاستقامة والاستواء، وأنه صراط العزيز الحميد أي أنه صراط ربّاني، الذي فيه الخير والرشاد للجميع، حتى أن الشيطان أقر بذلك فقال: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1].

3. الصراط المستقيم، والصراط السوي، وصراط العزيز الحميد يوجد بينهما علاقة تلازم وترابط، فإن الصراط المستقيم هو صراط الله العزيز الحميد، وصراط الله العزيز الحميد هو الذي يؤدي إلى الصراط المستقيم.

4. إن الصراط المستقيم ورد في سياق الهداية، سواء كانت مكية أو مدنية، ونجد أن صيغ الهداية جاءت مرة بصيغة الماضي كما في قوله تعالى: ﴿ **شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[2].

وجاءت بصيغة المضارع كما في قوله تعالى: ﴿ **سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[3].

جاءت بصيغة الامر كما في قوله تعالى: ﴿ **احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (22) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ** ﴾[4].

بعد التأمل في كتاب الله تبين أن مجيء كلمة الصراط في سياق الهداية بصيغة الزمن الماضي والمضارع فالهداية هنا هداية إلى الخير، أما صيغة الأمر فالهداية فيها للشر وللدلالة إلى طريق جهنم، ونلاحظ أن استخدام صيغة الماضي والمضارع في السياق للهداية والخطاب في الدنيا، أما استخدام صيغة الأمر فالخطاب في الآخرة ،وفي استخدام صيغة الزمن الماضي والمضارع يتبين أن الإنسان مخيَّر في الاختيار؛ أما صيغة الأمر فلا مجال فيها للاختيار، وفي حالة ورود الصراط المستقيم في سياق الهداية الدالة على الخير في صيغة الأمر نجد أنها مسبوقة بقوله: ﴿ **فاعبدوه** ﴾، و ﴿ **اتبعني** ﴾ فهذا يعني أن الهداية هداية دلالة على الخير، وقيدها وجود فعل أمر آخر دال على الطلب .

وفي ذلك إشارة أيضا أن الهداية للصراط المستقيم واقعة في الزمن الماضي والمستقبل ونحن مأمورون باتباع الصراط المستقيم.

- **لفظة المنهاج والنجدان:**

---

(1) سورة الأعراف: الآية (16).

(2) سورة النحل: الآية (16).

(3) سورة البقرة: الآية (142).

(4) سورة الصافات: الآية (22، 23).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول تعالى: ﴿ **أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾[2]، وقد سبق تعريف المنهاج والنجدين في الفصل الثاني.

العلاقة بين منهاجاً والسورة التي وردت فيها:

وردت هذه اللفظة في سورة المائدة ،وهي سورة مدنية والسور المدنية نزلت فيها التشريعات ووضحت الأحكام التي هي منهاج المسلمين وسياق الآيات التي سبقت ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً** ﴾ كان يتحدث عن الأحكام المتعلقة بقتل النفس والقصاص وبيان أن التوراة والإنجيل فيها نور من الله، فناسب ذكر ﴿ **مِنْهَاجاً** ﴾ لهذا السياق؛ لأن المنهاج هو الذي يحدد ويوضح هذه الحدود والتشريعات.

المناسبة بين النجدين والسورة التي وردت فيها:

في قوله تعالى: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾ وردت هذه الآية في سورة البلد وهي سورة مكية سواء كان تفسير النجدين بأنها طريق الخير والشر أو الذي سبق تعريفه[3]، فإنهما بحاجة إلى هداية ودلالة،وقد ذكر الله النعم التي أنعمها على الإنسان وعددها عليه فقال: ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ** ﴾ فهذه النعم يبصر بها الإنسان الحق ويتكلم ويسأل ويستفسر لتكون طريقاً للهداية والاختيار بين الهدى والضلال والحق والباطل، ولعل ذلك ما أشار إليه الشهيد سيد قطب .رحمه الله .: إن الإنسان يعتد بقوته والله هو المنعم عليه بهذا القدر من القوة ويضن بالمال، والله هو المنعم ... وقد جعل له من الحواس في عالم المحسوسات جعل له عينين على هذا ﴿ **وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ** ﴾، ثم أودع نفسه خصائص القدرة على إدراك الخير والشر والهدى والضلال والحق والباطل: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾ ليختار أيهما شاء، ففي طبيعته هذا الاستعداد المزدوج لسلوك أي النجدين[4].

---

(1) سورة المائدة:الآية (48).

(2) انظر (ص: 102).

(3) سورة المائدة:الآية (48).

(4) في ظلال القرآن: قطب (3910/6-3911)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

أثر بنية وصفات حروف الطريق ونظائرها على المعنى

سأحاول إن شاء الله تعالى في هذا المطلب أن أبين تأثير الحروف وصفاتها وأصواتها على المعنى إن وُجد دون تكلف، وذلك بالتعرف على صفات حروف الطريق ونظائرها، وتأثير هذه الصفات والمعاني على المعنى والتفسير، ولكن قبل الكتابة في هذا المطلب هناك سؤال مهم: هل لأصوات وصفات كلمات القرآن تأثير على النفس؟.

الإجابة: نعم، وذلك أن القرآن الكريم وهو كلام الله المعجز بحروفه وكلامه، له التأثير في النفس، فكثير من الصحابة ﷺ دخل الإيمان إلى قلوبهم عند سماعهم كلام الله تعالى، مثلما حدث مع عمر بن الخطاب ﷺ، وذلك عندما ذهب لقتل رسول الله ﷺ، فقابله رجل فقال: إلى أين؟ قال: أريد هذا الصابئ الذي فرَّق أمر قريش؛ فقال الرجل: أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم، فعاد إلى بيت أخته فاطمة بنت الخطاب وختنه . رضي الله عنهما . وكانا يقرآن من سورة طه، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت أخته: نعم قد أسلمنا، فاصنع ما بدا لك، وأراد عمر ﷺ أن يقرأ القرآن، وقد اغتسل بطلب من أخته، وقد أعطته الصحيفة وفيها: ﴿ **طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى** ﴾[1]؛ فقرأها، وقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه...."[2].

ولقد شهد الوليد بن المغيرة بن شعبة بإعجاز القرآن، فقال: " والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وفرعه لجناة "؛ ولقد عاد أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، وذلك بعدما سمع من رسول الله ﷺ: ﴿ **حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾[3]، كيف لا يكون للقرآن هذا التأثير، وهو إذا أُنزل على جبل رأيته خاشعاً متصدعاً، ولقد كان القرآن الكريم ينزل على المنافقين ليفزع قلوبهم، وينزل عليهم كالسهام لما فيه من كشف فضائحهم ومكرهم، فقد كانوا يضعون أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعوا ولا يؤمنوا ﴿ **أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾[4]، جعلهم أصابعهم في آذانهم، فلا يسمعون القرآن، فيؤمنون به وبمحمد ﷺ[5].

---

(1) سورة طه: الآية (1-2).

(2) السيرة النبوية: ابن هشام (221/1-222)، بتصرف.

(3) المنهج الحركي: الغضبان (221/1-222)، بتصرف.

(4) سورة البقرة: الآية (19).

(5) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (152/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد كان للحروف المقطعة تأثير في لفت انتباه سمع الكفار للقرآن، مما يدل على مدى تأثير الأصوات والحروف على النفس، سواء كانت كافرة أو مؤمنة، " وهي إشارة إلى حروف الهجاء، أعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن ... وقد كانوا ينفرون عند استماع القرآن، فلما سمعوا ﴿ **الم المص** ﴾ استنكروا هذا اللفظ، فلما أنصتوا له ﷺ أقبل عليهم بالقرآن المؤتلف ليثبته في أسماعهم وآذانهم ... وقد روي أن المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن بمكة وقالوا: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** ﴾ [1]، نزلت ليستغربوها فيفتحون لها أسماعهم ...[2].

هل تؤثر طريقة القراءة والتلاوة على المعنى؟

نعم، إن طريقة القراءة والتلاوة للقرآن تؤثر، ولكن يجب على من يتلو القرآن أن يراعي أحكام التلاوة والتجويد، ومثال ذلك:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾[3]. ﴿ **فَقَعُوا**﴾ يمكن عند قراءتها تكون مشتقة من الفعل (وقع) أو من الفعل (فقع) وكل له معنى مختلف عن الآخر في قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ ﴿ **فَقَعُوا** ﴾ في الآية أي اسقطوا له ساجدين، وهذه الحال لإفادة نوع الوقوع، وهو الوقع بقصد التعظيم[4]، إذ هي مشتقة من وقع والوقوع، والفاء فيها ليست أصلية، بل هي عاطفة؛ أما (فقعوا) التي تكون مشتقة من الفعل فقع، فهي ليست المرادة في الآية، وهي بمعنى صوت الأصابع إذا ضرب بعضها ببعض[5]؛ أي الفقع هنا خروج الصوت؛ وعليه فإن طريقة القراءة والأداء هنا يميزان المعنى.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ **فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾[6]. ﴿ **فَسَقَى** ﴾ عند قراءتها مفردة تحمل معنيين:

المعنى الأول: السقاية، وهي المرادة والواردة في كتاب الله.

المعنى الثاني: من الفسق، والألف للمثنى، وهو المرفوض؛ ولكن الأداء والقراءة هما اللذان يميزان بينهما، وكتابة كل واحد (فسقى) تكتب بالألف المقصورة، وتحمل معنى السقاية، وهي

---

(1) سورة فصلت: الآية (26).

(2) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (109/1)، وانظر: جامع البيان: الطبري (121/1).

(3) سورة الحجر: الآية (29).

(4) التحرير والتنوير: ابن عاشور (45/14).

(5) لسان العرب: ابن منظور (256/8).

(6) سورة القصص: الآية (24).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أصلية في الكلمة، والفاء عاطفة ليست أصلية، أما (فسقا) من الفسق فالفاء هنا أصلية، والألف ألف الاثنين، ولكن هناك تشابه في القراءة.

الخلاصة: إن طريقة الأداء والقراءة تجعل لبعض الكلمات معنى آخر، لذلك حفظ الله القرآن من أن يأتيه الباطل؛ وهو محفوظ من التحريف والتبديل والتغيير ولو أداءً، لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾[1]؛ فالقرآن الكريم الذي تناول وجوهاً عدة من وجوه الإعجاز . ومن ضمنه الإعجاز الصوتي للحروف في الكلمة القرآنية، الذي سأتناوله في هذا المطلب إن شاء الله تعالى . محفوظ ومعجز في كل زمان ومكان.

وسأركز في هذا المطلب إن شاء الله تعالى على حروف الطريق ونظائرها، وسأجتهد لإبراز هذا الوجه دون تكلف، ولربما يقتصر كلامي على بعض نماذج من الطريق ونظائرها.

ولقد تناول المفسرون الأحرف الهجائية المقطعة، وتكلموا في تفسيرها، وقد تعددت واختلفت أقوالهم، وقد ذكرها الإمام الطبري[2]، ولست هنا بصدد ذكر هذه الأقوال، ولكن ما يعنيني منها أنهم اجتهدوا في ذكر الأقوال الواردة، مع العلم أن البعض اعتبرها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، ومع ذلك قام البعض واجتهد في تفسير هذه الحروف؛ وإن ما سأتناوله لا يُعتبر من المتشابه.

وعليه سأقوم بتعريف صفات حروف الطريق ونظائرها تعريفاً لغوياً، وسأعتمد على التعريف اللغوي لهذه الصفات في إظهار العلاقة والمناسبة بينها وبين كلمة الطريق ونظائرها، وتأثيرها على التفسير، وسأذكر هذه الصفات مجملة؛ لأنها ستتكرر في تعريفاتها.

[أولاً: تعريف الصفة في اللغة: هي ما قام بالشيء من المعاني، حسياً كان كالبياض والسواد، أو معنوياً كالكرم والشجاعة والعلم ونحو ذلك.

ثانياً: الصفة في الاصطلاح: هي كيفية تثبت للحرف عند النطق به، فتميزه عن غيره من الأحرف.

وتنقسم صفات الحروف إلى قسمين:

الأول: صفات ذاتية، وهي الملازمة لذات الحرف، ولا تنفك عنه أبداً كالقلقلة والجهر.

الثاني: صفات عرضية، وهي التي يتصف بها الحرف أحياناً وتفارقه أحياناً أخرى، كالتفخيم والترقيق بالنسبة للراء.

وتنقسم الصفات الذاتية إلى قسمين:

---

(1) سورة الحجر: الآية(9).

(2) جامع البيان :الطبري (1/118-124).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأول: قسم له ضد،وعددها إحدى عشرة صفة وهي:

1. **الهمس:** وهو لغة: الخفاء، وحروفه عشرة، وهي مجموعة في قوله: " فحثه شخص سكت ".

2. **الجهر:** وهو لغة: الظهور والإعلان، وحروفه واحد وعشرون حرفاً، مجموعة في العبارة التالية: " عظم وزن قارئ غض ذي طلب جد " إضافة إلى الواو المدية والياء اللينية.

3. **الشدة:** وهي لغة: القوة، وعدد حروفها ثمانية، مجموعة في قوله: " أجد قط بكت ".

4. **التوسط:** وهي لغة: الاعتدال، وعدد حروفها خمسة، مجموعة في قوله: " لن عمر ".

5. **الرخاوة:** وهي لغة: اللين، وعدد حروفها ثمانية عشر، وهي: " أ، ث، ح، خ، ذ، ز، س، ش، ص، ض، ظ، غ، ف، ه، و، ي، الواو المدية، الياء المدية ".

6. **الاستعلاء:** وهو لغة: العلو والارتفاع، وعدد حروفه سبعة، مجموعة في قوله: " خص ضغط قظ ".

7. **الاستفال:** وهو لغة: الانخفاض والانحطاط، وعدد حروفه أربعة وعشرون حرفاً، وهي: " ء، ب، ت، ث، ج، ح، د، ذ، ر، ز، س، ش، ع، ف، ك، ل، م، ن، ه، و، ي، ا، الـــــــواو المدية، الياء المدية ".

8. **الإطباق:** وهو لغة: الإلصاق، وعدد حروفه أربعة، وهي: " ط، ض، ص، ظ ".

9. **الانفتاح:** وهو لغة: الافتراق، وعدد حروفه سبعة وعشرون، وهي الحروف الباقية بعد حروف الإطباق الأربعة.

10. **الإذلاق:** وهو لغة :الفصاحة والبلاغة والخفة، وقيل: الطرف، وعدد حروفه ستة، مجموعة في قوله: " فر من لب ".

11. **الإصمات:** وهو لغة: المنع، ومنه أصمُت، أي أمتنع عن الكلام، وعدد حروفه خمسة وعشرون حرفاً، وهي الحروف المتبقية من حروف الهجاء بعد حروف الإذلاق.

الثاني: قسم لا ضد له وعددها سبع صفات ويزاد عليها الغنة والخفاء فتصبح تسع صفات وهي:

1. **الصفير:** وهو لغة: حدة الصوت، كالصوت الخارج من الثقب عند ضغط الهواء فيه، أو هو صوت يشبه صوت الطائر، وعدد حروفه ثلاثة وهي: " ص، ز، س ".

2. **القلقلة:** وهي لغة: الاضطراب والتحريك، وعدد حروفها خمسة، مجموعة في قوله: " قطب جد ".

3. **اللين:** وهو لغة: السهولة، وحرفاه هما " الواو، والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما ".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4. **الانحراف:** وهو لغة: الميل عن الشيء والعدول عنه، وحرفاه هما: " اللام والراء ".

5. **التكرير:** وهو لغة: الإعادة، وحرفه " الراء ".

6. **التفشي:** وهو لغة الانتشار والاتساع، وحرفه " الشين ".

7. **الاستطالة:** وهي لغة: الامتداد، وحرفها " الضاد ".

8. **الخفاء:** وهي لغة: الاستتار وعدم الوضوح، وعدد حروفه أربعة وهي: " حروف المد الثلاثة، والهاء "، يجمعها كلمة هاوي.

9. **الغنة:** وهي لغة: صوت له رنين يخرج من الخيشوم، وحرفا الغنة هما: " النون والميم "[1].

اقتصرت هنا على التعريف اللغوي لهذه الصفات التي ذكرتها، وذلك لوجود علاقة بينها وبين حروف كلمة الطريق ونظائرها.

أولاً: الطريق:

كلمة (طريق) تتكون من أربعة أحرف وهي: " الطاء، والراء، والياء، والقاف ".

صفات حروف كلمة طريق:

أولاً: صفات حرف الطاء: وهي أنه: جهري، شديد، مستعلي، مطبق، مصمت، مقلقل؛ والملاحظ أن حرف الطاء فيه صفات ذاتية ملازمة له ولا تنفك عنه أبداً كالقلقلة والجهر.

والقلقلة في حرف الطاء تعطينا صورة الحركة والسير على الطريق في حركة الإنسان والحيوان والسيارات إلى غير ذلك.

ثانياً: صفات حرف الراء: وهي أنه: جهري، متوسط، مستفل، منفتح، مذلق، منحرف، مكرر.

ثالثاً: صفات حرف الياء: وهي أنه: جهري، رخوي، مستفل، منفتح، مصمت، لين، خفي؛ وهو من الحروف المدية، والطريق فيها امتداد، سواء طال أم قصر.

رابعاً: صفات حرف القاف: وهي أنه: جهري، شديد، مستعلي، منفتح، مصمت، مقلقل.

وصفات حروف كلمة الطريق مجتمعة هي: الجهر، الشدة، الاستعلاء، الإطباق، الإصمات، القلقلة، التوسط، الاستفال، الانفتاح، الإذلاق، الانحراف، التكرير، الرخاوة، اللين، الخفاء.

---

(1) النشر في القراءات العشر: الجزري (202/1-204)، بغية المريد: الحرازي (ص: 269-293)، المرشد في علم التجويد: العقرباوي (157/1-164)، المغني في علم التجويد: الجمل (ص: 122) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالصفات الجهرية: من الجهر، وهو الظهور والإعلان، وأي طريق مادي أو معنوي لابد له من ظهور وإعلان؛ **فالطريق المادي** يظهر بظهور وإعلان ورسم معالمه من حيث الطول والقصر، والاتساع والاستواء، والاستقامة والاعوجاج كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخَافُ دَرَكاً وَلا تَخْشَى** ﴾[1]؛ **أما الطريق المعنوي** فيكون ظهوره بظهور وإعلان عقيدته وفكرته ومنهجه.

والصفات الشديدة: من الشدة والقوة، لما فيها من غلظة على أهل النار، متمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً** ﴾ [2]، ففيها غلظة وشدة على سبيل التحقير والتصغير؛ بعكس قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[3].

أما صفات الاستعلاء: وهي من العلو والارتفاع، والطريق فيها علو وارتفاع، والطريق المستقيم فيه علو شأن، وارتفاع مكانة بالهداية واتباع الطريق المستقيم، وأيضاً العلو والتكبر عن هذا الطريق فيه خسارة أبدية، وهي طريق جهنم.

وفي صفات الإصمات: ففيها المنع والصد عن هذا الطريق، وذلك بالوقوف ضد من اتبع طريق الإيمان، ويكون المنع باتباع طريق الكافرين، يمنعون من دخول الجنة، ويدعون لدخول النار؛ لأنهم ساروا وهدوا طريق جهنم.

أما القلقلة: وهي الاضطراب، فهي تعطينا صورة الحركة والسير على الطريق، ويكون الاضطراب عندما يسير الإنسان على طريق نهايته جهنم والعياذ بالله، وتعطينا أيضاً صورة التردد وعدم الاستقرار، فالطريق ليست مكان قرار، إنما هي مكان عبور، حتى أننا نجد من يمكث فترة طويلة في سيارته في بعض الأماكن يخالف؛ لأنه ليس مكاناً للاستقرار، فهي إشارة للإنسان أن لا يجعل هذه الدنيا دار قرار، فالدنيا كالطريق، وقد أشار الرسول ﷺ إلى ذلك فقال: " **كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ** "[4].

والتوسط والاستفال والانفتاح، والانحراف: فتدل على أحوال الطريق وصفاتها، **فالتوسط** هو الاعتدال والاستقامة يقول تعالي: ﴿ ِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[5]. **والاستفال**

---

(1) سورة طه: الآية (77).

(2) سورة النساء : الآية(168).

(3) سورة الأحقاف : الآية(30).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الرقاق، باب قول النبي كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر .. 2358/5 ح 6053)..

(5) سورة الأحقاف: من الآية (30).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي هو الانخفاض والانحطاط، وهو الميل، والعدول عنه يؤدي إلى انخفاض ووضاعة من حاد وعدل عن الطريق المستقيم، ولا يبلغ درجة العلو والرفعة من حاد عن الطريق المستقيم.

والتكرير: هو الإعادة يعطينا صورة تتابع الخطوات والسير على الطريق، وهو بإعادة الخطوات والمشي، والإعادة أن الإنسان يعتاد سلوك طريق معين فيعتادها ذهاباً وإياباً.

أما الحروف الرخوية: فهي في الطريق المائي والجوي؛ وسيأتي في صفات حروف السبيل، فحروف كلمة طريق جاءت مناسبة لهذه الكلمة ومعناها، والسياق الوارد لها والله تعالى أعلم.

ثانيا: السبيل:

والسبيل مشتق من سبل، والسين، والباء، واللام أصل واحد يدل على إرسال شيء من علو إلى أسفل، وعلى امتداد شيء، والممتد طولاً السبيل وهو الطريق، وسمي بذلك لامتداده[1].

صفات حروف كلمة السبيل:

أولاً: صفات حرف السين: وهي أنه: مهموس، رخوي، مستفل، منفتح، مصمت، صفيري.

ثانياً: صفات حرف الباء: وهي أنه: جهري، شديد، مستفل، منفتح، مصمت، مذلق، مقلقل.

ثالثاً: صفات حرف الياء: وهي أنه: جهري، رخوي، مستفل، منفتح، مصمت، ليني، خفي.

رابعاً: صفات حرف اللام: وهي أنه: جهري، متوسط، مستفل، منفتح، مذلق، منحرف.

إذن صفات حروف كلمة السبيل مجتمعة هي: الجهر، الشدة، الاستفال، الانفتاح، الإصمات، الإذلاق، القلقلة، الرخاوة، اللين، الخفاء، الانحراف.

فصفة الهمس في السين والخفاء في الياء فيها معنى الإخلاص، وخاصة أن كلمة سبيل وردت في كثير من الآيات مقرونة بلفظ الجلالة مضافة إليه " **سبيل الله** "، وقد وردت في سياق أعمال صالحة تحتاج إلى إخلاص، وصدق في النية، ولا تحتاج إلى رياء؛ والإخلاص فيه معنى الخفاء وعدم الظهور، ومن هذه الأعمال الصالحة، القتال في سبيل الله، والهجرة، والإنفاق.

لربما يسأل سائل معترض لماذا خصصت هذه الأعمال دون غيرها مع أن جميع الأعمال الصالحة تحتاج إلى إخلاص؟!

أجيب على ذلك:

أولاً: جميع الأعمال الصالحة تحتاج إلى إخلاص نعم، ولكن هذه الأعمال أكثر الأعمال دخولاً للرياء وللشيطان، فتختلط النوايا لما في الإنسان من حب المدح والظهور.

---

(1) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (3/129-130).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: أن الرسول ﷺ خصَّص أصنافاً، هم أول من يُقضى بينهم يوم القيامة وهم القارئ والمتصدق والمجاهد[1].

وكل هذه الأمور تحتاج إلى خفاء في عملها مخافة الوقوع في الرياء والشرك، فناسب الهمس والخفاء في حرفي السين والياء في كلمة سبيل ورودها في هذا السياق، وإن هذه الطرق الجهاد، والإنفاق، وغيرهما هي طريق سهلة، بل من أسهل الطرق المؤدية إلى الجنة.

أما الحروف الرخوية وهي الحروف السهلة، فجاءت مناسبة أيضاً في كلمة سبيل، وهما حرفا السين والباء، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً** ﴾[2]، أشرت في بداية هذا البحث إلى وجود طريق مائي وهذه الآية تشير إلى هذا المعنى؛ لأن طريق الحيتان والأسماك هو الماء، وهنا توجد سهولة في هذا الطريق، لذا لا تشعر الأسماك والحيتان بصعوبة في هذا الطريق، إلا إذا سارت عكس التيار، وكأن الذي يعاند ويعاكس الدين ويسير ضده يشعر بمشقة وجهد.

وفي قوله تعالى: ﴿ **فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾[3].

إن كلمة ﴿ **سَبِيلاً** ﴾ هنا جاءت مناسبة لهذا السياق، وهو الحج، والصورة التي يرسمها الإنسان لمناسك الحج من خلال هذه الصفات:

الحروف الجهرية الظهور والإعلان، وهو ظهور الحجيج بهذه الأعداد وإعلانهم للتوحيد، وتعظيمهم لله بطوافهم حول الكعبة المشرفة.

والحروف الشديدة المتمثلة بحرف الباء، وهذه المناسك تحتاج إلى شدة وقوة لأدائها، والقتال والجهاد يحتاج إلى قوة، والحج جهاد لا شوكة فيه.

أما حروف الاستفال التي هي للانخفاض والانحطاط، فإنها تتمثل في السعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة، والنزول منه، وصعود ونزول الحجاج من أماكنهم، وحركتهم في الحج.

أما حروف الإصمات المتمثلة في حرف السين ، والباء، والياء، وهي بمعنى المنع، ففيها إشارة إلى منع الإنسان من شهواته في الحج، ومنعه من الجدال والرفث ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ**

(1) انظر: صحيح مسلم (كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، 1513/3 ح 1905).
(2) سورة الكهف: الآية (61).
(3) سورة آل عمران: الآية (97).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[1].

أما حروف التوسط المتمثلة في اللام، والتي هي بمعنى الاعتدال، فهي تمثل الاعتدال في المناسك وأدائها والالتزام بها بلا إفراط ولا تفريط، وفيها إشارة إلى وسطية المكان ومركزيته ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾**[2].

أما حروف الانفتاح المتمثلة في حروف السين، والباء، والياء، واللام، والتي هي بمعنى الافتراق، ففيها إشارة إلى الافتراق الحاصل للحجيج بعد أداء مناسك الحج، ويكون ذلك بعودة الحجاج إلى ديارهم، وقد عاهدوا الله على افتراق المعاصي.

أما الصفير المتمثل في حرف السين، فلعل فيه إشارة أيضاً للطائرات باعتبارها وسيلة نقل، والطائرة تصدر صوتاً مشابهاً للصفير عند طيرانها، وإشارة للطريق الجوي الذي يسلكه الحجاج ليصلوا إلى مكة.

أما القلقلة المتمثلة في حرف الباء، والتي هي بمعنى الاضطراب والتحريك، فنجدها واضحة في صورة الحج، والقتال، والجهاد، فهناك حركة وعدم استقرار، وأيضاً يكون اضطراب في النية في هذه العبادات، خاصة أنها تحتاج إلى نية صادقة وخالصة.

والياء من حروف المد، وسمي الطريق بالسبيل لامتداده، والطريق فيه مد، سواء طال أم قصر، فهناك مناسبة بين حرف المد الياء وكلمة السبيل.

ثالثاً: الصراط:

القراءات الواردة لكلمة الصراط:

قرأ ابن كثير الصراط السراط وسراط بالسين، وحجته أن السين الأصل ولا ينتقل عن الأصل إلى ما ليس بأصل.

وقرأ حمزة بإشمام الزاي، **وقرأ الباقون** بالصاد، وحجتهم أنها كتبت في جميع المصاحف بالصاد[3]، والحجة أيضاً لمن قرأ بالصاد أنه أبدلها من السين لتواخي السين في الهمس والصفير، وتواخي الطاء في الإطباق؛ لأن السين مهموسة والطاء مجهورة[1].

---

(1) سورة البقرة: الآية (197).

(2) سورة البقرة: الآية (143).

(3) حجة القراءات: ابن زنجلة (80/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صفات حروف كلمة الصراط ـ الزراط ـ السراط:

أولاً: صفات حرف الزاي: هي أنه: جهري، رخوي، مستفل، منفتح، مصمت، صفيري.

ثانياً: صفات حرف السين: هي أنه: مهموس، رخوي، مستفل، منفتح، مصمت، صفيري.

ثالثاً: صفات حرف الصاد: هي أنه: مهموس، رخوي، مستعلي، مطبق، مصمت، صفيري.

هناك اتفاق بين صفات هذه الحروف الثلاثة في بعض، واختلاف في بعض.

أوجه الاتفاق: الرخاوة، والإصمات، والصفير.

حرف السين، والصاد، والزاي فيها صفة الرخاوة، وهي اللين، وكأن في ذلك إشارة للتيسير على الناس في القراءة والتخفيف، إذ أن قراءتها سراط وصراط وزراط فيه التيسير والتخفيف، فعدم اقتصارها على قراءة واحدة جعل فيها التيسير والتخفيف، التي من أجلها نزل القرآن على سبعة أحرف، فناسبت صفة الرخاوة هذا التيسير والتسهيل ورفع الحرج.

هذه الحروف الثلاثة فيها صفة الصفير وهذه الصفة تلفت الانتباه لدى السامع حين يقرأ القرآن، كما أن في الحروف المقطعة لفت الانتباه.

أما صفة الإصمات لهذه الحروف والتي هي بعنى المنع، وذلك أن سياق الآية في قوله تعالى: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[2]، طلب الهداية، وإن من الهداية المنع من الوقوع في المعاصي، والمنع من الحياد والعدول عن الصراط المستقيم، فجاءت صفة الإصمات مناسبة لسياق الآية والله أعلم.

أوجه الاتفاق بين حرفي الزاي والسين:

إن حرفي الزاي والسين يتفقان من حيث أن كلاً منهما رخوي، مستفل، منفتح، مصمت، صفيري، والاختلاف في كون حرف الزاي جهري والسين مهموس، وعند القراءة لكلمة الصراط بالسين، نجد صفة الهمس وهي الخفاء، وإن تعريف سرط أي سرطت الطعام إذا بلعته؛ لأنه إذا سرط غاب؛ وبعض أهل العلم يقول: السراط مشتق من ذلك؛ لأن الذاهب فيه يغيب[3].

إذن الهمس هو الخفاء، والسراط الغياب، فهناك علاقة بين الخفاء والغياب، وهي عدم الظهور، وذلك يعني الإخلاص وعدم الرياء، و" الصراط المستقيم " معناها واسع، إذ جاء من معانيها أنها طريق الحق، والدين، والإسلام والقرآن .. وكل ذلك بحاجة إلى إخلاص.

---

(1) الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه (62/1)، إعراب القراءات وعللها: ابن خالويه(49/01).

(2) سورة الفاتحة: الآية (6).

(3) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (152/3)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما حرف الزاي ففيه صفة الجهر التي هي بمعنى الظهور والإعلان، أي أن الصراط ظاهر ومعلن وواضح للجميع، لا يحتاج للبحث عنه؛ لأن الصراط هو الطريق الواضح، فهو بيِّن.

أما حرف الصاد فإنه يختلف عن الزاي والسين في صفتي الاستعلاء والإطباق، **أما صفة الاستعلاء** التي هي بمعنى العلو والارتفاع، فإن الصراط المستقيم يتعالى عن الصغائر والكبائر، وهو أعلى وأكثر ارتفاعاً من جميع الطرق والمناهج الوضعية، وفيه علو مكانة ورفعة شأن لمن اتبعه، إذ جعل الهداية للصراط المستقيم من باب النعمة والفضل ﴿ **قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[1].

أما صفة الإطباق فهي الإلصاق، وكأن في ذلك إشارة إلى أنه من أراد اتباع الصراط المستقيم والهداية لا بد وأن يلتصق بالنهج الإلهي ويتبع أوامر الله، ويسير على درب الأنبياء والصالحين ولا يفارقه.

وفي قوله تعالى: ﴿ **فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ** ﴾[2]، ناسب الإلصاق سياق الآية، وفيها أن الكافرين يلتصقون بهذا الطريق من خلال أفعالهم وكفرهم، وهو الطريق إلى النار، وذلك سبب في دخولهم إياها، حيث تحيط بهم النار من كل جانب، يعذبون ويلتصقون بها، وتطبق عليهم فهي مؤصدة.

أما حرف الراء وما فيه من صفات، فقد بيناه في صفة حروف الطريق.

أما حرف الألف فهو من حروف المد وصفاته أنه: جهري، رخوي، مستفل، منفتح، مصمت، لين، خفي، وقد أشرت إلى ما تحمله هذه الصفات من خلال تعريفها، وأضيف أنه من حروف المد، والطريق فيها امتداد طال أم قصر، وأن حرف الألف في كتابته ورسمه مستقيم ومعتدل، دلالة على أن الصراط: الطريق الواضح المعتدل المستقيم لا اعوجاج فيه، فناسب حرف الألف وجوده في كلمة الصراط.

أما حرف الطاء فصفات حروفه: جهري، شديد، مستعلي، مطبق، مصمت، مقلقل، وقد بينت هذه الصفات في كلمة الصراط من خلال أحرف الصراط، والله تعالى أعلم.

رابعاً: المنهاج:

يقول تعالى: ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً**

---

(1) سورة الأنعام: الآية (161).

(2) سورة الصافات: من الآية (23).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[1].

"والمنهاج من نهج النون والهاء والجيم أصلان متباينان:

الأول: النهج الطريق، ونهج لي الأمر أوضحه، وهو مستقيم، والمنهاج والمنهج الطريق أيضاً.

الآخر: الانقطاع، وأتانا فلان ينهج إذا أتى مبهوراً منقطع النفس، وضربت فلان حتى انهج أي سقط[2].

والمعنى أن النهج الطريق، ونهج لي الأمر أوضحه والمنهج هو الطريق أي أن منهاج الله واضح ومستقيم، وأي مخالف لهذا المنهج لا محالة مقطوع ومتعب بعدم اتباعه لهذا المنهج، فهذه الشرعة والمنهاج من عند الله العليم بأمور عباده اللطيف بخلقه.

صفات حروف كلمة نهج:

أولاً: صفات حرف النون: هي أنه: جهري، متوسط، مستفل، منفتح، مذلق، مغن.

ثانياً: صفات حرف الهاء: هي أنه: مهموس، رخوي، مستفل، منفتح، مصمت، خفي.

ثالثاً: صفات حرف الجيم: هي أنه: جهري، شديد، مستفل، منفتح، مصمت، مقلقل.

إذن صفات حروف كلمة نهج مجموعة هي: جهري، متوسط، مستفل، مذلق، مهموس، رخوي، مصمت، شديد، مقلقل.

فكونه جهري كما في حرفي النون، والجيم، من الظهور والإعلان، أي أن منهج الله ظاهر وواضح لا غبش ولا عيب فيه، وكل أمة كان لها منهجها الظاهر الواضح المعلن.

كونه متوسطاً كما في حرف النون، أنه منهج وسط، كما أن الأمة التي أنزل فيها هذا المنهج أمة وسط، وهو منهج معتدل، شديد في مواطن الشدة لا رأفة فيه، سهل ولين في مواطن اللين، وهو صالح لكل زمان ومكان، يسري على الجميع بعدل دون استثناء.

وكونه مستفلاً كما في حرف النون، والهاء، والجيم، بمعنى الانخفاض والانحطاط، أي أنه سهل الاتباع في متناول الجميع، ولا يقصد هنا من الانخفاض والانحطاط الوضاعة . معاذ الله . ولكن تطبيقه ليس ببعيد كما يتصور البعض أن فيه الغلظة والشدة مما يشيعونه من قضية القصاص وقطع اليد والرجم.

---

(1) سورة المائدة: الآية (48).

(2) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (361/5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كونه منفتحاً كما في حرف النون، والهاء، والجيم، وهو بمعنى الافتراق، أي أنه منهج يفرق بين الحق والباطل، فلا فرق فيه بين قوي وضعيف، وغني وفقير، وأن فراق هذا المنهج يؤدي إلى الهاوية والضلال.

كونه رخوياً كما في حرف الهاء، والرخاوة: الليونة والسهولة، أي أن منهج الله فيه سهولة ويسر في تطبيقه، وأخذ أحكامه، ولا يوجد منهج أيسر من منهج الله، كما أن فيه الصلاح والفلاح للعباد.

كونه مصمتاً كما في حرفي الهاء، والجيم، والإصمات من المنع، ومن يسير على هذا المنهج يمنع نفسه من ورود المهالك والنار، وهو منهج مانع للإنسان من المعاصي.

كونه شديداً كما في حرف الجيم، والشدة من القوة، ومنهج الله يحتاج إلى قوة في تطبيقه، ولتطبيقه يقول تعالى: ﴿ **يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً** ﴾ [1]، وتطبيق منهاج الله والسير عليه يعطي صاحبه القوة في إيمانه، وسلوكه وحياته.

كونه مقلقلاً كما في حرف الجيم، والقلقلة التحريك والاضطراب، أي أن تطبيق منهج الله والسير على طريق الله يحتاج إلى حركة في تطبيق هذا المنهج المتمثل في العمل الصالح، وتطبيقه والسير عليه لا يحتاج إلى اضطراب، وتردد، بل يحتاج إلى ثقة في النفس واطمئنان، وعزم على السير على منهاج الله والله تعالى أعلم.

خامسا: النجدان:

يقول تعالى: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾[2].

والنجدان مشتقة من نجد؛ ونجد: النون، والجيم، والدال أصل واحد يدل على اعتلاء وقوة وإشراف، والنجد الطريق العالي، منه النجد: الرجل الشجاع ، ونجد الرجل إذا صار شجاعاً ومن الباب النجد العرق، نجد نجداً عرق من عمل أو كرب، ومن الباب هو نجد في الحاجة، والنجد ما نجد به البيت من متاع والتزيين التنجيد[3].

ما هي العلاقة بين هذه المعاني وبين كلمة (النجدين)؟

نجد: تدل على اعتلاء وقوة وإشراف، والنجد الطريق العالي، فإن طريق الإسلام فيها علو، وهي ليست بالطريق الوضيعة، بل طريق شريفة عالية تحتاج إلى همة عالية، وهي طريق عالي بالنسبة للطفل الذي يريد أن يتناول غذاءه من ثدي أمه.

---

(1) سورة مريم: الآية (12).

(2) سورة البلد: الآية (10).

(3) معجم مقاييس اللغة:ابن فارس(5/391-392)بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والنجد الرجل الشجاع، فالذي يسلك الطريق العالي المرتفع لا بد له من قوة وشجاعة، لما يحتويه هذا الطريق من مخاطر، والنجد من العرق أي أن كل سالك لهذا الطريق يبذل مجهوداً، إما بالسير، وإما بالدفاع، وإما بهمته للحفاظ على هذا الدين، وطريق الدعوة إلى الله، وكأن باتباعنا لهذا الطريق العالي نزين أنفسنا وأجسادنا باتباع المنهج الحق والطريق القويم.

صفات كلمة النجد:

الألف والنون دلالة على المثنى والمقصود بهما إما طريق الخير، وإما طريق الشر.

صفات حروف كلمة نجد:

أولاً: صفات حرف النون: هي أنه: جهري، متوسط، مستفل، منفتح، مذلق، مغن.

ثانياً: صفات حرف الجيم: هي أنه: جهري، شديد، مستفل، منفتح، مصمت، مقلقل.

ثالثاً: صفات حرف الدال: هي أنه: جهري، شديد، مستفل، مصمت، مقلقل.

إذن صفات حروف كلمة نجد مجموعة هي: جهري، متوسط، مستفل، منفتح، مذلق، مغن، شديد، مصمت، مقلقل.

كونه جهرياً كما في حرف النون، والجيم، والدال، من الظهور والإعلان، فإن الطريق العالي ظاهر ومعلن للعيان، فناسب الظهور والإعلان المتمثل بصفة الجهر علو الطريق.

كونه متوسطاً كما في حرف النون، أي المعتدل، وذلك أن التوسط يكون بين الشدة والرخاوة، والنجدان هنا طريق الخير وطريق الشر، فطريق الخير فيها الرخاوة والسهولة والارتياح في الدنيا والآخرة، أما طريق الشر ففيها شدة على الإنسان في حياته وآخرته، وعلى الإنسان أن يكون معتدلاً وعادلاً مع نفسه إذا ما خير بين الطريقين، ويدل ذلك على عدل الله، حيث أعطى للإنسان حرية الاختيار ولم يجبره.

وعلى اعتبار من قال: إن النجدين هما الثديين، فيكون ذلك التوسط والاعتدال بأن اللبن في ثديي الأم يكون بارداً في الصيف ودافئاً في الشتاء.

وكونه مستفلاً كما في حرف النون، والجيم، والدال، والذي هو بمعنى الانخفاض والانحطاط، وهو ضد الاستعلاء؛ والنجدان هنا طريق الخير، وطريق الشر، فطريق الشر فيها انخفاض وانحطاط لمن يتبع هذا الطريق، لسلوكه طريق الشهوات والمعاصي، فهي تؤدي بسالكها إلى الانخفاض والانحطاط إلى مستوى الدواب والحيوان، وفي المقابل إن من يتبع طريق الخير يستعلي عن هذه الأمور.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كونـه منفتحـاً كما في حرف النون، والجيم، والدال، والانفتاح هو الافتراق، إذ أن طريق الخير وطريق الشر، طريق الإسلام وطريق الكفر، مفترقان، ولن يجتمعا، فناسبت هذه الصفة سياق الكلمة (النجدين).

كونـه مـذلقاً كما في حرف النون، فالمعلوم أن الإذلاق الفصاحة والبلاغة، وأن من يدعوا إلى هذين الطريقين يحتاج إلى فصاحة وبلاغة ليؤثر في الناس، ويقنعهم باتباع الطريق، فدعاة طريق الخير يمتازون بالفصاحة والبلاغة، وهي محمودة، وكذلك دعاة طريق الشر وهي مذمومة.

كونـه شـديداً ومقلقـلاً كما في حرف الجيم، والدال؛ والشدة هي القوة، فناسبت هذه الصفة هذه الكلمة؛ لأن الطريق المرتفع، والوصول على رفعة في الدين يحتاج إلى قوة في الإيمان وزيادة في العمل الصالح والتقرب إلى الله.

وكونـه مقلقـلاً، فهو متمثل في حركة السير على هذا الطريق، والعمل في طريق الدعوة، والاضطراب، فهو بيِّن في تردد الإنسان في الاختيار بين الطريقين، وعدم الاستقرار على طريق واحدة، تارة يعصي الله باختياره طريق الشر، وأخرى يرضي الله باتباع أوامره واختيار طريق الخير.

كونـه مصمتاً كما في حرف الجيم، والدال؛ والإصمات المنع، والنجدان هما طريق الخير وطريق الشر، والعلاقة بين المنع وهذين الطريقين هي أنه من اتبع طريق الخير وسار على النهج الصحيح منعه ذلك من دخول النار، ومن اتبع طريق الشر وسار على خطاه منعه ذلك من دخول الجنة.

هذه هي العلاقة التي توصلت إليها بفضل الله تعالى بين بنية وصفات وأصوات الحروف لكلمة الطريق ونظائرها، وهذا كله اجتهاد، ولا أقطع بأنه هو المقصود، فإن كان فيه صواب فبتوفيق الله وفضله، وأرجو أن أكون قد فتحت هذا الباب لطلبة العلم للبحث في هذا الفن، وإن كان هناك خطأ، فمن نفسي؛ واللهَ أسألُ المغفرة، والله تعالى أعلم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصـــل الثالث

الإعجاز الصوتي وأثره على التفسير

ويتكون من تمهيد ومبحثين:

المبحث الأول: الكلمة القرآنية والقيمة البلاغية.

المبحث الثاني: أصوات وصفات حروف الكلمة، وأثرها على التفسير.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد

أولاً: تعريف الإعجاز في اللغة:

الإعجاز مأخوذ من العجز وهو الضعف، تقول: عجزت عن كذا وكذا، إذا ضعفت عن عمله، والعجز: عدم القدرة، والإعجاز: الفوت والسبق، يقال: أعجزني فلان، أي فاتني[1].

ومصدر أعجز: الإعجاز، ومنه اشتقت كلمة معجزة، وهي اسم الفاعل منه لحقته تاء التأنيث؛ وهي واحدة معجزات الأنبياء التي تؤيد بها نبوتهم؛ وقد صار لها هذا المعنى في زمن متأخر عن الرسالة، حيث أطلقها العلماء عليه اصطلاحاً، كما أطلقوا المصدر الإعجاز على إنصاف الشيء بها أي أنه أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارض؛ ولم يرد في القرآن لفظ معجزة أو إعجاز وإنما جاء فيه ألفاظ: آية، برهان، سلطان، وهذه الكلمات لا ترادف كلمة معجزة ولا تشمل معنى الإعجاز المفهوم منها، وإنما تدل على جزء من معناها الذي يشمل أكثر من معنى جزئي واحد[2].

ثانياً: تعريف الإعجاز في الاصطلاح:

عرفه الجرجاني فقال: " الإعجاز هو أن يرتقي الكلام في بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته "[3].

وجوه الإعجاز القرآني:

إن القرآن الكريم وهو كلام الله معجز للبشر وغيرهم؛ معجز بآياته وكلماته وحروفه؛ وقد تحدى الله الإنس والجن على أن يأتوا بمثله فما استطاعوا، قال تعالى: ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾[4].

فهو إذن معجز على مدى الأزمان إلى أن يشاء الله تعالى؛ ولما كان الأمر كذلك لم يكن الإعجاز مقصوراً على نوع واحد من الإعجاز، بل اشتمل على أنواع ووجوه متعددة منه، يقول الشيخ فضل عباس . حفظه الله .: " وإذا كان المسلمون والمنصفون من غيرهم مجمعين على أن القرآن الكريم كتاب معجز، وهو المعجزة العظمى لسيدنا رسول الله ﷺ أقول: إذا كان هؤلاء وأولئك متفقين على هذا ومتفقين كذلك على أن بيان القرآن وبلاغته ونظمه من أعظم ومن أهم

---

(1) لسان العرب: ابن منظور (/369، 970)، مختار الصحاح: الرازي (174/1)، بتصرف.

(2) فكرة إعجاز القرآن: الحمصي (ص: 7).

(3) التعريفات: الجرجاني (ص: 112).

(4) سورة الإسراء: الآية (88).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجوه إعجازه فلقد اختلفوا فيما وراء ذلك: رأى بعضهم أن القرآن معجز ببيانه فحسب؛ وذهب أكثر العلماء إلى أن وجوه الإعجاز كثيرة ومتعددة، فهناك الإعجاز البياني، وهناك الإعجاز التشريعي، والخلقي، وهناك الإعجاز العلمي إلى غير ما هنالك من وجوه، ... والقائلون بتعدد هذه الوجوه مجمعون على أن البياني هو أعظم هذه الوجوه وأجمعها وأعمها ذلك لأنه لا تخلو منه آية من كتاب الله تعالى؛ أما الوجوه الأخرى فليست كذلك فهي مفرقة "[1].

وقد تناول الدكتور فضل عباس بالدراسة مراحل التحدي، وقرر بعد هذه الدراسة مطمئناً أن وجوه الإعجاز متعددة[2]، وقد أفرد باباً خاصاً لوجوه الإعجاز والتي قسمها على النحو التالي: أولاً: الإعجاز البياني . ثانياً: الإعجاز العلمي . ثالثاً: الإعجاز التشريعي . رابعاً: الإخبار عن الأمور الغيبية . خامساً: الإعجاز النفسي والروحي . سادساً: الإعجاز العددي.

المؤيدون والمعارضون للإعجاز:

ذهب كثير من العلماء إلى إثبات الإعجاز القرآني . وهو القول الراجح . وخالفهم آخرون فلم يثبتوه.

فأما الذين أيدوا وأثبتوا الإعجاز فكانت وجوه الإعجاز عندهم مختلفة، وكانوا كالتالي:

الطبري كان وجه الإعجاز عنده في البلاغة والنظم، بينما كان عند الخطابي في اللفظ والمعنى والنظم وأثره على النفس[3]، ورأى الباقلاني أنه في أمية النبي ﷺ وعجز العرب، والإخبار عن الغيوب والنظم[4]، وقصره عبد القاهر الجرجاني على النظم[5].

وأما المعارضون فقد جعل النظَّام وجه الإعجاز بالصرفة والإخبار بالغيب، وجعله الجاحظ في النظم وقال بالصرفة حيناً؛ وقال الرماني بالصرفة؛ وكذلك قال الشريف المرتضى، ومرة قال بالبلاغة[6].

---

(1) إعجاز القرآن الكريم: عباس (ص: 29).

(2) المرجع السابق (ص: 33).

(3) ثلاث رسائل في الإعجاز (ص: 14)، فكرة إعجاز القرآن: الحمصي (ص: 470).

(4) ثلاث رسائل في الإعجاز (ص: 14).

(5) ثلاث رسائل في الإعجاز (ص: 17، 18)، فكرة إعجاز القرآن: الحمصي (ص: 470).

(6) انظر: فكرة إعجاز القرآن: الحمصي (ص: 469، 470).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصـــل الرابع

طرق الدعوة بين الأبرار والفجار في القرآن الكريم

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: طرق أولى العزم من الرسل.

المبحث الثاني: طرق الأعداء في الصد عن سبيل الله.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

طرق أولى العزم من الرسل

ويتكون من خمسة مطالب:

المطلب الأول: طريقة نوح عليه السلام

المطلب الثاني: طريقة إبراهيم عليه السلام

المطلب الثالث: طريقة موسى عليه السلام

المطلب الرابع: طريقة عيسى عليه السلام

المطلب الخامس: طريقة محمد صلى الله عليه وسلم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

توطئة:

يحار المرء في استخدام الطريقة التي يدعو بها إلى الله ﷻ ولاسيما في زمان كثرت فيه طرق الشر المؤدية إلى الابتعاد عن دين الله ونهج الأنبياء واجتماع الكفر وأهله على المسلمين بهدف صدهم عن سبيل الله، وتشتيت فكرهم ببث السموم فيهم، لذا كان حتماً على الدعاة أن ينهضوا للتصدي لهذا الفكر ولهذه الهجمة الشرسة التي شنها أعداء الله؛ فما هي الطريقة المناسبة التي ينهجها الدعاة؟.

إن أفضل طريقة يتبعها الداعية إلى الله وينهجها في حياته هي طريقة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لأنهم صفوة الله ﷻ وتعاملوا مع أصناف شتى من البشر.

وسنتناول في هذا طريقة أولى العزم من الرسل مثالاً على الطريقة المتبعة للدعوة إلى الله ﷻ.

من هم أولو العزم من الرسل؟

يقول الله تعالى: ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴾[1].

يقول الإمام الطبري . رحمه الله .: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ يثبته على المضي لما قلَّده من عبء الرسالة، وثقل أحمال النبوة، وآمره بالاقتداء في العزم على التعوذ لذلك بأولى العزم من قبله من رسله الذين صبروا ...، إن أولى العزم منهم كانوا الذين امتحنوا في ذات الله في الدنيا بالمحن، فلم تزدهم إلا جِدّاً في أمر الله كنوح وإبراهيم وموسى ومن شبههم، ... ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴾ نوح وإبراهيم، وموسى وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام[2].

(1) سورة الأحقاف: من الآية (35).

(2) جامع البيان: الطبري (302/11، 303)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

طريقة نوح عليه السلام

أرسل الله عز وجل الرسل إلى أقوامهم ليدعوهم إلى عبادة الله وترك ما كانوا يعبدون من الأوثان والأصنام؛ ومن هؤلاء الرسل نوح عليه السلام وقد كان هناك مميزات وخصائص للطريقة التي استخدمها نبي الله نوح عليه السلام في دعوته لقومه بترك ما كانوا يعبدون من دون الله عز وجل؛ والطريقة والمنهج الذي اتبعه نوح عليه السلام هو:

أولاً: الصبر على قومه:

ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾[1].

أي لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً بعد المبعث إذ رُوي أنه بُعث على رأس الأربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان سنين، ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فإن تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه، وكما ذكر الألف من يخيل طول المدة إلى السامع، فإن المقصود من القصة تسلية الرسول ﷺ وتثبيته على ما يكابده من الكفرة[2].

وفي هذه الآية شروع في بيان افتتان الأنبياء عليهم السلام بأذية أممهم إثر بيان افتتان المؤمنين بأذية الكافرين تأكيداً للإنكار على الذين يحسبون أن يُتركوا بمجرد الإيمان بلا ابتلاء وحثاً لهم على الصبر، فإن الأنبياء عليهم السلام حيث ابتلوا بما أصابهم من جهة أممهم من فنون المكاره وصبروا عليها، فلأن يصبر هؤلاء المؤمنون أولى وأحرى[3].

أقول وبالله التوفيق:

على الداعية أن يصبر على دعوة الناس، فإن أعظم الخلق صبروا وتحملوا العذاب من أجل أن يدعوا الناس إلى عبادة الله، وكلمة لبث أفادت معنى عظيماً إذ إن لبث بالمكان أقام به ملازماً له[4]، ومكث[5] يدل ذلك أن سيدنا نوحاً عليه السلام لازم قومه ومكث معهم وأقام عندهم ألف

---

(1) سورة العنكبوت: الآية (14).

(2) تفسير البيضاوي: البيضاوي (310/4)، معالم التنزيل: البغوي (379/2).

(3) روح المعاني: الألوسي (142/20).

(4) المفردات: الراغب (ص: 450).

(5) مختار الصحاح: الرازي (ص: 318).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سنة إلا خمسين عاماً فذلك يدلل على مدى التحمل والصبر الذي صبره سيدنا نوح عليه السلام، وفي ذلك إشارة إلى أن الداعية لا بد أن يلازم ويقيم عند قومه لا يسأم ولا يملّ، بل لا بد أن يصبر على أذى قومه حين يدعوهم إلى كل خير.

لفظة سنة: إن لفظة سنة جاءت في سياق الآيات التي تتحدث عن الكثرة والأعداد الكثيرة، كما في قوله تعالى: ﴿ **تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾[1]، وقوله: ﴿ **وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ** ﴾[2]، وغيرها من الآيات باستثناء قوله تعالى: ﴿ **قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ** ﴾[3]، وقوله: ﴿ **حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ** ﴾[4].

ولذلك توجيه أن كلمة سنة في الآية الثالثة جاءت في سياق التيه في صحراء سيناء، وإن الساعة الواحدة في صحراء بدون طعام وماء لتُقدر بالسنوات الطوال.

أما في الآية الأخيرة: فالخطاب موجه لأمة محمد ﷺ وكما أخبر النبي ﷺ أعمار أمتي بين الستين والسبعين "، فنسبة الأربعين سنة لأعمار أمة محمد ﷺ كبيرة، أربعين سنة من ستين أو سبعين، فذلك إشارة على طول المدة، وناسب معها استخدام لفظة سنة لذلك والله تعالى أعلم.

بعض ملامح الصبر عند سيدنا نوح عليه السلام:

1. صبره على تكذيب قومه له:

كما في قوله تعالى: ﴿ **فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**﴾[5]، وكما وكما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ**﴾[6].

2. صبره على السخرية منه:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ** ﴾[1].

---

(1) سورة المعارج: الآية (4).
(2) سورة الحج: من الآية (47).
(3) سورة المائدة: من الآية (46).
(4) سورة الأحقاف: من الآية (15).
(5) سورة هود: الآية (27).
(6) سورة الحج: الآية (42).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3. صبره على عدم ثقة قومه به، وتشكيكهم فيه:

كما في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ** ﴾[2].

4. صبره على اتهامه بالجنون:

كما في قوله تعالى: ﴿ **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ** ﴾[3].

5. صبره على الخيانة، وخاصة خيانة زوجته:

كما في قوله تعالى: ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ** ﴾[4].

والخيانة هنا ليس المقصود بها خيانة الزوج بالعرض، ولكن الخيانة هنا عدم الإيمان ونقل الأخبار للمشركين.

6. صبره على سوء أدب قومه:

وذلك مجموع فيما سبق، وخطابهم له بجفاء وبقولهم له . كما قال الله تعالى .: ﴿ **قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ** ﴾[5]، وما هكذا يخاطب رسل الله.

أقول وبالله التوفيق:

هذه ملامح من صبر نوح عليه السلام على قومه قد يتعرض الدعاة إلى الله لها كلها أو لبعضها، فليصبر وليحتسب وليجعل له من سيدنا نوح عليه السلام أسوة وقدوة حسنة.

ثانياً: استخدام جميع الأوقات والأحوال في الدعوة إلى الله عز وجل:

كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا** ﴾[1].

---

(1) سورة هود: الآية (38).
(2) سورة إبراهيم: الآية (9).
(3) سورة القمر: الآية (9).
(4) سورة التحريم: الآية (10).
(5) سورة الشعراء: الآية (116).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يخبر الله ﷻ على لسان نوح عليه السلام وهو يناجي ربه حاكياً له تعالى . وهو أعلم بحاله . ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال بعدما بذل في الدعوة غاية المجهود: رب إني دعوت قومي إلى الإيمان والطاعة ﴿ **لَيْلًا وَنَهَارًا** ﴾، أي دائماً من غير فتور ولا توانٍ، ﴿ **فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا** ﴾ مما دعوتهم إليه، ﴿ **وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ** ﴾ سدُّوا مسامعهم واستغشوا ثيابهم أي بالغوا في التغطي بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم لئلا يبصروا، ﴿ **ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا** ﴾، أي دعوتهم تارة بعد تارة على وجوه مختلفة، وأساليب متفاوتة و ﴿ **ثُمَّ** ﴾ لتفاوت الوجوه، فإن الجهار أشد من الإسرار، والجمع بينهما أغلظ من الإفراد، أو لتراخي بعضها عن بعض[2].

وكل هذا من نوح عليه السلام مبالغة في الدعاء لهم وتلطف في الاستدعاء[3].

أقول وبالله التوفيق:

استخدم نوح عليه السلام في دعوته أساليب متنوعة بهدف أن يكسب قومه إلى الدخول في الإسلام والإيمان بالله ﷻ فتارة يدعوهم ليلاً وتارة يدعوهم نهاراً ودعاهم جهاراً وإسراراً.

وفي هذه الآيات لفٌّ ونشر[4]، نهاراً تناسبها جهاراً، وليلاً تناسبها إسراراً والنشر هنا على غير ترتيب اللف.

ويمكن الاستفادة من دعوة نوح عليه السلام في ليلاً ونهاراً، الاستفادة من كل لحظة ودقيقة وبذلها في الدعوة إلى الله الليل للدعوة والنهار للدعوة، فيجب أن يكون الشغل الشاغل للداعية هو الدعوة إلى الله في الليل والنهار لا يفتر ولا يملّ.

وأيضاً استخدام الأسلوب الناجح فإن كان في الإسرار الخير في الدعوة، فلْيُسِر، وإن الجهر بالدعوة هو الخير، فلْيَجْهَر، والضرورة تُقدّر بقدرها.

ويستفاد أيضاً أن الداعية ينكر ويستخدم الأسلوب المناسب بل يجتهد وليس شرطاً أن يستجاب له، فالإنسان عليه أن يعمل ويأخذ بالأسباب والنتائج على الله ﷻ.

ثالثاً: استخدام أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله:

---

(1) سورة نوح: الآيات (5-9).

(2) تفسير أبي السعود: أبو السعود (37/9)، بتصرف.

(3) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (195/18).

(4) اللف والنشر هو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من المتعدد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرد كل واحد إلى ما يناسبه، فالأول اللف والثاني النشر، من بلاغة القرآن: علوان (ص: 240).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1. استخدم الترغيب في الدعوة إلى الله:

ونجد ذلك في كثير من آيات القرآن الكريم منها:

قول الله تعالى: ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (2) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (3) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا** ﴾[2].

فصل دعوته بفاء التفريع فقال: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا** ﴾ فهذا القول الذي قاله لهم ليلاً ونهاراً وجهاراً وإسراراً ومعنى: ﴿ **اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ** ﴾ آمنوا إيماناً يكون استغفاراً لذنبكم فإنكم إن فعلتم غفر الله لكم ... وهذا وعد بخير الآخرة ورتب عليه وعداً بخير الدنيا بطريق جواب الأمر وهو: ﴿ **يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا...** ﴾، وكانوا أهل فلاحة فوعدهم بنزول المطر الذي به السلامة من القحط بالزيادة في الأموال.

أقول وبالله التوفيق:

وهذه الأمور التي ذكرها لهم نوح عليه السلام من باب الترغيب في الإيمان بالله عز وجل وذلك بذكر هذه الأمور التي فيها خير لهم في الدنيا والآخرة.

2. استخدام الترهيب في الدعوة إلى الله:

كما أن نوحاً عليه السلام استخدم أسلوب الترغيب فقد استخدم أيضاً أسلوب الترهيب لتخويف قومه وإقناعهم بالدخول في دين الله عز وجل، ولقد جاء هذا الإنذار والتخويف ي أكثر من آية:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (25) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ** ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (1) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ** ﴾[4].

يقول الشيخ الشعراوي . رحمه الله . في تفسر آيتي هود: " ونحن نلحظ أن همزة ﴿ **إِنِّي** ﴾ في إحدى قراءتي الآية تكون مكسورة، وفي قراءة أخرى تكون مفتوحة[1].

---

(1) سورة نوح: الآيات (2-4).

(2) سورة نوح: الآيات (10-12).

(3) سورة هود: الآيتان (25، 26).

(4) سورة نوح: الآيتان (1، 2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما في قراءة الكسر فتعني أن نوحاً عليه السلام قد جاء بالرسالة، فبلغ قومه وقال: ﴿ **إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ** ﴾، وأما في القراءة الأخرى بالفتح، فتعني أن الرسالة هي ﴿ **أَنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾.

فكأن القراءة الأولى تعني الرواية عن قصة البلاغ، والقراءة الثانية تحدد مضمون الرسالة ﴿ **أَنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ** ﴾، وقول نوح عليه السلام ﴿ **إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ** ﴾، تعلم منه أن النذير هو مَن يخبر بشر لم يأت بعد، حتى يستعد السامع لملاقاته، وما دام نبي الله نوح عليه السلام قد جاء نذيراً، فالسياق مستمر؛ لأن الحق سبحانه قال في الآية التي قبلها ـ أي آية هود .: ﴿ **مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾[2].

أي أن هناك فريقاً عاصياً وكافراً وهو له نذير؛ أما الفريق الآخر فله بشير يخبر بخير قادم ليستعد السامع لاستقباله بنفس مطمئنة.

والفريق الكافر الذي يستحق الإنذار يأتي لهم الحق سبحانه بنص الإنذار في قوله: ﴿ **أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ** ﴾.

ونحن نعلم أن نوحاً عليه السلام محسوب على قومه، وهم محسوبون عليه، ولذلك نجده خائفاً عليهم، لأن الرباط الذي يربطه بهم رباط جامع قوي "[3].

أقول وبالله التوفيق:

إن استخدام أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله من الطرق الناجحة والفعالة، وهي من أكثر الطرق استخداماً في القرآن، وذلك أن نفوس البشر مختلفة، فمن الناس من يتأثر بالترغيب والثواب، ومنهم من يتأثر بالترهيب والعقاب، فالداعية إلى الله يستخدم هذا الأسلوب، أو ذاك كلاً في وقته وحسب الحاجة إليه، فلا يكون ترغيباً دائماً، ويُغفل جانب الترهيب، ولا العكس.

رابعاً: استخدام وإظهار الرأفة والرحمة والخوف على قومه:

يقول الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله .: " وكذلك نجد الحق سبحانه يحنن قلوب المرسل إليهم لعلهم يحسنون استقبال الرسول، ومثال ذلك: ﴿ **وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا**

---

(1) يراجع كتاب النشر في القراءات العشر.

(2) سورة هود: الآية (24).

(3) تفسير الشعراوي: الشعراوي (6424/10).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[1]، ولأن الرسول أخ لهم فلن يغشَّهم أو يخدعهم، ونوح عليه السلام محسوب على قومه، ونجده خائفاً عليهم .." [2].

وقد ظهر هذا الخوف والرأفة عليهم في أكثر من آية من مثل:

– ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾**، فقوله: ﴿ **يَا قَوْمِ ﴾** فيه التودُّد والتقرُّب والتمنِّي أن يؤمنوا بالله سبحانه وتعالى، فلذلك لم يقل: يا أيها القوم، ولكن خاطبهم ﴿ **يَا قَوْمِ ﴾** فأضافهم إليه، وأضاف نفسه إليهم، فهو منهم وهم منه.

– واستخدام جميع الطرق في دعوتهم، في جميع الأحوال والأوقات دلالة على حبه لهم ورأفته بهم كما أشار قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾** ﴿... **ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾**[3].

– ونجد ذلك الحنان وهذه الرأفة في خطاب نوح عليه السلام لابنه كما في قوله تعالى: ﴿ **وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾**[4]، وقوله: ﴿ **وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾**[5].

في هذا الخطاب دلالة على رأفة نوح عليه السلام في دعوة قومه الكافرين وكان ولده أحدهم.

خامساً: استخدام المجادلة مع قومه:

قال الله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾**[6].

الجَدَل في اللغة: من الجدْل، وهو شِدة الفتل، **والمجادلة والجدل:** مقابلة الحجة بالحجة؛ **والمجادلة:** المناظرة والمخاصمة؛ **ويقال: رجل جَدِل:** إذا كان أقوى في الخصام...[7].

الجدل في الاصطلاح: هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلَّمات، والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان.

---

(1) سورة الأعراف: الآية (65).

(2) تفسير الشعراوي: الشعراوي (6423/10، 6424)، بتصرف.

(3) سورة نوح: من الآيات (5–9).

(4) سورة هود: من الآية (42).

(5) سورة هود: الآية (45).

(6) سورة هود: الآية (32).

(7) لسان العرب: ابن منظور (103/11، 105)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو: هو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة. **أو يقصد به:** تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة[1].

وها هو نبي نوح عليه السلام كما أقر القرآن الكريم على لسان قومه أنه جادلهم، وهو الجدال المباح، الذي يُظهر أنه استخدم كل الطرق والأساليب بهدف أن يستجيب إليه قومه، ولكنهم أجابوه: ﴿ **قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا** ﴾ أي خاصمتنا بأنواع الخصام، ودفعتنا بكل حاجة لها مدخل في المقام، ولم يبق لنا في هذا الباب مجال، فقد ضاق علينا المسالك، وانسدت أبواب الحيل[2].

وإكثار الجدال يتحقق بعد وقوع أصله، فلذلك عُطف عليه بالفاء، أي أردت ذلك فأكثرته كما في قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾[3]، ولما حجهم ﷺ وأبرز لهم بينات واضحة المدلول وحججاً تتلقاها العقول بالقبول، وألقمهم الحجر برد شبههم الباطلة، ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل، قالوا: فأتنا بما تعدنا من العذاب[4].

أقول وبالله التوفيق:

إن القرآن الكريم أشار إلى أن نوحاً عليه السلام قد استخدم أسلوب المجادلة مع قومه، وهذه إشارة إلى الدعاة باستخدام المجادلة مع أقوامهم ومع من يدعونهم إلى الهدى، ولكن ضمن قوله تعالى: ﴿ **وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[5].

وعلى الداعية أيضاً أن يكون على قدر من اليقظة والذكاء بحيث يُعجز الخصوم، وأن يعترف الخصوم بذلك فلا يبقى لهم حجة ولا مفر كما فعل نوح عليه السلام؛ وقولهم له: ﴿ **يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا** ﴾ حتى أنهم طلبوا العذاب لعجزهم عن الرد ومقابلة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان.

وعلى الداعية ألا ينتظر الثمار، فهو يغرس والأمر مخوَّل إلى الله، ولا يكون ذلك عاملَ يأس للدعاة؛ ندعو ونجادل ونأتي بالحجج والبراهين، ولا نجد آذاناً صاغية؛ فعلى الدعاة الصبر والدعوة إلى الله والنتائج بيد الله عز وجل ولنا في نوح عليه السلام الأسوة والنموذج فما آمن معه إلا قليل.

---

(1) التعريفات: الجرجاني (101/1).
(2) فتح القدير: الشوكاني (613/2).
(3) سورة النحل: الآية (98).
(4) تفسير أبي السعود: أبو السعود (204/4).
(5) سورة النحل: من الآية (125).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

طريقة إبراهيم عليه السلام

إن الله عز وجل قد خصّ إبراهيم عليه السلام بخصائص عدة منها أن الله عز وجل أخبر عن إبراهيم عليه السلام أنه كان أمة ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[1]، وجعله خليله حيث ذكر النبي ﷺ في حديث الشفاعة الطويل قول آدم عليه السلام للناس وقد اعتذر لهم عن الشفاعة: " **وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللهِ** "[2].

وكانت معجزة إبراهيم عليه السلام التي أدهشت العقول، وهي عدم احتراقه بالنار: ﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ** ﴾[3].

وقد اتصف إبراهيم عليه السلام بأسلوبه الحواري، وإتيانه بالأدلة والبراهين في دعوته إلى الله عز وجل، وكانت له طرق في دعوة قومه إلى عبادة الله تمثلت في الآتي:

أولاً: استخدام الأدلة والبراهين المنطقية في إثبات دعوته:

إن الداعية الذي يستخدم الأدلة والبراهين في إثبات ما يدعو إليه يكون بذلك داعية ناجحاً، لأنه يحاورهم باستخدام الأدلة والبراهين، فالبرهان عامل أساسي في الإقناع، وفي إدحاض الفكرة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فقال: ﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[4].

أ. استخدام الظواهر الكونية في الدعوة:

وإبراهيم عليه السلام استخدم هذا الأسلوب مع قومه في إقناعهم لقبول دعوته وإثبات وجود الله تعالى، حيث كانوا يعبدون الكواكب والنجوم والأصنام، ونجد ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[5].

---

(1) سورة النحل: الآية (120).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، 182/1 ح 193).

(3) سورة الأنبياء: الآية (69).

(4) سورة النمل: من الآية (64).

(5) سورة الأنعام: الآيات (75-79).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ رَأَى كَوْكَبًا ﴾ فإن الكواكب من ملكوت السموات والأرض، وقوله في المعطوف عليه ﴿ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ ﴾ فهذه الرؤية الخاصة التي اهتدى إليها بطريق عجيب في إبكات لقومه ملجئ إياهم للاعتراف بفساد معتقدهم، ... وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ﴾ أي أظلم فكان محاطاً بظلمة الليل، وهو يقتضي أنه كان تحت السماء ولم يكن في بيت ... ويؤخذ من قوله: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ أنه كان سائراً مع فريق من قومه يشاهدون الكواكب، وقد كان قوم إبراهيم يعبدون الكواكب ويصورون لها أصناماً،.. وظاهر قوله ﴿ رَأَى كَوْكَبًا ﴾ أنه جُعلت له رؤية الكواكب عَرَضاً من غير قصد للتأمل، وإلا فإن الأفق مملوء كواكب ... فالظاهر أنه رأى كوكباً من بينها شديد الضوء ... ﴿ قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ ... فدل على أن إبراهيم عليه السلام أراد استدراج قومه، فابتدأ بإظهار أنه لا يرى تعدد الآلهة، ليصل بهم إلى التوحيد واستبقى واحداً من معبوداتهم ففرض استحقاقه الإلهية كيلا ينفروا من الإصغاء إلى استدلاله؛ وظاهر قوله: ﴿ قَالَ ﴾ أنه خاطب بذلك غيره؛ لأن القول حقيقة الكلام، وإنما يُساق الكلام إلى مخاطَب؛ ولذلك كانت حقيقة القول هي ظاهر الآية من لفظها ومن ترتيب نظمها إذ رتب ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ﴾ على قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ وقوله: ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ رتب ذلك كله على قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ ﴾ ولقوله تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ وإنما يقوله لمخاطَب ولقوله عقب ذلك: ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ولأنه اقتصر على إبطال كون الكواكب آلهة؛ واستدل به على براءته مما يشركون ... ودل ذلك على أن إبراهيم عليه السلام قال ذلك على سبيل المجادلة وإرخاء العنان لهم ليصلوا إلى تلقي الحجة ولا ينفروا من أول وهلة، فيكون قد جمع جمعاً من قومه وأراد الاستدلال عليهم[1].

وفي قوله: ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ ذكر الطبري . رحمه الله . أن قوماً أنكروا أن إبراهيم عليه السلام قال للكوكب أو للقمر ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ وقالوا: غير جائز أن يكون لله نبي ابتعثه أتى عليه وقت من الأوقات وهو بالغ، إلا وهو لله موحد وبه عارف،... وإنما كان قول إبراهيم عليه السلام ذلك القول على وجه الإنكار منه أن يكون ذلك ربه، وعلى العيب لقومه في عبادتهم الأصنام، إذ كان الكوكب والقمر والشمس أضوأ وأحسن وأبهج من الأصنام، ولم تكن مع ذلك معبودة، وكانت آفلة وزائلة غير دائمة، فالأصنام التي هي دونها في الحُسن وأصغر منها في الجسم أحق ألا تكون معبودة، ولا آلهة، وإنما قال ذلك معارضة لهم؛ وقال آخرون: إنما معنى الكلام أهذا ربي؟ على وجه الإنكار والتوبيخ[2].

---

(1) التحرير والتنوير: ابن عاشور (317/7، 318)، بتصرف.

(2) جامع البيان: الطبري (246/5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أقول وبالله التوفيق:

يتضح مما سبق أن الداعية لا بد وأن يستفيد من طريقة إبراهيم عليه السلام في الاستدلال وإثبات دعوته باستخدام ما يحيط بالداعية من أمور يمكن أن يستفيد منها من خلال الواقع الذي يحيط به، وذلك إشارة على أن تكون للداعية سرعة البديهة، والتمعُّن والتفكُّر، وربط الواقع المحيط به واستغلاله في نشر الدعوة والفكرة؛ مثال ذلك استغلال الناحية العلمية والاجتماعية والثقافية ... واستغلال الناحية الكونية وخاصة مع علماء الفلك، والتركيز على الناحية الفلكية وربطها بدعوة الإسلام خاصة أن الآيات التي تتحدث عن الكون في القرآن كثيرة.

ب. استخدام الأدلة والبراهين من الواقع المحيط لإثبات عجز الخصوم:

ويظهر ذلك من خلال الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام وقومه، والذي جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (65) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾[1].

تتحدث هذه الآيات عما دار بين إبراهيم عليه السلام وقومه من حوار حول الأصنام التي يعبدونها وقد رد قوم إبراهيم عليه السلام عليه أنه عبادة آبائهم وأجدادهم وهم عليها يحافظون، وكان إبراهيم عليه السلام يريد أن يثبت أن ما يعبدونه من دون الله عز وجل عبادة باطلة لأنه لا رب خالق سوى الله عز وجل فذهب إلى معبدهم واستغل انشغالهم بعيدهم فحطم الأصنام وجعلها جذاذاً إلا صنماً كبيراً علق عليه الفأس، وحين عادوا وشاهدوا هذا الأمر تساءلوا من فعل هذا بالآلهة التي يعبدونها من تكسير وتحطيم؟ إنه لظالم في اجترائه على الآلهة المستحقة للتعظيم والتوقير،

(1) سورة الأنبياء: الآيات (51-67).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قالوا: سمعنا فتى يذكرهم بسوء يقال: له إبراهيم. وعندها يأتي أسلوب إبراهيم عليه السلام في إقناع قومه وتبكيتهم وإقامة الحجة عليهم، ﴿ **قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا** ﴾ أي الكسر والتهشيم؟ فيجيب إبراهيم عليه السلام ﴿ **بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ** ﴾ وأسند الفعل إلى كبيرهم على جهة المجاز لما كان سبباً في كسر هذه الأصنام هو تعظيمهم وعبادتهم له ولما دونه من الأصنام كان ذلك حاملاً على تحطيمها وتكسيرها ... والقول فيه: إن قصد إبراهيم عليه السلام لم يكن على أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ** ﴾ هنا أيضاً كلام محذوف: فأتوا به ثم سألوه هذا السؤال، والاستفهام ﴿ **أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا** ﴾ استفهام عن الفاعل لأن الفعل واضح لا يحتاج إلى استفهام؛ وفي قوله: ﴿ **قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ** ﴾ وكأنه يريد أن ينزع منهم الإقرار بأن هذا الكبير لا يفعل شيئاً فيواجههم فلماذا إذن تعبدونهم؟ وقول إبراهيم عليه السلام ﴿ **بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا** ﴾ فيه توبيخ وتبكيت لهم؛ وهنا كان ما أراد إبراهيم عليه السلام ﴿ **فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ تنبهوا وعادوا إلى عقولهم ونطقوا بالحق ﴿ **إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ يعني بعبادتكم هذه الأصنام، وأنتم تعلمون أنها لا تنفع ولا تضر ولا ترى ولا تتكلم، هكذا واجهوا أنفسهم بهذه الحقيقة، وكشفوا عن بطلان العبادة ...[2].

أقول وبالله التوفيق:

إن الذي دار بين إبراهيم عليه السلام وقومه يدلل على أنه كان أمة، يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً** ﴾[3]، أمة في دعوته، أمة في العدد وأمة في الذكاء وأمة في طريق الإثبات والاستدلال؛ نجد أن إبراهيم عليه السلام استدل على بطلان عبادة قومه من نفس ما يعبدونه من الأصنام، وكان ذلك بالتسلسل وترتيب الحجج واستخدام الطريقة المناسبة في الاستدلال وهذا يجعلنا نستفيد في البحث والتأمل من الطرق التي استخدمها إبراهيم عليه السلام في إثبات دعوتنا وفكرتنا ولا مانع أن يحاجج الدعاة المدعوين من أفكارهم ومعتقداتهم مع التركيز على الجانب الذي يجب أن تكون المحاجة فيه.

---

(1) البحر المحيط: أبو حيان (6/299-303)، بتصرف.

(2) تفسير الشعراوي: الشعراوي (9581-9583)، بتصرف.

(3) سورة النحل: من الآية (120).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونفهم من هذه الآيات ونستدل على قوة وشجاعة إبراهيم عليه السلام في إقباله على تحطيم الأصنام لأن هذا موقف صعب، يحتاج إلى عزيمة، وهذا مصداق لحديث النبي ﷺ: " **مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ** "[1]، فها نحن نجد إبراهيم عليه السلام يغير هذا المنكر بيده، وأي منكر! حقاً إنه يحتاج إلى قوة وشجاعة.

ثانياً: استخدام الحوار (الحجة والمحاجة) في الدعوة إلى الله:

إن استخدام أسلوب الحوار من قِبل سيدنا إبراهيم عليه السلام واضح وظاهر في كثير من الآيات القرآنية واستخدام هذا الأسلوب هو دلالة على أن أسلوب الحوار سبب من أسباب الإقناع، ففي الحوار إسماع واستماع، وعرض للأفكار من قِبل الشخص وخصمه وكلٌ يأتي بالحجة والبرهان، ولا يوجد من يستطيع أن يتغلب على رسل الله في هذا المجال لأنهم على الحق وهم مؤيدون بمعجزات الله وهو أقدر الناس على الإقناع.

وأسلوب الحوار يُرى جلياً في كثير من آيات الله خاصة التي فيها قال إبراهيم، والجواب قالوا ..، فهذا كثير في كتاب الله ومنه ما تناولناه في الطريقة الأولى خاصة في الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام وقومه في تحطيم الأصنام؛ وسنأخذ هنا من باب المثال على الطريقة الثانية الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام والملك الذي ذكره القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[2].

يُنم هذا الحوار عن ذكاءٍ وفطنةٍ لسيدنا إبراهيم عليه السلام ويبين مدى قدرته على الحوار واستخدام الحجة والبرهان في الإقناع مما أدى إلى بهت الذي كفر.

يقول الشهيد سيد قطب . رحمه الله .: " والآية الأولى تحكي حواراً بين إبراهيم عليه السلام وملك في أيامه يجادل في الله، لا يذكر السياق اسمه لأن ذكر اسمه لا يزيد من العبرة التي تمثلها الآية شيئاً، وهذا الحوار يعرض على النبي ﷺ وعلى الجماعة المسلمة في أسلوب التعجيب من

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان 69/1 ح 49).
(2) سورة البقرة: الآية (258).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا المجادل الذي حاج إبراهيم في ربه، وكأنما مشهد الحوار يعاد عرضه من ثنايا التعبير القرآني العجيب "[1].

وفي هذه الآية استشهاد على ما تقدم ذكره من الكفرة الذين أولياؤهم الطاغوت في قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ** ﴾[2]؛ وهمزة الاستفهام لإنكار النفي والتقرير المنفي أي ألم ينته علمك أو نظرك إلى هذا الذي صدرت منه هذه المحاجة ... أراد إبراهيم عليه السلام أن الله هو الذي يخلق الحياة والموت في الأجساد، وأراد الكافر أنه يقدر أن يعفو عن القتل فيكون ذلك إحياءً وعلى أن يقتل فيكون ذلك إماتة فكان هذا جواباً أحمق لا يصح نصبه في مقابلة حجة إبراهيم عليه السلام لأنه أراد غير ما أراده الكافر ... وإرسالاً لعنان المناظرة فقال: ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ** ﴾ لكون هذه الحجة لا تجري فيها المغالطة ولا يتيسر للكافر أن يخرج عنها بمخرج مكابرة ومشاغبة ﴿ **فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ** ﴾ فبهت الرجل إذا انقطع وسكت متحيراً[3].

ومن خلال هذه الآيات يتضح أن الله يريد أن ينبهنا ويلفت أنظارنا إلى حقيقة هامة وهي أن الرسل في جدلهم مع أممهم أو مع المنافسين لهم لا يكون الهدف أن النبي يظفر بالغلبة وإنما يكون الهدف بالنسبة للرسول أو النبي أن يصل إلى الحقيقة، ولذلك لم يتوقف إبراهيم عليه السلام مع الرجل الذي يحاجه في الله عند نقطة الإحياء والإماتة لأنه رأى في مناقشة الرجل لوناً من السفسطة[4].

أقول وبالله التوفيق:

إن الحوار أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله يجب على الدعاة أن يستخدموه لأنه لولا الحوار لما تعرف الخصوم على الفكرة التي يحملها الداعية ولما استطاع أن ينشر دعوة الله؛ والحوار يجعل الداعية قريباً من الناس بإبداء فكرته ودعوته، ولا بد للحوار أن يكون نابعاً من منهج الله لا للسفسطة ولا للجدل والمراء، بل للوصول إلى الحقيقة، وهذا هو دأب الأنبياء دعامتهم الحوار النابع من قوله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾[5]،

---

(1) في ظلال القرآن: قطب (297/1).

(2) سورة البقرة: من الآية (257).

(3) فتح القدير: الشوكاني (351/1)، بتصرف.

(4) تفسير الشعراوي: الشعراوي (1141/2-1142)، بتصرف.

(5) سورة النحل: الآية (125).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك لا بد للمحاور أن يكون على قدر من الذكاء، والانتقال من موضوع إلى آخر بهدف ترسيخ فكرته واستغلال ما يحيط به في خدمة فكرته ودعوته وأن يكون المحاور والمفاوض على قدرة وعلى ثبات من التمسك بفكرته وحقه لا يفرط ولا يتهاون طالما أنه على الحق.

ثالثاً: استخدام المفاصلة والحسم في الدعوة إلى الله ﷻ:

قال الله تعالى: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾[1].

يقول الشهيد سيد قطب .رحمه الله .: " فهي البراءة من القوم ومعبوداتهم وعباداتهم، وهو الكفر بهم والإيمان بالله؛ وهي العداوة والبغضاء لا تنقطع حتى يؤمن القوم بالله وحده، وهي المفاصلة الحاسمة الجازمة التي لا تستبقي شيئاً من الوشائج والأواصر بعد انقطاع وشيجة العقيدة وآصرة الإيمان؛ وفي هذا فصل الخطاب في مثل هذه التجربة التي يمر بها المؤمن في أي جيل؛ وفي قرار إبراهيم عليه السلام والذين معه أسوة لخلفائهم من المسلمين إلى يوم الدين "[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ** ﴾ اختلف الناس في ﴿ **وَالَّذِينَ مَعَهُ** ﴾ فقال قوم من المتأولين: أراد من آمن به من الناس؛ وقال الطبري: أراد الأنبياء الذين كانوا في عصره وقريباً من عصره؛ وهذا القول أرجح لأنه لم يُرو أن إبراهيم عليه السلام كان له أتباع مؤمنون به في مكافحته نمروداً؛ وفي البخاري أنه .أي إبراهيم .قال لسارة حين رحل بها إلى الشام مهاجراً من بلد النمرود: ما على الأرض من يعبد الله غيري وغيرك[3]؛ وهذه الأسوة معتبرة في التبري عن الإشراك وهو مطرد في كل ملة، وفي نبينا عليه السلام أسوة حسنة على الإطلاق لأنها في العقائد وفي أحكام الشرع كلها[4].

والأسوة الحسنة لكم أيها المؤمنون في إبراهيم عليه السلام والذين معه في هذه الأمور من مباينة الكفار ومعاداتهم وترك موالاته إلا في قول إبراهيم عليه السلام لأبيه ﴿ **لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ** ﴾ فإنه لا أسوة

---

(1) سورة الممتحنة: الآية (4).

(2) في ظلال القرآن: قطب (3542/6).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الأنبياء، باب قول الله واتخذ الله إبراهيم خليلا وقوله ..، 1225/3 ح 3179)، بلفظ: ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك.

(4) جامع البيان: الطبري (59/12)، المحرر الوجيز: ابن عطية (295/5)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكم فيه في ذلك لأن ذلك كان من إبراهيم عليه السلام لأبيه عن موعدة وعدها إياه قبل أن يتبين له أنه عدو لله، فلما تبين أنه عدو لله تبرأ منه .. [1].

وتزداد قضية الحسم عند إبراهيم عليه السلام ونلمسها من خلال قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ** ﴾[2].

أقول وبالله التوفيق:

إن المفاصلة والحسم في قضية التوحيد وإثبات الوحدانية لله هي طريقة جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما أشارت آية الممتحنة؛ حتى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يدعون مجالاً للعاطفة وللقربى أن تجعل حاجزاً بين المفاصلة والحسم في هذه القضية، فنجد أن إبراهيم عليه السلام تبرأ من أبيه عندما تبين له أنه عدو لله ولا تجوز موالاته ولا نصرته، ولا حتى الاستغفار له حتى إنه قد جاء النهي عن ذلك له ولنبينا عليهما الصلاة والسلام، حينما أراد ﷺ أن يستغفر لأمه ولعمه أبي طالب فنزل قوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾[3].

وقد جاء النهي في القرآن الكريم عن موادة الكفار ولو كانوا أقرب الناس كما في قوله تعالى: ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[4].

إذن فقضية التوحيد والإيمان والكفر والولاء والبراء هي قضية مفاصلة وحسم يجب على الدعاة أن ينتبهوا لها لأهميتها، فقد يتخلى الإنسان عن أقرب الناس إليه لأجل الله ﷻ.

ويتضح أن المفاصلة والحسم في التوحيد والبراءة من الكفر هي رابط بين جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكذلك لا بد أن تكون رابطة قوية بين جميع الأمم وأن تكون رابطة بين أمة محمد ﷺ خاصة؛ ذلك أن أعداء الله قد أخذوا موقفاً فيه مفاصلة وحسم للقضاء على الإسلام وأهله وتشويه صورته ونعته بالصفات التي تنفر الناس من الدخول فيه؛ وقد أعلنوا

---

(1) جامع البيان: الطبري (59/12).

(2) سورة التوبة: الآية (114).

(3) سورة التوبة: الآية (113).

(4) سورة المجادلة: الآية (22).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحرب عليه صراحة، فيجب أن تقف الأمة الإسلامية موقفاً فيه مفاصلة وحسم للتصدي لهذه الهجمة الشرسة وإعلان الولاء لله والبراء من الكفر والشرائع الوضعية.

رابعاً: استخدام الرأفة والحنان والتلطف في الدعوة إلى الله:

إن جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أرسلهم الله تعالى إلى أقوامهم بهدف إخراجهم من الظلمات إلى النور وعبادة الله سبحانه وترك ما كانوا يعبدون من الأصنام والأوثان لينالوا رضا الله ﷻ ويدخلوا جنة عرضها السموات والأرض، وقد بذل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كل طاقتهم واتبعوا كافة الوسائل والأساليب لتحقيق ذلك، وأظهروا لقومهم كل حب ورأفة وحنان حتى أن الله سبحانه وتعالى قال لرسوله ﷺ: ﴿ **فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ** ﴾[1]، وقال: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾[2]، ومع ذلك حذر نبيه من الغلظة والفظاظة حتى لا ينفر منه الناس وقال له: ﴿ **وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾[3].

وها هو نبي الله إبراهيم عليه السلام تظهر رحمته بقومه جليةً في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[4].

وقوله: ﴿ **وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ تأدُّب في مقام الدعاء ونفع للعصاة من الناس بقدر ما يستطيعه، والمعنى: ومن عصاني أفوض أمره إلى رحمتك وغفرانك؛ وليس المقصود الدعاء بالمغفرة لمن عصى؛ وهذا من غلبة الحلم على إبراهيم عليه السلام وخشيته من استئصال عصاة ذريته، ولذلك متعهم الله قليلاً في الحياة الدنيا كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ **قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾[5]، وإذا كان قوله: ﴿ **فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ تفويضاً، لم يكن فيه دلالة على أن الله يغفر لمن يشرك به[6].

وتزداد هذه الرحمة والرأفة والحلم عند إبراهيم عليه السلام حينما يخاطب والده قائلاً له كما حكى الله: ﴿ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ**

---

(1) سورة فاطر: من الآية (8).
(2) سورة الكهف: الآية (6).
(3) سورة آل عمران: من الآية (159).
(4) سورة إبراهيم: الآيتان (35، 36).
(5) سورة البقرة: من الآية (126).
(6) التحرير والتنوير: ابن عاشور (240/13).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾[1].

في هذه الآيات يظهر لنا التلطُّف من قِبل إبراهيم عليه السلام في دعوته أبيه للإسلام وتَرْك عبادة الشيطان والأوثان الأمر الذي يدل على مدى الرأفة والحنان عند إبراهيم عليه السلام وذلك " ... حين قال لأبيه آزر متلطفاً في الدعوة مستميلاً له ﴿ **يَا أَبَتِ** ﴾ أي يا أبي، فإن التاء عوض عن ياء الإضافة ولذلك لا يجتمعان ... ﴿ **لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ** ﴾ ثناءك عليه عند عبادتك له ... ﴿ **وَلَا يُبْصِرُ** ﴾ خضوعك وخشوعك بين يديه؛ أو لا يسمع ولا يبصر شيئاً من المسموعات والمبصَرات ... ولقد سلك عليه السلام في دعوته أحسن منهاج وأقوم سبيل واحتجَّ عليه أبدع احتجاج بحسن أدب وخُلق جميل لئلا يركب متن المعاندة والعناد في قوله: ﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا** ﴾ واستمر إبراهيم عليه السلام في الاستمالة والاستعطاف حيث قال: ﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ** ﴾ ولم يَسِمْ أباه بالجهل المفرط وإن كان في أقصاه، ولا نفسه بالعلم وإن كان كذلك، بل أبرز نفسه في صورة رفيق له أعرف بأحوال ما سلكاه من الطريق، فاستماله برفق، حيث قال: ﴿ **فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا** ﴾ أي مستقيماً موصلاً إلى أسنى المطالب منحنياً عن الضلال"[2].

ويقول الشيخ الشعراوي . رحمه الله . في تفسير هذه الآيات: " هذا الحديث من إبراهيم عليه السلام لأبيه على اعتبار أنه نبي جاء ليعدِّل سلوك الناس على وفق منهج الله وأولهم أبوه ... ﴿ **يَا أَبَتِ** ﴾ وكان التركيب العربي يقتضي أن يقول: يا أبي، إلا أنهم يحذفون ياء المتكلم ويعوضون عنها بالتاء فلماذا؟ قالوا: لأن **أبتِ** لها ملحظ دقيق فهو يريد أن يثبت أنه وإن كان أباً إلا أن فيه حنان الأبوين: الأب والأم، فجاء بالتاء التي تشير إلى الجانب الآخر لذلك نجدها لا تقال إلا في الحنانية المطلقة كما لو ماتت الأم مثلاً فقام الأب بالمهنتين معاً وعوّض الأبناء حنان الأم المفقود؛ وقوله: ﴿ **لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا** ﴾ يبدو من أسلوب إبراهيم عليه السلام مع أبيه أدب الدعوة حيث قدم الموعظة على سبيل الاستفهام حتى لا يُشعر أباه بالنقص أو يظهر له أنه أعلم منه ".

ثم يتابع الشيخ . رحمه الله . القول: " ﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا** ﴾ يكرر نبي الله إبراهيم عليه السلام هذا النداء الحنون مرة أخرى وكأنه يريد أن

---

(1) سورة مريم: الآيات (42-45).

(2) تفسير أبي السعود: أبو السعود (5/266، 267)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يثير في أبيه غريزة الحنان ويوقظ عنده أواصر الرحم كأنه يقول له: إن كلامي معك كلام الابن لأبيه كما نفعل نحن الآن إن أراد أحدنا أن يحنِّن إليه قلب أبيه يقول: يا والدي كذا وكذا، يا أبي اسمع لي، وكذا حال إبراهيم عليه السلام حيث نادى أباه هذا النداء في هذه الآيات بأربع مرات متتاليات وما ذلك إلا لحرصه على هدايته، والأخذ بيده إلى الطريق المستقيم ".

ويتابع . رحمه الله . قائلاً: " ما زال خليل الله يتلطف في دعوة أبيه ... وهكذا انتهت هذه المحاورة التي احتوت أربعة نداءات حانية وجاءت نموذجاً فريداً للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فراعت مشاعر الأب الذي يدعوه ولده ويقدم له النصح ... "[1].

أقول وبالله التوفيق:

على الداعية أن يستفيد من الأنبياء والرسل في دعوته للناس، فيجب على الداعية أن يكون حنوناً وعطوفاً ومؤدباً ورحيماً بمن يدعوهم وخاصة الأقارب وعلى رأسهم الوالدين، لابُدَّ أن يتذلل لهم ويخاطبهم بكل أدب وحنان وتلطف لأن هذا له الأثر البليغ في النفس.

وأن يستخدم أعذب وأرق الكلمات في دعوتهم واستمالة قلوبهم لدين الله عز وجل وأيضاً استخدام وابتكار الأساليب التي لا تُشعر من تدعوه بالجهل وعدم الفهم، كما فعل إبراهيم عليه السلام مع أبيه كان يدعو أباه بصيغة الاستفهام ليوصله إلى الطريق المستقيم.

خامساً: الصبر والثبات عند الابتلاء:

إن الصبر والثبات عند الابتلاء والبلاء من منهج وطريق الأنبياء والمرسلين في دعوتهم إلى الله ورسوله، لقوله تعالى: ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴾[2].

ونبي الله إبراهيم عليه السلام ابتلي في أكثر من موطن في حياته، وكانت كلها دافعة له على نشر دين الله عز وجل فلم يتأثر ولم يتوان في نشر هذه الدعوة وتبليغها للناس، فقد ابتلي إبراهيم عليه السلام في النفس والأهل والولد ونجح في كل اختبار بصبره وثباته.

1. الصبر والثبات عند ابتلائه في النفس:

ونستشعر ذلك من قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ** ﴾[3].

---

(1) تفسير الشعراوي: الشعراوي (15/9093-9100)، بتصرف.

(2) سورة الأحقاف: من الآية (35).

(3) سورة الأنبياء: الآيتان (68، 69).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه النتيجة التي وصلوا إليها بعد مداولات الملأ من قوم إبراهيم عليه السلام بسبب تحطيمه أصنامهم وإفحامهم في الرد من قِبله، ﴿ **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾ جمعوا حطباً كثيراً جداً ثم جعلوه في جوبة من الأرض وأضرموها ناراً فكان لها شرر عظيم ولهب مرتفع وجعلوا إبراهيم عليه السلام في كفة المنجنيق بإشارة رجل من أعراب فارس ... فلما ألقوه قال: حسبي الله ونعم الوكيل، كما رواه البخاري عن ابن عباس . رضي الله عنهما . أنه قال: حسبي الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال الناس: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا: حسبنا الله ونِعم الوكيل "[1]، وذكر بعض السلف أنه عرض له جبريل عليه السلام وهو في الهواء، وقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، وأما من الله فبلى ... وفي قوله: ﴿ **كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا** ﴾ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لا تضريه، وقال ابن عباس وأبو العالية: لولا أن الله قال: ﴿ **وَسَلَامًا** ﴾ لآذى إبراهيم عليه السلام بردها ... [2].

أقول وبالله التوفيق:

ما أعظم هذا الابتلاء! وما أعظمه من صبر! إنه صبر الواثق بالله عز وجل إن الله لن يضيعه ولن يتركه ولكن هذا يحتاج إلى إيمان عميق، فكيف لا وهو إبراهيم عليه السلام الذي أخبر الله عنه أنه أمة ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[3]؟.

إن ما تعرض له إبراهيم عليه السلام من محاربة قومه له وإعداد النار لحرقه أمر جلل، لو أن أحداً مكانه وغير إبراهيم عليه السلام لتراجع ولتخلى عن فكرته وعقيدته . إن لم يثبته الله . كيف لا ومصيره هذه النار المحرقة؛ ولكن إبراهيم عليه السلام صبر وكان نموذجاً حياً لذلك، ولعل صبْر إبراهيم عليه السلام على حرقه في النار جعلت منه أسوة وقدوة لمن كان يحمل فكر الإسلام وعقيدة الإسلام أن يصبر على العذاب والإحراق وقد ذكر لنا القرآن مثالاً آخر وهو أصحاب الأخدود والذين أحرقهم الكفار لأنهم آمنوا برب الغلام، فصبر إبراهيم عليه السلام يعطي الدافع للدعاة على الصبر على مكائد الكافرين وليتأكدوا من نصر الله لهم.

2. الصبر والثبات عند ابتلائه في الأهل:

يقول الله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب التفسير، باب إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم $ الآية، 1662/4 ح 4287).

(2) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (185/3)، بتصرف.

(3) سورة النحل: الآية (120).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾[1].

روى البخاري . رحمه الله . عن ابن عباس . رضي الله عنهما .: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم عليه السلام وبابنها إسماعيل عليه السلام وهي ترضعه، حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفي إبراهيم عليه السلام منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا؛ ... فجاء إبراهيم عليه السلام بعد ما تزوج إسماعيل عليه السلام يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل عليه السلام، فسأل امرأته عنه؟ فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم؟ فقالت: نحن بِشَرٍّ، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له: يُغير عتبة بابه؛ فلما جاء إسماعيل عليه السلام كأنه آنس شيئاً، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت نعم: جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنَّا في جهد وشدة؛ قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غيِّر عتبة بابك؛ قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك، فطلقها وتزوج منهم أخرى؛ فلبث عنهم إبراهيم عليه السلام ما شاء الله، ثم أتاهم بعد، فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه؟ فقالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله، فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء؛ قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء؛ قال النبي ﷺ: " **وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ** "، قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه؛ فلما جاء إسماعيل عليه السلام قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه، فسألني عنك، فأخبرته، فسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنَّا بخير؛ قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك؛ قال: ذاك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك؛ ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك، وإسماعيل عليه السلام يبري نبلاً له تحت دوحة قريباً من

(1) سورة إبراهيم: الآيتان (37، 38).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتاً، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ...[1].

أقول وبالله التوفيق:

إن تركْ إبراهيم عليه السلام لزوجه وابنه أولاً هذا بأمر الله وبوحي منه لهُوَ دلالة على سمع وطاعة إبراهيم عليه السلام لله عز وجل ولو أن الإنسان الطبيعي طُلب منه أن يضع زوجته وولده في مكان لا طعام فيه ولا شراب وصحراء صعُب عليه أن يفعل ذلك ولكن ذلك نبي الله يوحي إليه، وهذا دلالة على صبر إبراهيم عليه السلام ويقينه، وفيه ابتلاء له في الأهل ولكنه أمر من الله عز وجل.

3. الصبر والثبات عند ابتلائه في الولد:

قال الله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ** ﴾[2].

إن هذا لهو البلاء المبين في ذلك قولان: **أحدهما:** النعم البينة... **والثاني:** الاختبار العظيم، **فعلى الأول** يكون قوله هذا إشارة إلى العفو عن الذبح، **وعلى الثاني** يكون إشارة إلى امتحانه بذبح ولده[3].

أقول وبالله التوفيق:

إن وصف الله عز وجل لذبح إبراهيم عليه السلام لابنه بالبلاء المبين دليل على صبر إبراهيم عليه السلام على هذا الاختبار، وقد أكد هذا البلاء بحرف التوكيد واللام زيادة في التأكيد على أن هذا بلاء عظيم من قِبل الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام، وكان هذا دليلاً على صبر إبراهيم عليه السلام.

إذن فصبر الأنبياء عند الابتلاء منهج وطريقة لهم في دعوتهم إلى الله عز وجل، لما للصبر من مزايا تجعل الداعية ناجحاً في دعوته، وفي عرض أفكاره، وصبره على إيذاء الناس وتحملهم.

المطلب الثالث

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي، 1227/3 ح 3184).

(2) سورة الصافات: الآيات (102-106).

(3) زاد المسير: ابن الجوزي (77/7).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طريقة موسى عليه السلام

لقد أرسل الله ﷻ موسى عليه السلام إلى فرعون وملَئِهِ قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ **اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (17) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (18) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى** ﴾[2].

لم يكن الإرسال فقط إلى فرعون بل كان أيضاً إلى قوم موسى عليه السلام وذلك أن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد في مصر بعد وفاة يوسف عليه السلام سرى إليهم الشرك واتبعوا دين القبط فكانت رسالة موسى عليه السلام لإصلاح اعتقادهم مع دعوة فرعون وقومه للإيمان بالله الواحد[3]، يقول تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾[4].

ومن خلال الاستقراء لآيات الله سبحانه وتعالى يمكن أن نستنبط المنهج والطريق التي سلكها سيدنا موسى عليه السلام في دعوته فرعون وقومه:

أولاً: استخدام المعجزات في دعوته إلى الله:

1. استخدام المعجزات في دعوته إلى الله مع فرعون:

كل رسول يؤيده الله بالمعجزات لتكون دلالة على نبوته وأن هذا الرسول من قِبل الله ﷻ ولما كان هؤلاء القوم قد اشتهروا بالسحر، فإن المعجزة التي أعطاها الله لموسى عليه السلام جاءت من جنس ما اشتهروا به، ولكن هناك فرق فهذا سحر باطل يمكن أن يبطله ساحر أكثر مهارة؛ ولكن ما جاء به موسى عليه السلام ليس بسحر بل هو معجزة من الله ﷻ.

وقد ذكر القرآن الكريم أكثر من آية تتحدث عن معجزات موسى عليه السلام التي جاء بها من عند الله يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا** ﴾[5]، ولقد وضح القرآن هذه الآيات التسع . أي المعجزات . فقال سبحانه: ﴿ **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ**

---

(1) سورة الأعراف: الآية (104).

(2) سورة النازعات: الآيات (17-19).

(3) التحرير والتنوير: ابن عاشور (189/13).

(4) سورة إبراهيم: الآية (5).

(5) سورة الإسراء: الآية (101).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾[1].

وفي هذه الآيات يخبر تعالى أنه بعث موسى عليه السلام بتسع آيات بينات وهي الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عمن أرسله إلى فرعون وهي: العصا واليد والسنين والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات[2].

ولقد أوتي موسى عليه السلام آيات أخر كثيرة منها ضربه الحجر بالعصا وخروج الماء منه ومنها تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك مما أوتيه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر ولكن ذكر ههنا التسع آيات التي شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر فكانت حجة عليهم فخالفوها وعاندوها كفراً وجحوداً[3].

فهذه الآيات والمعجزات استخدمها موسى عليه السلام للدلالة على أنه رسول من عند الله وليؤمن فرعون وقومه بالله سبحانه وتعالى.

يقول تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾[4].

وإن في الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وفرعون دلالةً على أن موسى عليه السلام استخدم المعجزة الكبرى وهي العصا ليوصله إلى ما يريد، وهو إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى وأنه رب كل شيء، قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾[5].

ثم يأتي بعد ذلك دور السحرة وقد علموا حقيقة أن ما جاء به موسى عليه السلام ليس سحراً إنما هي آية ومعجزة من الله وهذا ما جعلهم يقولون: ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾[6].

---

(1) سورة الأعراف: الآية (133).

(2) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (68/3).

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) سورة الإسراء: الآية (102)..

(5) سورة الشعراء: الآيات (23-33).

(6) سورة الشعراء: الآيتين (47، 48).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أقول وبالله التوفيق:

إن للمعجزات أثراً على النفس البشرية لأنها تأتي بأمر غير مألوف على الطبيعة البشرية فمن أراد الله الهداية له يشرح صدره ويحكم عقله ويؤمن بالله ﷻ ومن أراد غير ذلك يضله الله ويختم على قلبه.

ونجد من عرض موسى عليه السلام على فرعون هاتين الآيتين لم يعرضهما مباشرة ولكن عرضها بعد أن دار حوار وهيأ موسى عليه السلام فرعون ليستقبل هاتين الآيتين من قِبل رب العالمين الذي جاء موسى عليه السلام يدعو فرعون للإيمان به ليكون لها الوقع في النفس وموسى عليه السلام لم يظهر له المعجزتين إلا بعد أن أخذ الموافقة من فرعون ليقيم عليه الحجة ﴿ **قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾.

2. استخدام المعجزات في دعوته إلى الله تعالى مع قومه:

ولعل أبرز المعجزات التي استخدمها موسى عليه السلام مع قومه هي شق البحر ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ** ﴾[1].

انفجار الحجر اثنتا عشرة عيناً ﴿ **وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾[2].

إلى غير ذلك من الآيات من إنزال المن والسلوى وتظليل الغمام فكل هذه الآيات والمعجزات دلالة على أن موسى عليه السلام رسول من عند الله وهذه المعجزات استخدمها موسى عليه السلام مع قومه ليعبدوا الله ويؤمنوا به يقول تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾[3].

﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا** ﴾ أي بحججنا وبراهيننا، أي بالمعجزات الدالة على صدقه، قال مجاهد . رحمه الله .: هي التسع الآيات، ﴿ **وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ** ﴾ أي قل لهم قولاً يتذكرون به أيام الله تعالى أي بما أنعم الله عليهم من النجاة من فرعون ومن التيه، إلى سائر النعم ... [4].

أقول وبالله التوفيق:

---

(1) سورة الشعراء: الآية (63).

(2) سورة البقرة: الآية (60).

(3) سورة إبراهيم: الآية (5).

(4) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (224/9)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الغاية من إرسال موسى عليه السلام وتأييده بالمعجزات هي إخراج قومه من الظلمات إلى النور وهي كناية عن إخراجهم من الكفر إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى واستخدام المعجزات هي وسيلة في إقناع الأمم من ترك عبادة الأوثان والكفر بالله والدخول في دين الله وعبادة الله سبحانه وتعالى وعلى الدعاة أن يستأنسوا بهذه الآيات ويركزوا عليها لأنه لا يوجد معجزات الآن لإقناع الناس بل لنا دراسة هذه المعجزات واستنباط ما يفيد في واقع الداعية والدعاة.

ثانياً: الصبر:

ولقد صبر سيدنا موسى عليه السلام على قومه صبراً عظيماً لطبيعة قومه التي اشتهروا بها، وقد ذكر القرآن هذه الصفات وأطرد في وصفهم:

أ. فهم ينقضون العهد والميثاق ﴿ **أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[1].

ب. قتلهم الأنبياء بغير حق وكفرهم بآيات الله: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ** ﴾[2].

وهناك الكثير من هذه الصفات ولقد صبر موسى عليه السلام عليهم كثيراً وتحمل آذاهم وينقسم الصبر على الإيذاء عند موسى عليه السلام إلى قسمين:

الأول: الصبر على الإيذاء المادي.

الثاني: الصبر على الإيذاء المعنوي.

أولاً: الصبر على الإيذاء المادي: وهو متمثل في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا** ﴾[3].

أخرج البخاري ـ رحمه الله ـ من طريق أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلاً حَيِيّاً سِتِّيراً، لا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالُواْ: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ إِلا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ، إِمَّا بَرَصٌ، وَإِمَّا أُدْرَةٌ[4]، وَإِمَّا آفَةٌ؛ وَإِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى؛ فَخَلا يَوْماً وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا**

---

(1) سورة البقرة: الآية (100).

(2) سورة البقرة: من الآية (61).

(3) سورة الأحزاب: الآية (69).

(4) **أدر**: الأُدْرَةُ، بالضم: نفخةٌ في الخُصْيةِ؛ يقال: رجل آدَرُ بيِّنُ الأَدَرِ، الذي يَنْفَتِقُ صِفاقُهُ فيقَعُ قُصْبُه ولا يَنْفَتِقُ إلا من جانبه الأَيسرِ، وقيل: هو الذي يُصيبُه فَتْقٌ في إحدى الخُصْيَتَينِ، وقيل: الأَدَرَةُ الخُصْيةُ، والآدَرُ نَعْتٌ. انظر: لسان العرب: ابن منظور (15/4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَر، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَأَوْهُ عُرْيَاناً، أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ؛ وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الحَجَرُ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ، وَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْباً بِعَصَاهُ، فَوَاللهِ إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدَباً مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلاثاً، أَوْ أَرْبَعاً أَوْ خَمْساً، فذلك قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ "[1]، فهذا إيذاء مادي من قوم موسى عليه السلام بوصفه بهذه الصفات التي لا تليق بحق رسول من رسل الله سبحانه وتعالى، من اتهامهم له بأنه إما مصاب بالبرص أو أنه آدر، ولكن الله سبحانه وتعالى برأه مما قالوا.

ثانياً: الصبر على الإيذاء المعنوي:

1. الصبر على سوء أدبهم مع رسول الله موسى ﷺ: وهذا يفهم من خلال الكثير من آيات كتاب الله لا تجد قوم موسى يخاطبون موسى عليه السلام يا رسول الله، يا نبي الله، إنما كان قولهم: يا موسى، وهذا كثير في كتاب الله تعالى فأذكر على سبيل المثال لا الحصر: ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ** ﴾[2]، ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا** ﴾[3]، وقلة الأدب في حق الله تبارك وتعالى ﴿ **فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ** ﴾[4]، ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ** ﴾[5]، وكثير من الآيات.

2. صبره على كثرة أسئلتهم التعنتية: كما في قوله تعالى: ﴿ **فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً** ﴾[6]، ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ** ﴾[7]، ولقد ذم الله سبحانه وتعالى من سأل هذه الأسئلة ومن سار على هذا النهج، وقد حذر الله سبحانه وتعالى قائلاً: ﴿ **أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ**

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، 1249/3 ح 3223).

(2) سورة المائدة: من الآية (22).

(3) سورة المائدة: من الآية (24).

(4) سورة المائدة: من الآية (24).

(5) سورة الأعراف: من الآية (136).

(6) سورة النساء: من الآية (153).

(7) سورة الأعراف: من الآية (138).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[1].

3.صبره على الاستهزاء في الأمر والاستقصاء في السؤال: وذلك عندما أمرهم أن يذبحوا بقرة، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾[2]، " وأول هذه القصة قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ** ﴾[3]، وإنما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلالها بنوع آخر من مساوئهم وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة إلى الامتثال "[4].

4.صبره على عصيانهم بعدم سماعه وطاعته: وذلك عندما قال لهم موسى عليه السلام: ﴿ **يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ**﴾[5]، فقالوا له: ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ** ﴾[6]، ثم أتبعوا بعنادهم ورفضهم لأمر نبي الله موسى عليه السلام فقالوا: ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ** ﴾[7]، فكان العقاب الإلهي بعد أن أعلن موسى عليه السلام أنه لا يملك إلا نفسه

---

(1) سورة البقرة: الآية (108).

(2) سورة البقرة: الآيات (67-71).

(3) سورة البقرة: الآية (72).

(4) تفسير البيضاوي: البيضاوي (338/1)، لم أذكر القصة لأني لست معنياً بسرد القصة، بل اتخاذ الشاهد على استهزاء هؤلاء القوم وصبر موسى عليه السلام على ذلك.

(5) سورة المائدة: الآية (21).

(6) سورة المائدة: الآية (22).

(7) سورة المائدة: الآية (24).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأخاه: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾[1].

أقول وبالله التوفيق:

ما من نبي أو رسول يأتي بالتوحيد وأمر الناس بعبادة الله تعالى وحده إلا ويجد من قومه من يصغي إليه، ومنهم من لا يستمع إليه، ويعانده وإن نبي الله موسى عليه السلام قد تحمل وصبر كثيراً على قومه ولكنهم مع ذلك عصوه ثم كان العقاب الإلهي لهم وهو التيه في الصحراء وهذا يعلمنا أن كل إنسان يخالف أمر الله تعالى وأمر رسله عليهم الصلاة والسلام ويصر على ذلك فإن له عقاباً من الله عز وجل.

ونستفيد أيضاً أن على الدعاة الصبر على من يدعونهم وأن كل أمة من الأمم تتفنن في عرض الأسئلة التعجيزية والتعنتية فعلى الداعية الصبر إذا ما تعرض لهذه الأسئلة ولا يحزن ولا ييأس فله في رسل الله الأسوة الحسنة، ولا بد أن يعتقد جازماً أن نصر الله تعالى آت لا محالة لعباده المؤمنين وعقابه آت لعباده الكافرين.

ثالثاً: استخدام القوة والعنف:

من المعلوم أن موسى عليه السلام اشتهر بالقوة وذلك يفهم من سياق القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾[2]، والوكز: وكزه ضربه، ودفعه، وقيل: ضربه بجمع يده على ذقنه[3]، ﴿ فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ جملة تقال بمعنى مات لا تغيَّر[4].

وموسى عليه السلام عندما ذهب لميقات ربه وعاد وجد قومه يعبدون العجل فألقى الألواح، ويشير القرآن ويصف هذه الحالة قائلاً: ﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾[5].

يذكر الشهيد سيد قطب . رحمه الله . في قوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا.. ﴾ يؤنبهم على تركهم يعبدون العجل دون أن يبطل عبادتهم اتباعاً لأمر موسى عليه السلام بأن لا

---

(1) سورة المائدة: الآية (26).
(2) سورة القصص: من الآية (15).
(3) مختار الصحاح: الرازي (ص: 391).
(4) التحرير والتنوير: ابن عاشور (89/20).
(5) سورة طه: الآيات (91-94).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يُحدث أمراً بعده ولا يسمح بإحداث أمر، ويستنكر عليه عدم تنفيذه ...، ثم يتابع قائلاً . رحمه الله .: ثم يتجه موسى عليه السلام بغضبه وانفعاله إلى السامري صاحب الفتنة من أساسها،... ثم يقول موسى عليه السلام: ﴿ **فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ** ﴾ أي ما شأنك وما قصتك وهذه الصيغة تشير إلى جسامة الأمر وعظم الفعل ... وعلى أية حال فقد أعلنه موسى عليه السلام بالطرد من جماعة بني إسرائيل مدة حياته ووكل أمره بعد ذلك إلى الله وواجهه بعنف في أمر إلهه الذي صنعه بيده ليرى قومه بالدليل المادي أنه ليس إلهاً فهو لا يحمي صانعه ولا يدفع عن نفسه ... وفي حنق وعنف أمر أن يهوي على عجل الذهب فيحرق وينسف ويلقى في الماء، والعنف إحدى سمات موسى عليه السلام وهو هنا غضبه لله ولدين الله حيث يستحب العنف وتحسن الشدة[1].

أقول وبالله التوفيق:

إنه من خلال هذه الآية ﴿ **يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي** ﴾ يجوز للقائد المسلم أن يستخدم الشدة والعنف إذا ما رأى أن هناك أمر من جنوده يُغضب الله، وذلك بعد التأكد.

رابعاً: طلب العون والمساعدة:

إن سؤال موسى عليه السلام المساعدة والعون لم يكن ناتجاً عن ضعف منه، بل كان ناتجاً من حرصه على نجاح دعوة الله ونشرها، فهو يطلب مساعدة، وأي مساعدة! إنها نصرة الأخ لأخيه، وذلك لعلم موسى عليه السلام بقدرة أخيه هارون وما امتاز به من صفات تعينه وتكسبه النجاح في أمر هذه الدعوة، فها هو يقول: ﴿ **قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى** ﴾[2].

الشاهد في هذه الآية، على طلب العون والمساعدة في تحمل أعباء الدعوة هو قوله تعالى: ﴿ **وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي** ﴾ أي يعينني على ما كلفتني به، واشتقاق الوزير إما من الوِزْر، لأنه يحمل الثقل عن أميره، أومن الوَزْر وهو الملجأ، لأن الأمير يعتصم برأيه، ويلتجئ إليه في أموره، ومنه الموازرة؛ وقيل: أصله أزير، من الأزر بمعنى القوة... وهارون عطف بيان للوزير[3].

---

(1) في ظلال القرآن: قطب (4/2348-2349)، بتصرف.

(2) سورة طه: الآيات (25-36).

(3) تفسير البيضاوي: البيضاوي (4/48)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكلمة الوزير جامعة لهذه المعاني كلها، فالوزير عون على الأمور، وشريك في التدبير، وظهير في السياسة، وملجأ عند النازلة[1].

وقوله: ﴿ **اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي** ﴾ كلاهما على صيغة الدعاء، أي أحكِم به قوَّتي واجعله شريكاً في أمر الرسالة حتى نتعاون على أدائها كما ينبغي[2].

وموسى عليه السلام طلب من الله أن يعينه، بمعين من أهله؛ هارون أخيه فهو يعلم عنه فصاحة اللسان، وثبات الجَنان وهدوء الأعصاب، وكان موسى عليه السلام انفعالياً حاد الطبع، فطلب إلى ربه أن يعينه بأخيه أن يشد أزره ويقويه ويتروى معه في الأمر الجليل الذي هو مقدم عليه، وهذا الأمر الجليل يحتاج إلى التسبيح الكثير، والذكر والاتصال الكثير، فموسى عليه السلام يطلب أن يشرح الله صدره وييسر أمره ويحل عقدة لسانه ويعينه بوزير من أهله كل أولئك لا ليواجه المهمة مباشرة ولكن ليتحد ذلك كله مساعداً له ولأخيه على التسبيح الكثير والذكر .. [3].

أقول وبالله التوفيق:

إن طلب النصرة والعون في سبيل نشر دعوة الله أمر قد فعله الأنبياء ولا يعني ذلك أنهم غير معتمدين على الله، بل يعني أنه أخذ بالأسباب، وفي هذا دلالة على شرف العمل الجماعي وكفاءته؛ لأن يداً لوحدها لا تصفق، وإن صفقت فهي لا تُسمع، فعلى الداعية أن يختار كل ما هو مناسب لخدمة دين الله ونشر دعوته.

وكما أن الأقارب والأهل أولى الناس بدعوتهم إلى الله هم أيضاً أولى الناس بنصرة الداعية والدعوة وهم أولى من يُطلب نصرته، ودعوته إن عُلم فيهم خيرٌ.

وهذه الآيات توضح لنا مكانة الأخ التي غفل عنها كثير من الناس، والأخوة هنا أخوة النسب وأخوة الدين، فهذه الآيات تبين أن الأخوة لها معنى عظيم فهي مشاركة في الحب وتحمل الأعباء والنصرة والذكر.

خامساً: تقديم الخصم وإظهار الأدب:

ويستنبط هذا من فعل موسى عليه السلام مع السحرة عندما قالوا له: ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (115) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ**

---

(1) المشاركة في الحياة السياسية: المصري (ص: 179)، نقلاً عن قوانين الوزارة: الماوردي (ص: 27).

(2) تفسير أبي السعود: أبو السعود (13/6).

(3) في ظلال القرآن: قطب (2333/4)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[1]، وفي طه: ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾**[2].

ابتدأ السحرة بالتخيير في التقدم إظهاراً لثقتهم بمقدرتهم، وأنهم الغالبون سواء ابتدأ موسى عليه السلام بالأعمال أم كانوا هم المبتدئون، ووجه دلالة التخيير على ذلك أن التقدم في التخييلات والشعوذة أنجح للبادئ لأن بديهتها تمضي في النفوس وتستقر فيها... ولعلهم مع ذلك أرادوا أن يروا مقدار ثقة موسى عليه السلام بمعرفته مما يبدوا من استواء الأمرين عنده أو الحرص على أن يكون هو المقدم ... ولكنهم خيروه في التقدم أو يتقدموا، فاختار أن يتقدموا لحكمة إلهية تزيد المعجزة ظهوراً؛ ولأن في تقديمه إياهم إبلاغاً في إقامة الحجة عليهم، ولعل الله ألقى في نفسه ذلك، وفي هذا دليل على جواز الابتداء بتقرير الشبهة للذي يثق بأنه سيدفعها[3].

وقيل: إنهم قدموه مراعاة للأدب معه عليه السلام وقبل موسى عليه السلام ذلك الأدب بأدب مثله[4].

سادساً: الحوار:

إن أسلوب الحوار من الأساليب المهمة في حياة الداعية إلى الله عز وجل فلولا الحوار لما تمكن الرسول أو الداعية من توصيل فكرته وتصحيح الفكر المغاير ولقد كان الحوار عند موسى عليه السلام مع فرعون وقومه في كثير من الآيات أذكر منها:

1.حواره مع فرعون:

﴿ **فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (22) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30) قَالَ**

---

(1) سورة الأعراف: الآيتان (115، 116).

(2) سورة طه: الآيتان (65، 66).

(3) التحرير والتنوير: ابن عاشور (47/9، 48)، بتصرف.

(4) روح المعاني: الألوسي (226/16)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾[1].

2.حواره مع السحرة:

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (41) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (42) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (43) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (44) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (45) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (46) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (48) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (49) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (50) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

3.حواره مع قومه:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[3].

4.حواره مع السامري:

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[4].

---

(1) سورة الشعراء: الآيات (16-33).

(2) سورة الشعراء: الآيات (41-51).

(3) سورة البقرة: الآيات (67-72).

(4) سورة طه: الآيات (95-98).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذه نماذج من الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وقومه وفرعون والسامري توضح أن الحوار ضرورة من ضرورات نشر دعوة الله سبحانه وتعالى.

سابعاً: قوة البأس والتخلي عن الخوف:

يقول الله تعالى: ﴿ **وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ** ﴾[1].

فقد ألقى عصاه كما أُمر فإذ هي تدب وتسعى وتتحرك حركة سريعة، كحركة ذلك النوع الصغير السريع من الحيات (الجان) وأدركت موسى عليه السلام طبيعة الانفعالية، وأخذته هزة المفاجأة التي لم تخطر له ببال، وجرى بعيداً عن الحية دون أن يفكر في الرجوع وهي حركة تبدو فيها دهشة المفاجأة العنيفة في مثل تلك الطبيعة الشديدة الانفعال، ثم نودي يا موسى النداء العلوي المطمئن، وأعلن له عن طبيعة التكليف الذي سيلقاه، ﴿ **يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ** ﴾ لا تخف فأنت مكلف بالرسالة، والرسل لا يخافون في حضرة ربهم وهو يتلقون التكليف[2].

أقول وبالله التوفيق:

إن الخوف شيء فطري، ولكن ثقة رسل الله بالله كبيرة، ومعرفتهم به تمنع دخول شيء من الخوف إلى قلوبهم، وفي هذا إشارة إلى أن الداعية لابد وأن يتحلى برباطة الجأش، ويتخلى عن الخوف، اقتداء برسل الله عليهم السلام؛ لأن ذلك يعطي الثقة للداعية أمام المدعوين.

---

(1) سورة النمل: الآية (10).

(2) في ظلال القرآن: قطب (2629/5)..

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع

طريقة عيسى عليه السلام

أرسل الله عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل في وقت طغت فيه الماديات على أصحاب هذا الوقت: ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾[1].

وقد جاء عيسى عليه السلام بمعجزات خارقة للعادة، لم يتعود عليها قومه، فهل آمنوا؟ لا، بل قالوا: إن هذا إلا سحر مبين؛ ولقد استخدم عيسى عليه السلام طرقاً متنوعة لنشر دعوة الله عز وجل لا تجعل مجالاً للشك وأول هذه الطرق:

أولاً: استخدام المعجزات:

والمعجزات التي استخدمها عيسى عليه السلام

1. **إيتاؤه الإنجيل:** ﴿ **وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[2].

قوله: ﴿ **وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ** ﴾ أي: هدى إلى الحق، ونور يستضاء به في إزالة الشبهات، وحل المشكلات[3].

2. **ما أخبر به الله عز وجل من تأييدٍ بالمعجزات لعيسى عليه السلام:** يقول تعالى: ﴿ **وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾[4].

أشار بذلك إلى أن إحياءه من الله تعالى لا منه؛ وروي أنهم طالبوه بخلق الخفاش، فأخذ طيناً وصوره، ونفخ فيه فإذا هو يطير، ﴿ **وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ** ﴾ أي الذي ولد أعمى، أو الممسوح العين. ﴿ **وَالْأَبْرَصَ** ﴾ المبتلى بالبرص، ولم تكن العرب تنفر من شيء نفرها منه؛ وتخصيص هذين الداءين لأنهما مما أعيا الأطباء، وكانوا في غاية الحذاقة في زمنه عليه السلام، فأراهم الله تلك

---

(1) سورة الصف: الآية (6).

(2) سورة المائدة: الآية (46).

(3) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (65/2).

(4) سورة آل عمران: من الآية (49).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعجزة من ذلك الجنس ...﴿ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ كرره مبالغة في دفع وهم من توهم فيه اللاهوتية[1].

3. المعجزات الغيبية:

أ. **الإخبار بما يأكلون وما يدخرون:** كما في قوله تعالى: ﴿ **وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾[2].

وقوله: ﴿ **وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ** ﴾ أي بالغيبيات من أحوالكم التي لا تشكون فيها ... ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ** ﴾ إشارة إلى ما ذُكر من الأمور العظام؛ ﴿ **لَآيَةً** ﴾ عظيمة[3].

ب. **الإخبار والتبشير بمحمد** ﷺ: كما قال تعالى: ﴿ **مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾[4].

﴿ **مُصَدِّقًا** ﴾ و ﴿ **مُبَشِّرًا** ﴾ حالان، والعامل رسول، أي: مرسل، و﴿ **يَأْتِي** ﴾ و ﴿ **اسْمُهُ**﴾ جملتان في موضع الصفة لرسول، أخبر أنه مصدق لما تقدم من كتب الله الإلهية ولمن تأخر من النبي المذكور؛ لأن التبشير بأنه رسول تصديق لرسالته ... والله أفرد عيسى عليه السلام بالذكر في هذا الموضع؛ لأنه آخر نبي قبل نبينا ﷺ، فبين أن البشارة به عمت جميع الأنبياء واحداً بعد واحد، حتى انتهت إلى عيسى عليه السلام ... فلما جاء المُبَشَّر به هؤلاء الكفارَ بالمعجزات الواضحة، قالوا: هذا سحر مبين[5].

ثانيا: رد المعجزات وقضايا التوحيد إلى الله:

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ**

---

(1) تفسير أبي السعود: أبو السعود (39/2)، بتصرف.

(2) سورة آل عمران: من الآية (49).

(3) تفسير أبي السعود: أبو السعود (39/2).

(4) سورة الصف: من الآية (6).

(5) تفسير البحر المحيط: أبو حيان (259/8)، بتصرف.

(6) سورة آل عمران: من الآية (49).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾[1].

وحينما تقرأ قول الله تعالى: **﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾**[2].

" الاستفهام هنا ليس باستفهام، وإن خرج مخرج الاستفهام، على قولين:

أحدهما: أنه سأله ذلك توبيخاً لمن ادعى ذلك عليه، ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغ في التكذيب، وأشد في التوبيخ والتقريع.

الثاني: قصد بهذا السؤال تعريفه أن قومه غيَّروا ما بعده، وادعوا عليه ما لم يقله ... وقوله: **﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾** يعني في الدنيا بالتوحيد، **﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾** (أن) يجوز أن تكون في موضع نصب، أي ما ذكرت لهم إلا عبادة الله؛ ويجوز أن تكون موضع خفض، أي بأن اعبدوا الله "[3].

أقول وبالله التوفيق:

إن عيسى عليه السلام كان يُرجع هذه المعجزات كلها إلى الله عز وجل، فيخرج بذلك عن قولهم: إنه ساحر وإنه طبيب؛ لأن قومه اشتهروا بذلك أي بالطب؛ فهذه الأمور الخارقة للعادة هي معجزات أيد الله بها نبيه عيسى عليه السلام، ومع هذا التأييد كان عيسى عليه السلام يخبر بأن ذلك كله من عند الله عز وجل، وأنه مجرد رسول، وليس بإله ولا مدعٍ للألوهية، وهذا يدلل على أن الداعية لا بد وأن يكون صادقاً في تبليغ رسالته، ويُرجع أمره وتوفيقه لله عز وجل، وإنما هو مجرد سبب ووسيلة.

ثالثاً: الصبر على الإيذاء:

والصبر سمة امتاز بها جميع الأنبياء والرسل، ولكن الصبر يختلف من رسول إلى رسول، وطبيعة الأذى الذي أوذي فيه كل رسول، فمنهم من أوذي جسدياً، ومنهم من أوذي إيذاءً معنوياً، ومنهم الإثنين معاً، وعيسى عليه السلام من الذين أوذوا إيذاء معنوياً، ومن صور الإيذاء:

---

(1) سورة المائدة: الآية (110).

(2) سورة المائدة: الآيتان (116، 117).

(3) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (241/6، 242)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1. **إتهامه بالسحر:** كما في قوله تعالى: ﴿ **فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾[1]، وقوله: ﴿ **قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾[2].

2. **الافتراء عليه:** كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾[3].

وما كان هذا السؤال من الله تعالى، إلا لأنهم عبدوا عيسى عليه السلام واتخذوه إلهاً كما في قوله تعالى: ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾[4].

وقد نفى الله عنه ذلك وبين رسالته وعبوديته لله في قوله سبحانه: ﴿ **مَا الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾[5].

رابعاً: التركيز على الجانب العاطفي الإيماني:

كما في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾[6].

وكما في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ** ﴾[7].

يقول الشعراوي ـ رحمه الله ـ: " وقول الحق: ﴿ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ** ﴾ يدل على أن كل صاحب فكرة، وكل صاحب مهمة، وكل صاحب هدف لا بد أن يكون يقظ الأحاسيس؛

---

(1) سورة المائدة: من الآية (110).
(2) سورة الصف: من الآية (6).
(3) سورة المائدة: الآيتان (116، 117).
(4) سورة التوبة: الآية (31).
(5) سورة المائدة: الآية (75).
(6) سورة آل عمران: الآية (52).
(7) سورة الصف: الآية (14).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأن صاحب الفكرة . وخاصة الدينية . يُخرج الناس من الظلمات إلى النور ... إن رجل الدعوة مأمور بأن تعمل كل حواسه، حتى يعرف من الذي يحن ويرتجف لحظة أن تأتي دعوة الخير ... إن رجل الدعوة مأمور بدقة اليقظة والإحساس، وعندما أعلن عيسى ابن مريم عليه السلام منهج الحق وجد أنصار الظلم والبغي وأنصار الظلمات غير معجبين بالمنهج الواضح للإيمان، لذلك أحس منهم الكفر، لقد كان مليئاً باليقظة والانتباه ... وعندما سأل عيسى عليه السلام ﴿ **مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ** ﴾ كانت (إلى) في السؤال تفيد الغاية، وهي الله ... وحين قال الحواريين: ﴿ **نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ** ﴾ كان ذلك يعني أن كل إنسان منهم يريد نصرة الله، فينضم إلى الله ناصراً للمنهج، وهذا يتطلب أن يعرف كل منهم المنهج، ونحن نعرف مقومات النصرة لله، إنه الإيمان، وما الإيمان؟ إنه اطمئنان القلب إلى قضية ما ..."[1].

أقول وبالله التوفيق:

إن عيسى عليه السلام قد ركز على الجانب الإيماني عند الحوارين بإثارة عواطفهم الإيمانية، وذلك بدعوتهم إلى نصرة دين الله، وذلك بطرح سؤاله لهم من أنصارى إلى الله؟ أي من الفئة المؤمنة التي ستنصر دين الله ومنهج الله؟ فإن من كان في قلبه إيمان سينهض لتلبية هذا النداء، ويكون جواباً للسؤال المطروح.

خامساً: تلبية رغبات وطلبات قومه:

طلب قوم عيسى عليه السلام وخاصة الحوارين منه إنزال مائدة من السماء، فقالوا كما أخبر الله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾[2].

" فابتدؤوا خطابهم عيسى عليه السلام بندائه باسمه، للدلالة على أن ما سيقولونه أمر فيه اقتراح وكلفة له، وكذلك شأن من يخاطب من يتجشم منه كلفة أن يطيل خطابه طلباً لإقبال سمعه إليه ليكون أدعى للمقصود ... فليس قول الحواريين المحكي بهذا اللفظ في القرآن إلا لفظاً من لغتهم يدل على التلطف والتأدب في السؤال، كما هو مناسب أهل الإيمان الخالص، وليس شكاً في قدرة الله، ولكنهم سألوا آية لزيادة واطمئنان قلوبهم بالإيمان بأن ينتقلوا من الدليل العقلي إلى الدليل الحسي[3] ".

---

(1) تفسير الشعراوي: الشعراوي (1497/3-1500)، بتصرف

(2) سورة المائدة: الآية (112).

(3) التحرير والتنوير: ابن عاشور (105/7)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكان طلب الحوارين من عيسى عليه السلام مائدة تنزل من السماء عليها طعام، وكانت الاستجابة من عيسى عليه السلام لتلبية هذا الطلب بأن توجه بالدعاء إلى الله عز وجل قائلاً: ﴿ **قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾[1]، وقوله: ﴿ **قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً** ﴾ اشتمل على نداءين إذ كان قوله: ﴿ **رَبَّنَا** ﴾ بتقدير حرف النداء؛ وكرر النداء مبالغة في الضراعة.

وليس قوله: ﴿ **رَبَّنَا** ﴾ بدلاً ولا بياناً من اسم الجلالة؛ لأن نداء اللهم لا يتبع عند جمهور النحاة ... وجمع عيسى عليه السلام من النداء باسم الذات الجامع لصفات الجلال، وبين النداء بوصف الربوبية له، وللحوارين استعطافاً لله ليجيب دعاءهم[2].

أقول وبالله التوفيق:

يظهر من الآية السابقة مدى تعنت قوم عيسى عليه السلام بطلبهم المعجزات بدعوى أن تطمئن قلوبهم، فما كان من عيسى عليه السلام إلا أن استجاب لهم لأنه يعلم أن ذلك في مقدور الله عز وجل، فيمكن للداعية أن يستجيب لمطالب من يدعوهم إن كان في الإمكان تحقيق ذلك مع عدم التنازل عن المبادئ؛ ومن المهم للمدعو أن يتجنب فعل قوم عيسى عليه السلام، فلا بد من وجود الثقة بين الداعي والمدعو، وإلا حل العقاب، بدليل أن الله قال لعيسى عليه السلام: ﴿ **قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ** ﴾[3].

---

(1) سورة المائدة: الآية (114).

(2) التحرير والتنوير: ابن عاشور (108/7)، بتصرف.

(3) سورة المائدة: الآية (115).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس

طريقة محمد ﷺ

أولاً: الدعوة إلى الله على بصيرة ويقين:

لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[1].

" أي: أدعو بالطريق الموصل إلى الله إيماناً به وتقبلاً لمنهجه، وطالباً لما عنده من جزاء الآخرة، وأنا على بصيرة مما أدعو إليه.

والبصر . كما نعلم . للمحسَّات، والبصيرة للمعنويات؛ والبصر الحسي لا يؤدي نفس عمل البصيرة؛ لأن البصيرة: هي يقين مصحوب بنور يقنع النفس البشرية، وإن لم تكن الأمور الظاهرة ملجئة إلى الإقناع.

ومثال هذا أم موسى حين أوحى الله إليها أن تقذف بابنها في اليم، ولو قاست هي هذا الأمر بعقلها لما قبلته، لكنها بالبصيرة قبلته؛ لأنه وارد من الله لا معاند له من النفس البشرية، فالبصيرة إذن هي يقين ونور مبني على برهان من القلب، فيطيعه العبد طاعة بتفويض، ويقال: إن الإيمان طاعة بصيرة ... "[2].

وأيضاً تأتي البصيرة بمعنى البيان والحجة الواضحة...[3].

وقوله: ﴿ **هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ...** ﴾ أي قل يا محمد: هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها ﴿ **سَبِيلِي** ﴾ سنّتي ومنهاجي ... ﴿ **عَلَى بَصِيرَةٍ** ﴾ على يقين، والبصيرة هي المعرفة التي يميِّز بها الحق والباطل...[4].

أقول وبالله التوفيق:

الدعوة إلى الله بحاجه إلى عدة أمور: إلى يقين لا شك فيه، فإذا وجد اليقين لا تستطيع الأهواء ولا المعوقات تغيير هذا الاعتقاد، وهو بذلك ثقة من الله ﷻ، والدعوة بحاجة إلى بيان، وفيه أن ما يدعو إليه الإنسان لا بد أن يكون واضحاً لا غش فيه، وهو بحاجة إلى حجة وبرهان وأدلة لإقناع من تدعو، فهذه المعاني موجودة في كلمة واحدة، فيا لروعة القرآن وبلاغته!! وهذه طريقة محمد ﷺ.

---

(1) سورة يوسف: الآية (108).

(2) تفسير الشعراوي: الشعراوي (7126/12).

(3) تفسير أبي السعود: أبو السعود (310/4)، بتصرف.

(4) معالم التنزيل: البغوي (453/2)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا تعارض بين المعاني الواردة لتبيين وتفسير معنى بصيرة؛ والملاحظ أنها جاءت نكرة لتحمل لنا هذه المعاني الدالة على بلاغة القرآن، وليس الاختلاف هنا اختلاف تضاد، بل اختلاف تنوع لمعاني هذه الكلمة القرآنية العظيمة.

ثانياً: الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة:

يقول تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** ﴾[1].

" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ادع يا محمد من أرسلك إليه ربك، بالدعاء إلى طاعته ﴿ **إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ** ﴾ إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه، وهي الإسلام ﴿ **بِالْحِكْمَةِ** ﴾ بوحي الله الذي يوحيه إليك، وكتابه الذي نزله عليك ﴿ **وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** ﴾ وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكرهم بها في تنزيله..."[2].

يقول الشهيد سيد قطب . رحمه الله .: " على هذه الأسس يرسِّي القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها، ويعيّن وسائلها وطرائقها، ويرسم المنهج للرسول الكريم ﷺ وللدعاة من بعده بدينه القويم... إن الدعوة دعوة إلى سبيل الله لا للشخص الداعي ولا لقومه، فليس للداعي من دعوته إلا أنه يؤدي واجبه لله ... والدعوة بالحكمة والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم ... والطريقة التي تخاطبهم بها ... والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها..."[3].

أقول وبالله التوفيق:

إن القرآن وضع لنا من خلال هذه الآية الإطار العام للطريقة التي ينتهجها الدعاة في كل زمان في دعوتهم إلى الله ﷻ فالواقع يتغير ويختلف من زمان إلى زمان، ولكن منهج الله ثابت لا يتغير، ومع ذلك فهو مناسب لكل زمان ومكان فقوله: ﴿ **بِالْحِكْمَةِ** ﴾ الحكمة تتحدد من خلال الواقع المحيط بالداعية، فهو الأقدر على تحديدها واستخدامها في واقعه وزمانه، ومع ذلك كله فإن الداعية مطالب في كل زمان ومكان أن يستخدم هذه الأمور: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وهي من دعائم الدعوة إلى الله ﷻ.

ثالثاً: المجادلة بالتي هي أحسن:

لقوله تعالى: ﴿ **وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[4].

---

(1) سورة النحل: الآية (125).

(2) جامع البيان: الطبري (663/7).

(3) في ظلال القرآن: قطب (2201/4– 2202).

(4) سورة النحل: الآية (125).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبالجدل بالتي هي أحسن بلا تحامل على المخالف، ولا ترذيل له ولا تقبيح حتى يطمئن الداعي، ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق، فالنفس البشرية لها كبرياؤها، والجدل بالحسنى هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحساسة، ويشعر المجادل أن ذاته مصونه، وقيمته كريمة وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها في سبيل الله لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر ... هذا منهج الدعوة ودستورها مادام الأمر في دائرة الدعوة باللسان والجدل والحجة، فأما إذا وقع الاعتداء على أهل الدعوة، فإن الموقف يتغير...[1].

أمر الله ﷻ نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة أن يجادل خصومه بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من إيضاح الحق بالرفق واللين ... وقد أشار إلى ذلك المعنى في قوله: ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ** ﴾[2].

ونظير ما ذكر هنا من المجادلة بالتي هي أحسن قوله لموسى وهارون في شأن فرعون ﴿ **فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا** ﴾ "[3].

أقول وبالله التوفيق:

إن العلة من المجادلة بالتي هي أحسن هي الوصول إلى الحقيقة، وإظهار الحق والانتصار لله ﷻ، وليس المجادلة بهدف إبراز قوة الداعية العقلية وقدرته على المحاورة والمجادلة، وإن كان كذلك فالأولى ترك المجادلة وقد وضح الشهيد سيد قطب . رحمه الله . أن هذا موقف الدعوة ومنهجها، فمن هو الذي وضع لنا هذا المنهج أليس هو رسول الله ﷺ؟.

والمجادلة نوع من أنواع الدعوة إلى الله ﷻ، فعلى الداعية أن يتزود لهذا النوع بأن تكون له القدرة على المجادلة، وأن يتزود من سيرة النبي ﷺ بما يتبع هذا النوع.

رابعاً: عدم استخدام الفظاظة والغلظة:

يقول تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾[4].

قال الحسن البصري . رحمه الله .: هذا خُلق محمد ﷺ بعثه الله به ... وقوله: ﴿ **وَلَوْ**

---

(1) في ظلال القرآن: قطب (2202/4)، بتصرف.

(2) سورة العنكبوت: الآية (46).

(3) أضواء البيان: الشنقيطي (286/3–287)، بتصرف، والآية من سورة طه من الآية (44).

(4) سورة آل عمران: الآية (159).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ الفظ: الغليظ، المراد به هنا غليظ الكلام لقوله بعد ذلك ﴿ **غَلِيظَ الْقَلْبِ** ﴾ أي لو كنت سيء الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم، تأليفاً لقلوبهم كما قال عبدالله بن عمرو ﷺ: إني أرى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة: أنه ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح[1].

أقول وبالله التوفيق:

إن لين الكلام ورقة القلب لهما التأثير البالغ في النفس البشرية، وقد كان رسول الله ﷺ كذلك، وقد جاءت السنّة بكثير من القصص النبوي تدلل على رقة قلب النبي ﷺ، ولين كلامه مع صحابته ﷺ، ومع الأعراب، ومع الكفار؛ وأذكر على سبيل المثال لا الحصر قصة الأعرابي الذي بال في المسجد كيف تعامل معه الرسول ﷺ وكيف تعامل معه الصحابة ﷺ: فعن أنس بن مالك ﷺ: أن أعرابياً بال في المسجد، فقاموا إليه، فقال رسول الله ﷺ: " **لا تُزْرِمُوهُ** "، ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه[2]، فعلى الداعية أن يقتدي برسول الله ﷺ في تعامله وكلامه مع من يدعوهم.

خامساً: استخدام الرحمة والرأفة بمن يدعوهم والحرص عليهم:

إن رسول الله ﷺ هو النعمة المهداة والرحمة المسداة للعالمين جميعاً، فقد كان ﷺ رحمه للإنس والجان والطير والحيوان والنبات والجماد، وقد وصفه الله قائلاً: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾[3].

وقد خص الله ﷻ العرب والمؤمنين بهذه الرحمة والرأفة فقال: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾[4].

" يقول تعالى ذكره للعرب ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ** ﴾ أيها القوم رسول إليكم ﴿ **مِنْ أَنْفُسِكُمْ** ﴾ تعرفونه لا من غيركم فتتهمونه على أنفسكم في النصيحة لكم ﴿ **عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ** ﴾ أي عزيز عليه عنتكم، وهو دخول المشقة عليهم والمكروه والأذى ﴿ **حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ** ﴾ حريص على هدى ضلالكم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحق ﴿ **بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ رفيق

---

(1) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (421/1)، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب البيوع، باب كراهية السخب في السوق، 747/2 ح 2018) بنحوه.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، 2242/5 ح 5679).

(3) سورة الأنبياء: الآية (107).

(4) سورة التوبة: الآية (128).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورحيم"[1].

وإن الرسول ﷺ لم يكن رحمه للعالمين فقط، بل دعا أصحابه رضي الله عنهم إلى هذه الرحمة، وأن يتراحموا فيما بينهم، وقد أخبر الله بذلك، فقال: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[2].

وهناك الأحاديث الكثيرة الدالة على ذلك قوله: " **ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ** ..."[3].

وقد أخبر النبي ﷺ عن نفسه فقال: " **أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالمُقَفِّى وَالحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ** "[4].

ويتضح هذا المعنى من قوله تعالى لنبيه ﷺ إذا كان يتحسر من عدم إيمان قومه بدين الله ﷻ يقول تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾[5].

وهذه الآية تسلية للنبي ﷺ عن كفر قومه وحب التسليم لله في إضلال من شاء وهداية من شاء، وأمر نبيه ﷺ بالإعراض عن أمرهم وأن لا يبخع نفسه أسفاً عليهم... والحسرة هم النفس على فوات الأمر[6].

وقد أشار القرآن إلى هذا المعنى في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾[7].

ولعل: للترجي في المحبوب والإشفاق في المحذور[8].

---

(1) جامع البيان: الطبري (522/6).

(2) سورة الفتح: الآية (29).

(3) أخرجه الترمذي في سننه (كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في رحمة المسلمين، 323/4 ح 1924)، وصححه الألباني في المصدر نفسه.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الفضائل، باب في أسمائه، 1828/4 2355).

(5) سورة فاطر: الآية (8).

(6) المحرر الوجيز: ابن عطية (430/4)، بتصرف.

(7) سورة الكهف: الآية (6).

(8) البحر المحيط: أبو حيان (96/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد شبه الله النبي ﷺ وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والأسف على توليهم لرجل فارقه أحبته وأعزته، فهو يتساقط حسرات على آثارهم، ويبخع نفسه وَجداً عليهم، وتلهفاً على فراقهم "[1]؛ فإذا كان النبي ﷺ يتحسر على عدم إيمان قومه ويبخع نفسه عليهم ألا يدل ذلك على رحمته ورأفته بهم؟!.

سادساً: الصبر على الإيذاء:

أشار القرآن الكريم إلى إيذاء الكفار للنبي ﷺ في أكثر من آية يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا** ﴾[2].

" لما أرشد الله المؤمنين إلى تناهي مراتب حرمة النبي ﷺ وحذَّرهم مما قد يخفى على بعضهم من خفي الأذى في جانبه بقوله: ﴿ **إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ** ﴾ ﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ** ﴾ وعلمهم كيف يعاملونه معاملة التوقير ... فأعلم الله المؤمنين بأن أولئك ملعونون في الدنيا والآخرة، ليعلم المؤمنون أن أولئك ليسوا من الإيمان في شيء، وأنهم منافقون لأن مثل هذا الوعيد لا يعهده إلا للكافرين "[3].

أقول وبالله التوفيق:

إذا كان الله توعَّد المؤمنين بما يفعلونه مع رسول الله ﷺ من استئناس الحديث ﴿ **وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ** ﴾ ﴿ **وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ** ﴾[4]، فكان ذلك إيذاء، فمن باب أولى أن ما كان كان يفعله الكفار من تعذيب وضرب واتهام أعظم جرماً عند الله، ومع ذلك صبر رسول الله ﷺ، وإن الله خاطب المؤمنين قائلاً: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا** ﴾[5]، فإن من يؤذي رسول الله ﷺ يتشبه بمن آذى موسى عليه السلام وهم قوم غضب غضب الله عليهم، وهذا تحذير من الله.

وصبْر رسول الله ﷺ على إيذاء كفار قريش له صور:

الصورة الأولى: صبره على اتهامه بالجنون: يقول الله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ** ﴾[6]، ويقول أيضاً: ﴿ **وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ**

---

(1) الكشاف: الزمخشري (2/472-473)، بتصرف.

(2) سورة الأحزاب: الآية (57).

(3) التحرير والتنوير: ابن عاشور (22/104).

(4) سورة الأحزاب: من الآية (54).

(5) سورة الأحزاب: من الآية (69).

(6) سورة الحجر: الآية (6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مَجْنُونٍ ﴾[1]، وقوله: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴾[2].

وهناك الكثير من الآيات التي يقول الكفار فيها عن رسول الله ﷺ أنه مجنون حاشاه الله ولقد نفى الله هذه الصفة المفتراة على رسول الله ﷺ فقال تعالى: ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾[3].

الصورة الثانية: صبره على اتهامه بأنه ساحر:

يقول تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾[5].

وقد أنكر الله عليهم ذلك فقال: ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾[6].

الصورة الثالثة: صبره على اتهامه بالكذب:

يقول الله تعالى مخبراً عن ذلك: ﴿ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾[7]، ولكن الله يدافع عن رسوله ﷺ فيقول: ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴾[8].

الصورة الرابعة: اتهامه بأنه كاهن:

ومع ذلك نفى الله عنه هذه الفرية فقال: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾[9]، ويقول تعالى: ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾[10]، ويفهم من الآية بمفهوم المخالفة أنهم اتهموا رسول الله ﷺ بأنه كاهن.

الصورة الخامسة: صبره على اتهامه بأنه أذن:

وقد جعل القرآن في هذه الصورة نوعاً من أنواع الإيذاء للنبي ﷺ يقول تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ

---

(1) سورة الصافات: الآية (36).
(2) سورة الدخان: الآية (14).
(3) سورة القلم: الآية (2).
(4) سورة يونس: الآية (2).
(5) سورة ص: الآية (4).
(6) سورة الذاريات: الآية (52).
(7) سورة القمر: الآية (25).
(8) سورة القمر: الآية (26).
(9) سورة الطور: الآية (29).
(10) سورة الواقعة: الآية (42).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

... فكأن قول المنافقين وصفاً للرسول ﷺ ﴿ **هُوَ أُذُنٌ** ﴾ هو سب للرسول ﷺ، وكان الواحد منهم يقول: احذروا أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ فينكشف نفاقكم ويؤذيكم، أرادوا أن يتهموه ﷺ أنه لا يمحص القول الذي ينقل إليه، ويصدق كل ما يقال له، كما نقول نحن في العامية: فلان وُدَنِي، فيرد عليهم الله ﴿ **قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ** ﴾ لأنه يستمع بمنهج السماء ويبلغه للبشر، ليهدي أهل الأرض...[2].

الصورة السادسة: صبره على الأذى الجسدي:

لقد أوضحت لنا سيرة النبي ﷺ صبره على إيذاء كفار قريش، وهناك العديد من الأحداث والقصص التي حدثت مع النبي ﷺ.

إذ إنهم وضعوا سلا الجزور على رأسه وهو يصلي، وضربوه بالحجارة حتى أدموا قدميه، وقد حاصروه في شعب أبي طالب ثلاث سنوات، وأرادوا قتله في أكثر من مره[3]، إلى غير ذلك ذلك من الأحداث التي تدلل على إيذاء الكفار للنبي ﷺ ومع ذلك صبر ﷺ فكيف لا والله ﷻ يخاطبه ويقول له: ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴾[4]؟.

---

(1) سورة التوبة: الآية (61).

(2) تفسير الشعراوي: الشعراوي (5244/9).

(3) انظر: البداية والنهاية (76/3 – 84).

(4) سورة الأحقاف: من الآية (35).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

طرق الأعداء

في الصد عن سبيل الله

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: طريقة أهل الكتاب

المطلب الثاني: طريقة المنافقين

المطلب الثالث: طريقة المشركين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

طريقة أهل الكتاب

إن المتأمل في القرآن الكريم يجد أن الله ﷻ ذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى، لكنه سبحانه بين عداء اليهود لنا على خلاف النصارى، فهم أقرب مودة للذين آمنوا، فهم لا يستكبرون؛ لذلك يكون الحديث عن طريقة اليهود في محاربة الدعوة، وإن القارئ للتاريخ يتعرف على طبيعة اليهود الإجرامية والإفساد الذي تعودوا عليه وبغضهم للخير والرسل والدعاة، إلى زماننا هذا، والواقع الذي نعيشه يبرهن على ذلك، ولعل أبرز ما امتازوا به في محاربة الدعوة إلى الله ما يلي:

أولاً: قتل الأنبياء والرسل والدعاة:

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الطريقة في أكثر من آية يقول الله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ** ﴾[1].

وقوله: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[2].

﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ** ﴾[3]، وقوله: ﴿ **كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ**﴾[4]، وقوله: ﴿ **لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ** ﴾[5].

هذه الآيات فيها إشارة واضحة إلى قتل الأنبياء والرسل والذين يأمرون بالقسط من الناس من الدعاة إلى الله.

أقول وبالله التوفيق:

القتل صفة تأصلت في بني إسرائيل حتى اشتُهروا بها، وقد أشار القرآن إلى ذلك من خلال الآيات السابقة، والملاحظ استخدام القرآن للفعل (قتل) تارة بصيغة الماضي، وتارة بصيغة المضارع يدل على أن اليهود قد فعلوا هذه الفعلة الشنيعة من قتل الأنبياء في الماضي وهم

---

(1) سورة البقرة: من الآية (61).
(2) سورة آل عمران: الآية (21).
(3) سورة آل عمران: الآية (112).
(4) سورة المائدة: الآية (70).
(5) سورة آل عمران: الآية (181).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مستمرون عليها، وذلك باستخدام الفعل المضارع الذي يدل على الاستمرار في قوله: ﴿ **يَقْتُلُونَ** ﴾ فذلك يدل على طبيعة هؤلاء القوم من قتل بغير حق للأنبياء والرسل والدعاة، ولعل ما نراه في أيامنا هذه من قتل من يخالفهم خاصة قادة الأمة الإسلامية أكبر دليل على أنهم يتوارثون هذه الفعلة الشنيعة ويتناقلونها من جيل إلى جيل؛ لذا على الدعاة والقادة المسلمين أن يأخذوا حذرهم؛ لأن هؤلاء قتلة الأنبياء والرسل لن يتورعوا عن إيقاع الأذى بهم في أي لحظة كانت، فليس عندهم خط أحمر يقفون عنده.

ثانياً: التحريف والتزييف:

يقول تعالى: ﴿ **أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[1]، وقوله: ﴿ **مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ** ﴾[2]، وقوله: ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ** ﴾[3]، وقوله: ﴿ **وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ** ﴾[4].

هم اليهود كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ووعوه، وقال مجاهد: الذين يحرفونه، والذين يكتمونه هم العلماء منهم؛ وقال أبو العالية: عمدوا إلى ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد ﷺ فحرّفوه عن مواضعه... وقيل: التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراماً والحرام فيها حلالاً، والحق فيها باطلاً والباطل فيها حقاً...[5].

أقول وبالله التوفيق:

التحريف عند اليهود من خلال هذه الآيات قائم في إحدى هاتين الصورتين:

الصورة الأولى: تحريف يخص النبي ﷺ: وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ** ﴾[6].

---

(1) سورة البقرة: الآية (75).

(2) سورة النساء: الآية (46).

(3) سورة المائدة: الآية (13).

(4) سورة المائدة: الآية (41).

(5) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (116/1)، بتصرف.

(6) سورة الأعراف: الآية (157).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقولـه تعـالى: ﴿ **الَّـذِينَ آتَيْنَـاهُمُ الْكِتَـابَ يَعْرِفُونَـهُ كَمَـا يَعْرِفُـونَ أَبْنَـاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًـا مِـنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[1].

والصورة الثانيـة: تحريـف وتزييـف الأحكـام التشـريعية: وهذا أيضاً ما أشار إليه القرآن ﴿ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ** ﴾[2].

فإن في تغيير صفة النبي ﷺ الذي أخبر به موسى وبشر به عيسى عليهما السلام، تحريف وتزييف وطريقة من طرق الصد ومحاربة الدعوة؛ لأنهم بذلك يضلون، وقد أضلُّوا كثيراً من الناس بحجبهم لهذه الصفات عن كثير من الناس.

ثالثاً: نقض العهود والمواثيق:

يقول الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ...** ﴾[3]، وقوله: ﴿ **الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ** ﴾[4]، وقوله: ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ**﴾[5].

وتمثل هذا النقض للعهود والمواثيق فيما حدث من قبل اليهود في المدينة مع رسول الله ﷺ، فقد نقضوا العهد والميثاق مع رسول الله ﷺ في أكثر من مرة منها:

ما يفهم من قوله تعالى: ﴿ **سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ** ﴾[6]، يقول الشهيد سيد قطب . رحمه الله .: " نزلت هذه السورة في حادث بني النضير . حي من أحياء اليهود . في السنة الرابعة من الهجرة تصف كيف وقع؟ ولماذا وقع؟ ... كانت وقعة بني النضير في أوائل السنة الرابعة من الهجرة بعد غزوة أحد، وقبل غزوة الأحزاب، ومما يذكر عنها أن رسول الله ﷺ ذهب مع عشرة من كبار الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعلي ﷺ إلى محلة بني النضير،

---

(1) سورة البقرة: الآية (146).
(2) سورة البقرة: الآية (79).
(3) سورة البقرة: من الآية (27).
(4) سورة الأنفال: الآية (56).
(5) سورة النساء: الآية (155).
(6) سورة الحشر: الآيتان (1، 2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يطلب منهم المشاركة في أداء دية قتيلين، بحكم ما كان بينه وبينهم من عهد في أول مقدمه على المدينة، فاستقبله يهود بني النضير بالبشر والترحاب، ووعدوا بأداء ما عليهم، بينما كانوا يدبرون أمر اغتيال رسول الله ﷺ ومن معه، وكان ﷺ جالس إلى جدار من بيوتهم فقال بعضهم لبعض: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحال، فمن رجل منكم يعلوا هذا البيت فيلقي عليه صخرة؟ كما قال، فألهم رسول الله ﷺ ما يبيت اليهود من غدر، فقام كأنما يقضي أمراً، فلما غاب استبطأه من معه، فخرجوا من المحلة يسألون عنه، فعلموا أنه دخل المدينة وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحرب بني النضير لظهور الخيانة منهم، ونقض عهد الأمان الذي بينه وبينهم..."[1].

أقول وبالله التوفيق:

هذا مثل من أمثلة الغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق من قِبل أعداء الله يهود، فإنهم نقضوا عهد الأمان مع رسول الله ﷺ فكيف يكون نقض العهد والمواثيق محاربة الله؟

يتضح مما سبق أن اليهود أرادوا قتل رسول الله ﷺ وهو زعيم هذه الدعوة، فإن قتله ﷺ قتل للدعوة الإسلامية ولزعامتها، وبذلك إعلان للحرب على هذه الدعوة، ولكن الله ﷻ قد عصم رسوله ﷺ من القتل فقال: ﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾[2] فنجد أن نقض العهد والميثاق فيه الغدر والخيانة، التي هي من طبيعة هؤلاء القوم.

صورة أخرى من صور نقض العهد والميثاق من قبل اليهود:

ما حدث في غزوة بني قريظة، وسببها أن نفراً من زعماء اليهود من بني النضير خرجوا حتى قدموا مكة، فدعوا قريشاً إلى حرب محمد ﷺ وقالوا: " سنكون معكم حتى نستأصله " وقالوا لهم: إن ما أنتم عليه خير من دين محمد ﷺ ففيهم نزل قول الله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (51) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا** ﴾[3].

وخرج حيي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي، فأغراه بنقض العهد مع رسول الله ﷺ[4].

أقول وبالله التوفيق:

---

(1) في ظلال القرآن: قطب (6/3518-3519).

(2) سورة المائدة: الآية (67).

(3) سورة النساء: الآيتان (51، 52).

(4) سيرة ابن هشام (2/223).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نجد مما سبق أن نقض العهد والميثاق من قبل اليهود طبيعة فيهم، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ **أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[1].

رابعاً: كتمان الحق:

ومن طرق أعداء الله اليهود في محاربتهم لدعوة الله ﷻ كتمهم للحق الذي جاء إليهم ويتعدد كتمان الحق في عدة صور منها:

أنهم كانوا يكتمون صفة محمد ﷺ مما يؤدي ذلك إلى تحريف الحق إلى باطل في كتاب الله التوارة، لقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[2]، وأيضاً كانوا يكتمون ما يتعلق بالأحكام التشريعية والبينات والهدى.

﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** ﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ** ﴾[4].

ويقول تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[5]، وكتمانهم شهادة الحق وهم يعلمون من باب كتمانهم للحق يقول تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ** ﴾[6].

أقول وبالله التوفيق:

إن المتأمل لهذه الآيات يجد أن كتمان الحق عند اليهود كان في أمرين:

الأمر الأول: كتمان الحق فيما يتعلق بمحمد ﷺ ونبوته.

الأمر الآخر: كتمان الحق فيما يتعلق بالتشريعات والأحكام والبينات والهدى.

وكتمان الحق هنا جاء من حب السيطرة والتملك؛ لأنهم تعودوا أن يكون منهم النبي، وهم كما ادعوا بأنهم أحباب الله وشعب الله المختار، فإنهم سيحاولون أن يفعلوا كل شيء بهدف

---

(1) سورة البقرة: الآية (100).

(2) سورة البقرة: الآية (146).

(3) سورة آل عمران: الآية (187).

(4) سورة البقرة: الآية (159).

(5) سورة البقرة: الآية (174).

(6) سورة البقرة: الآية (73).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استحواذهم على هذه النعمة، فكيف يأتي من العرب رسول ويأمرهم بتشريعات وأحكام لم يتعودوا عليها؟، إنهم لن يقبلوا بذلك، ومع ذلك فهم مستعدون ليفعلوا أي شيء لمحاربة دعوة الله ورسوله ﷺ، ألا تراهم في زماننا هذا لا يقبلون حقاً ولا صرفاً ولا عدلاً؟ الحق ما يرونه حقاً لا ما نراه ويراه العالم، مع علمهم بالحق ولكنهم يكتمونه.

خامساً: الاستهزاء بدين الله ﷻ:

يقول تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾[1]، هذه الآية تحذير من موالاة اليهود والمشركين الذين بالمدينة، ولا مدخل للنصارى فيها، إذ لم يكن في المدينة نصارى فيهزؤوا بالدين.

والدين هو ما عليه المرء من عقائد وأعمال ناشئة عن العقيدة، فهو عنوان عقل المتديِّن ورائد آماله، وباعث أ1عماله، فالذي يتخذ دين امرئ هزواً، فقد اتخذ ذلك المتدين هزواً، ورمقه بعين الاحتقار إذ عدَّ أعظم شيء عنده سخرية، فما دون ذلك أولى... ولأن الاستهزاء والاستخفاف احتقار والمودّة تستدعي تعظيم الودود.

أقول وبالله التوفيق:

الاستهزاء لون من ألوان التقليل والتنقيص والاحتقار للشيء، فإن المستهزئ يستخدمها سلاحاً معنوياً للمحاربة، فقد تكون المحاربة المعنوية لها أثر أكبر من المحاربة المادية؛ لأن النفوس تختلف فالبعض يؤثر فيه الكلام أكثر من الضرب، والعكس، وهذه المحاربة المعنوية المتمثلة بالاستهزاء الحاصل من قِبل اليهود لها التأثير، ولو لم يكن لها هذا التأثير لما ذكرها الله سبحانه وتعالى حين وصف أهل الكتاب بهذه الصفة، فإن لهم صفات كثيرة، ولكن هذه الصفة وهي الاستهزاء لها الأثر على نفوس المسلمين، وكأن الله ﷻ يذكرهم لا تتخذوا هؤلاء اليهود أولياء لكم، فقد آذوكم باستهزائهم بدينكم وصلاتكم وآذانكم، فتذكروا ذلك، والله أعلم.

---

(1) سورة المائدة: الآيتان (57).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

طريقة المنافقين

يُعتبر المنافقون أشد الناس خطراً على الإسلام وعلى دعوة الله ﷻ في كل زمان ومكان، والمنافقون وإن اختلفت أسماؤهم في كل زمان، لكن اتفاقهم واحد، هو الإضرار بالإسلام وأهله، ولما كان لهذه الفئة الخطر الكبير سأحاول التركيز على بعض الطرق المستخدمة عندهم، بهدف محاربة الدعوة الإسلامية، لفضحهم ومعرفة طريقة تفكيرهم ليتسنى للمسلمين كيفية التعامل معهم، واجتناب مكرهم ومضرتهم.

أولا: استخدام الكذب:

ولقد وصف الله سبحانه وتعالى المنافقين بهذه الصفة الذميمة فقال: ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** ﴾[1].

هذه الآية من سورة المنافقين فيها حملة عنيفة على أخلاق المنافقين وأكاذيبهم ودسائسهم ومناوراتهم، وما في نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين من اللؤم والجبن، وانطماس بصائر القلوب ... وهذه السورة تبدأ بوصف طريقتهم في مداراة ما في قلوبهم من الكفر وإعلانهم الإسلام، والشهادة بأن النبي ﷺ هو رسول الله وحلفهم كذباً ليصدقهم المسلمون... وليخفوا أمرهم وحقيقتهم على المسلمين، فهم كاذبون في أنهم جاءوا ليشهدوا هذه الشهادة...[2].

أقول وبالله التوفيق:

يظن المنافقون أنهم غير مكشوفين ومعلومين عند الرسول ﷺ، فهم يستخدمون وسيلة الكذب ليدرأوا عن أنفسهم العذاب، ولكن الله كشفهم وعرّفهم لرسوله ﷺ، ومع ذلك فقد كانوا غير معروفين لكثير من الصحابة ﷺ، الأمر الذي أدى إلى وجود خطر على الإسلام والمسلمين؛ فالمنافق في الظاهر مسلم، والباطن كافر، وهذا خطره أشد من الكافر الظاهر، فالمنافقون يتربصون بالمسلمين ويتحسسون أخبارهم وينقلونها إلى أسيادهم من المشركين واليهود، وما نراه اليوم من أبناء جلدتنا ممن يعيشون بيننا ودينهم ديننا، ونخالطهم ويخالطوننا، ولكنهم كاذبون، يأخذون الأخبار لأسيادهم، ويحدث ما يحدث من ضرر، هو في أساسه قائم على، فالكذب طريقة المنافقين في كل زمان ومكان، وإن اختلفت أسماؤهم.

ثانياً: خلخلة صفوف المسلمين وإحداث البلبلة:

---

(1) سورة المنافقون: الآية (1).

(2) في ظلال القرآن: قطب (6/3572-3574).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا** ﴾[1]، وقوله أيضاً: ﴿ **وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا** ﴾[2].

نزلت هذه الآيات في المنافقين حين استأذنوا النبي ﷺ بأن يعودوا إلى المدينة بحجة أن بيوتهم مكشوفة للأعداء، فقالوا: ائذن لنا فلنرجع إلى نسائنا وأبنائنا؛ فأنزل الله على رسوله ﷺ حين فزع عنهم ما كانوا فيه من البلاء يذكرهم بنعمته عليهم وكفايته إياهم بعد سوء الظن منهم، ومقالة من قال من أهل النفاق[3].

يقول الشهيد سيد قطب .رحمه الله .: " ومثل هؤلاء المنافقين والمرجفين قائمون في كل جماعة، وموقفهم في الشدة هو موقف إخوانهم هؤلاء، فهم نموذج مكرر في الأجيال والجماعات على مدار الزمان ﴿ **وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ** ﴾ فهم يحرضون أهل المدينة على ترك الصفوف والعودة إلى بيوتهم بحجة أن إقامتهم أمام الخندق مرابطين هكذا لا موضع لها ولا محل، وبيوتهم معرضه للخطر من ورائهم، وهي دعوة خبيثة تأتي النفوس من الثغرة الضعيفة فيها، ثغرة الخوف على النساء والذراري... ويقف السياق عند هذه اللفظة الفنية المصورة لموقف البلبلة والفزع والمراوغة، يقف ليرسم صورة نفسية لهؤلاء المنافقين والذين في قلوبهم مرض، صورة نفسية داخلية لوهن العقيدة وخور القلب، والاستعداد للانسلاخ من الصف، وليست هذه المرة الأولى التي يحاول فيها المنافقون الانسلاخ من الجيش والعودة، بل فعلوها في غزوة أحد عندما انسلخ وانخذل عبد الله بن أُبي ابن سلول بثلاثمائة من أتباعه عن رسول الله ﷺ وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ** ﴾[4] يعني بذلك أصحاب عبد الله بن أبي بن سلول الذين رجعوا معه، وذلك حين خرج رسول الله ﷺ إلى أُحد في ألف رجل، حتى إذا كان بالشوط بين أحد والمدينة انحاز عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الناس[5].

أقول وبالله التوفيق:

---

(1) سورة الأحزاب: الآية (13).

(2) سورة الأحزاب: الآية (15).

(3) لباب النقول: السيوطي (173/1)، بتصرف.

(4) في ظلال القرآن: قطب (2838/5-2839)، بتصرف، والآية من سورة آل عمران (167).

(5) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (426/1)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن إحداث البلبلة وخلخة صفوف المسلمين هي طبع مغروس في هذه العيِّنة من الناس، فهم حريصون على نصرة أسيادهم من خلال إحداث هذه الفتنة، وإنهم إذا ما نجحوا فإنهم يضربون على الوتر الحساس الذي يؤثر على النفس البشرية، فهم تحججوا بالأهل والنساء ليعودوا إلى المدينة، وكأنهم أرادوا أن ينشروا بين الصحابة ﷺ أن تذكروا نساءكم وأولادكم حتى يؤثر ذلك على نفسية الصحابي المقاتل، فتخور قواه ويحن إلى أهله، فيشغله ذلك عن المعركة؛ وإن انسحاب زعيم المنافقين بثلث الجيش أيضاً له التأثير الكبير على الجنود وعلى المقاتلين في المعركة، فكل ذلك يؤدي إلى خلخة صف الجيش، ويغلغل اليأس إلى قلوب المقاتلين، ولكن الإيمان المتمركز في القلوب يدفع ذلك الانحسار ولا يتأثر بذلك إن شاء الله.

ثالثاً: نشر الإشاعة والفاحشة في المسلمين:

يقول تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾[1]، يخبر الله تعالى عن الذين ﴿ **يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ**﴾ أي تظهر وتفرق ﴿ **فِي الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ أي المحصنين والمحصنات، والمراد بهذا اللفظ العام عائشة . رضي الله عنها . وصفوان ﷺ، والفاحشة الفعل القبيح المفرط القبح ﴿ **لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ أي الحد، وفي الآخرة عذاب النار أي للمنافقين، فهو مخصوص...[2].

أقول وبالله التوفيق:

إن نشر الإشاعة من المنافقين في حق السيدة الطاهرة عائشة . رضي الله عنها . طعن في عرض رسول الله ﷺ وهذا نوع من أنواع الحرب النفسية للقائد المسلم، فكيف وإن كان رسول الله ﷺ؟ والطعن في رسول الله ﷺ طعن في دين الله والعياذ بالله؛ فالمنافقين استغلوا هذه الحادثة، وعملوا على ترويجها وتناقلوها ونشروها، ولكن جاءت البراءة من الله ﷻ للسيدة عائشة وصفوان . رضي الله عنهما . وقد توعد الله المنافقين القائمين على نشر هذه الإشاعة.

لذلك هناك توجيه من الله للمؤمنين أن من يعمل على نشر الإشاعات والفواحش بين الناس، فإنه يتشبه بالمنافقين وأفعالهم وطريقهم في محاربة الإسلام؛ ويحذرنا الله ﷻ من عدم إلقاء الأحكام جزافاً على خلق الله بل لابد من تمحيص وتأكيد وإشارة إلى الشرفاء الذين اتهموا بالباطل، أن لكم في زوجه النبي أمكم أم المؤمنين . رضي الله عنها . أسوة وقدوة فلتصبروا ولتثقوا ببراءة الله لكم.

---

(1) سورة النور: الآية (19).

(2) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (137/15)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الشعراوي ـ رحمه الله ـ: " والبعض يظن أن إشاعة الفاحشة فضيحة للمتهم وحده، نعم هي للمتهم، لكن قد تنتهي بحياته وقد تنتهي ببراءته، لكن المصيبة أنها تكون أسوة سيئة في المجتمع "[1].

رابعاً: التلون والاستهزاء:

يقول تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (13) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾[2].

" يقول تعالى: وإذا قيل للمنافقين آمنوا كما آمن الناس أي كإيمان الناس بالله وملائكته... وغير ذلك مما أخبر المؤمنين عنه ﴿ **قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ** ﴾ يعنون بذلك لعنهم الله أصحاب رسول الله ﷺ وفي قوله: ﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ يقول تعالى: وإذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين، ﴿ **قَالُوا آمَنَّا** ﴾ وأظهروا لهم الإيمان والموالاة والمصافاة غروراً منهم للمؤمنين، ونفاقاً ومصانعة وتقية ليشركوهم فيما أصابوا من خير ومغنم، ﴿ **وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ** ﴾ يعني إذا انصرفوا وذهبوا إلى سادتهم وكبرائهم ورؤسائهم من أحبار اليهود ﴿ **قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ** ﴾ أي إنا على فعل ما أنتم عليه ﴿ **إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾ ساخرون بأصحاب محمد ﷺ"[3].

أقول وبالله التوفيق:

هاتان الآيتان من الآيات الدالة على تلون هذه الفئة الخطيرة، فتارة يظهرون الإيمان ويكونون مع المؤمنين، وإذا اجتمعوا مع شياطينهم وساداتهم من اليهود والمشركون قالوا: نحن على ما أنتم عليه من الكفر والحقد لمحمد ﷺ وأصحابه ودينه وهذه الفئة أشد خطر على المؤمنين وعلى دين الله.

لكن كيف يكون الخطر من هذه الفئة؟

يكون خطر هؤلاء أنهم مع الصف المؤمن مؤمنين؛ لأنهم يعيشون بينهم ويجلسون معهم ويتعرفون على أخبارهم، وأحوالهم وينقلونها إلى ساداتهم، وبذلك يكونون عيناً على المسلمين، يتعرفون ويعرفون عنهم كل شيء.

---

(1) تفسير الشعرواي: الشعراوي (1020/16)

(2) سورة البقرة: الآيتان (13، 14).

(3) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (51/1-52)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإسلام هذه الفئة الظاهر يمنع المسلمين من قتلهم وكذلك يعطيهم الحق في أخذ الخير والمغنم، فيؤثر ذلك على المسلمين ولو تأثيراً جزئياً وما كان هذا لولا تلونهم.

خامساً: الخداع والتربص والتذبذب:

يقول الله تعالى: ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾[1]، ويقول أيضاً: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا** ﴾[3]، وقوله: ﴿ **الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا**﴾[4].

﴿ **الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ** ﴾ تلوين للخطاب، وتوجيه إلى المؤمنين بتعدد بعض آخر من جنايات المنافقين وقبائحهم، وهو إما بدل أوصفة للمنافقين فقط، إذ هم المتربصون دون الكافرين ... فإن حكاية تربصهم متبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك، كما أن نفس المتربص تستدعي شيئاً ينتظر المتربص وقوعه.

﴿ **قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ** ﴾ أي مظاهرين لكم فأسهموا لنا الغنيمة، ﴿ **وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ** ﴾ من الحرب فإنها سجال، ﴿ **قَالُوا** ﴾ أي للكفرة: ﴿ **أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ** ﴾ أي ألم نغلبكم ونتمكن من قتالكم وأسركم فأبقينا عليكم ﴿ **وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ أي ثبطناهم عنكم، وخداع المنافقين ما يفعلون من إظهار الإيمان وإبطان الكفر، والله فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع، حيث تركهم معصومي الدماء والأموال وأعدّ لهم الدرك الأسفل من النار[5].

أقول وبالله التوفيق:

الخداع والتربص والتذبذب من صفات المنافقين، وكلها تؤدي إلى بعضها، الخداع بإظهار الإيمان، وإبطان الكفر يؤدي إلى التربص بالمؤمنين وانتهاز الفرصة للانقضاض عليهم والظفر بهم، وهذا يؤدي بهم إلى التذبذب، فتارة مع المؤمنين يمكرون ويكيدون بهم، وتارة مع الكفار يخططون للقضاء على المؤمنين وعلى دين الله ودعوته، فكل هذه الصفات طريقة من طرق الكيد ومحاربة دعوة الله ﷻ؛ فنفسية هؤلاء تقوم على الخداع والتربص والتذبذب، فهي نفسية

---

(1) سورة البقرة: الآية (9).
(2) سورة النساء: الآية (142).
(3) سورة النساء: الآية (140).
(4) سورة النساء: الآية (141).
(5) تفسير أبي السعود: أبو السعود (2/245-246)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مضطربة، همها الكيد والمكر والتربص، كما يحدث في زماننا من وجود بعض الأشخاص مخادعين لأبناء وطنهم، خائنين لهم متربصين بهم، ومراقبين لهم في جميع الأوقات والأحوال، متذبذبين بين أعداء الله وبين أبناء وطنهم، لذا فالمنافقين في كل مكان وزمان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

طريقة المشركين

لقد جاء النبي ﷺ بدعوة الإسلام الدعوة الربانية، بما فيها من سماحة وحب وعزة ومساواة، فلم يكن هناك فرقاً بين السيد والعبد، وبين الغني والفقير، والقوي والضعيف إلا بالتقوى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[1].

فلم يُعجب ذلك سادات قريش وأشرافها، فتصدوا لهذا الدين الجديد الذي يسفه أحلامهم وينزع هيبتهم، ويساويهم بالعبيد، هذا بزعمهم، وأعلنوا الحرب على هذه الدعوة وعلى رسولنا محمد ﷺ ومن آمن به من الصحابة الكرام ﷺ، وسأقوم إن شاء الله بعرض هذه الطرق التي حارب بها كفار قريش الدعوة الإسلامية ودين الله ﷻ:

أولاً: الصد عن سبيل الله:

وذلك بعدة طرق منها:

1. الصد عن المسجد الحرام والصلاة:

يقول تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** ﴾[2]، وقوله: ﴿ **وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[3]، وقوله: ﴿ **وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴾[4] وقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا** ﴾[5]، وقوله: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[6].

---

(1) سورة الحجرات: الآية (13).
(2) سورة الأنفال: الآية (36).
(3) سورة الأنفال: الآية (34).
(4) سورة الأنفال: الآية (35).
(5) سورة المائدة: الآية (2).
(6) سورة الحج: الآية (25).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففي قوله: ﴿ **وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾ أي يصدون المؤمنين عن المسجد الحرام بقرينة قوله: ﴿ **إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ** ﴾ فكان الصد عن المسجد الحرام جريمة عظيمة يستحق فاعلوه عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة؛ لأنه يؤول إلى الصد عن التوحيد؛ لأن المسجد أُسس ليكون عَلَماً على توحيد الله ومأوى للموحدين، فصدهم المسلمين عنه لأنهم آمنوا بإله واحد ... وهذا الصد الذي ذكرته الآية هو عزمهم على صد المسلمين المهاجرين عن أن يحجوا ويعتمروا، ولعلهم أعلنوا بذلك بحيث كان المسلمون لا يدخلون مكة ... وقوله: ﴿ **وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ...** ﴾ معطوفة على ﴿ **وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾ فمضمونها سبب ثان لاستحقاقهم العذاب ... والمكاء على صيغة مصادر الأصوات، يقال: مكا يمكوا إذا صفَّر بفيه، والتصدية: التصفيق مشتقاً من الصدى، وهو الصوت الذي يرده الهواء... ولا تُعرف للمشركين صلاة، فتسمية مكائهم وتصديتهم صلاة مشاكلة تقديرية؛ لأنهم لما صدوا المسلمين عن الصلاة وقراءة القرآن في المسجد الحرام عند البيت كان من جملة طرائقهم صدهم إياهم تشغيبهم عليهم وسخريتهم بهم، يحاكون قراءة المسلمين وصلاتهم بالمكاء والتصدية..."[1].

أقول وبالله التوفيق:

إن أعداء الله يعرفون قيمة المسجد وتأثيره في حياة المؤمنين وعلى النفس المؤمنة، فهم يسعون جاهدين لأن يمنعوا المؤمنين الموحدين من الصلاة في المسجد أياً كان هذا المسجد، وإن ما تجده في أيامنا هذه من فرض الحصار والحواجز لمنع المصلين من الصلاة في المسجد الأقصى المبارك، هو نوع من أنواع الصد في زماننا، وكأن هناك تواطؤ بين المشركين واليهود واتفاق في هذه الصفة، وهي منع الموحدين من الصلاة في المساجد ذات القدسية والمكانة العالية في نفوس المسلمين.

ويكون الصد أيضاً بمنع المصلين من الصلاة في المساجد بترويج الإشاعات وتخويف الناس من الالتزام في المسجد، مثل أن الذي يصلي مراقب، وسيعتقل ويلاحق، فيؤدي ذلك إلى الخوف وعدم الصلاة في المسجد.

وبالنسبة لما يحدث في زماننا من إقامة الحفلات الماجنة وارتفاع الموسيقى الصاخبة، هنا مشابهة بين ما يفعله هؤلاء القوم وبين المشركين من مكاء وتصدية، ولعل المشركين في زمانهم أشد ضرراً مما يفعله أبناء قومنا في زماننا من موسيقى ماجنة صاخبة، لا تجعل الإنسان يعرف صلاة، ولا يؤديها على وجهها الصحيح؛ لأن فعل المشركين كان للصد عن سبيل الله، بينما فعل العصاة يكون للترفيه، والتعبير عن الفرحة.

---

(1) التحرير والتنوير: ابن عاشور (9/335-339)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه الحفلات والسهرات الماجنة، إذا كانت صادرة من أجل السخرية بالدين وأهل الله، فتعتبر كفراً، وإن كانت من باب اللهو فهي أثر من آثار المعصية وزيادة في المعصية[1].

2. الصد بإنفاق المال:

يقول تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** ﴾[2].

يقول الشعراوي ـ رحمه الله ـ: " يبين المولى في هذه الآية أن هؤلاء المشركين قد كفروا بالله وصرفوا المال ليصدوا عن سبيل الله، فلم يتحقق لهم ما أرادوا، ولم يأت ذلك الأمر بأدنى نتيجة، وكأن الحق يغري الكافر بأن يتمادى في الإنفاق ضد الإيمان، فيخسر الكافر ماله ويتجرع آلام الحسرة؛ لأن الله يغلبه من بعد ذلك، وحين سمعوا قول الله تعالى: ﴿ **فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً** ﴾ لم ينتبهوا إلى أن الحق سبحانه يتحدث عن المستقبل وأنه مهما أنفق الكفار لصد دين الله فلن يصلوا إلى أي نتيجة... ولماذا لم ينتبهوا إلى ذلك؟ ولم يدخروا أموالهم وقد نصر الله دينه؟

إذن هذا هو فعل فقدان البصيرة والذكاء وحين يأتي القرآن الكريم بقول الله تعالى: ﴿ **فَسَيُنْفِقُونَهَا** ﴾ أي الإنفاق سيكون في المستقبل، والاستقبال له مرحلتان: استقبال قريب، واستقبال بعيد؛ فإن كان الاستقبال قريباً، فهو يقول: ﴿ **فَسَيُنْفِقُونَهَا** ﴾ وأما إذا كان بعيداً، فيقول: فسوف ينفقونها..."[3].

أقول وبالله التوفيق:

إن طبيعة الكفار متشابة، وكأنهم يتعلمون من بعضهم البعض، فالكفار في عهد النبي ﷺ أنفقوا أموالهم بهدف الصد عن سبيل الله وذلك بتجهيز الجيوش، وإعلان أن من يأتي بمحمد ﷺ حياً أو ميتاً لهم مائة من الإبل، وهذا يتكرر في زماننا الذي نعيشه، إنهم يقرون في مجالسهم المليارات من الأموال للإنفاق العسكري، وتجهيز الجيوش، وأيضاً يعلنون بأن هناك جائزة مقدارها الملايين لمن يأتي بخبر عن فلان، وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ** ﴾ الملاحظ أن الفعل هنا فعل مضارع، فهو يدل على الاستمرار، وأن هذه الطريقة مستمرة عند الكفار في كل زمان ومكان.

ثانياً: المكر برسول الله ﷺ:

---

(1) التحرير والتنوير: ابن عاشور (339/9)، بتصرف.

(2) سورة الأنفال: الآية (36).

(3) تفسير الشعراوي: الشعراوي (4694/8-4695)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾[1].

وهذه صورة من صور المكر التي مكرها الكفار برسول الله ﷺ منها:

1. الحبس في قوله: ﴿ **لِيُثْبِتُوكَ** ﴾.
2. الإخراج والإبعاد في قوله: ﴿ **أَوْ يُخْرِجُوكَ** ﴾.
3. القتل في قوله: ﴿ **أَوْ يَقْتُلُوكَ** ﴾[2].

وفي هذه الآية إخبار بما اجتمع عليه المشركون من المكر بالنبي ﷺ في دار الندوة، فاجتمع رأيهم على قتله فتبنوه ورصدوه على باب منزله طول ليلتهم ليقتلوه إذا خرج فأمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام في فراشه، ودعا الله أن يعمي عليهم أثره، فطمس الله على أبصارهم... والخبر مشهور في كتب السيرة[3].

أقول وبالله التوفيق:

وهذه الوسائل هي من طرق الكفار في محاربة الدعوة الإسلامية، وهي مستخدمة في كل زمان ومكان، فنجد القتل وما يوازيه من جهة أعداء الله في أيامنا من الاغتيال لكل من يخالفهم، خاصة قادة العمل الإسلامي؛ **والإثبات:** ما يفعله الأعداء من حبس للمجاهدين والحكم عليهم بأحكام عالية، والإقامة الجبرية؛ **والإخراج:** يعني الإبعاد، وهو ما حدث مع أبناء هذا الوطن من تهجير، ومن إبعاد لقيادات الحركة الإسلامية قبل عدة سنوات[4]، فهذا ديدن أعداء الله في محاربة الدعوة الإسلامية.

ثالثاً: إيذاء الكفار للنبي ﷺ:

وأقصد هنا بالإيذاء:

أ. إيذاء مادي (حسي)[5].

ب. إيذاء معنوي.

الإيذاء المعنوي وهو المتمثل في نشر الأقاويل والأباطيل، واتهامه بما لا يليق به ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم يقول الله تعالى: ﴿ **لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾[1].

---

(1) سورة الأنفال: الآية (30).

(2) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (303/2)، بتصرف.

(3) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (252/7).

(4) وهو إبعاد قيادات من الحركة الإسلامية إلى مرج الزهور في لبنان.

(5) سيرة ابن هشام: ابن هشام (26/2-7-8).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الشهيد سيد قطب . رحمه الله .: "...وتختلف وسائل الدعاية ضد الجماعة المسلمة ووسائل إيذائها في سمعتها وفي مقوماتها وفي أعراضها، وفي أهدافها وأغراضها، ولكن القاعدة واحدة ﴿ **لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ** ﴾، ولقد حفلت السورة بصور من مكايد أهل الكتاب والمشركين، وصور من دعايتهم للبلبلة والتشكيك أحياناً في أصول الدعوة وحقيقتها، وأحياناً في أصحابها وقياداتها، وهذه الصور تتجدد مع الزمان، وتتنوع بابتداع وسائل الدعاية الجديدة..."[2].

وفي قوله: ﴿ **وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا**﴾[3]، قولهم للرسول ﷺ بأنه:

1. **كاذب:** يقول تعالى: ﴿ **وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ** ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿ **أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ** ﴾[5].

2. **ساحر:** يقول تعالى: ﴿ **وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ** ﴾[6].

3. **مجنون** لقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ** ﴾[7]؛ ولقد نفى الله هذا القول الشنيع، فقال تعالى: ﴿ **فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ** ﴾[8].

4. **شاعر:** يقول الله تعالى: ﴿ **بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ** ﴾[9]، وقوله: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ** ﴾[10].

ولقد نفى الله عنه ذلك فقال: ﴿ **وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ** ﴾[11].

---

(1) سورة آل عمران: من الآية (186).
(2) في ظلال القرآن: قطب 540/1
(3) سورة آل عمران: الآية (186).
(4) سورة ص: الآية (4).
(5) سورة القمر: الآية (25).
(6) سورة ص: الآية (4).
(7) سورة الدخان: الآية (14).
(8) سورة الطور: الآية (29).
(9) سورة الأنبياء: الآية (5).
(10) سورة الطور: الآية (30).
(11) سورة الحاقة: الآية (41).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5. **كاهن:** لقوله: ﴿ **وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ** ﴾[1] يفهم ضمناً أنهم قالوا: إنه قول كاهن، وينفي الله ﷻ هذا القول، وقد أخبر الله أن الأقوام كأنها توصي بعضها بعضاً بهذه الأقوال، فيقول تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (52) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ** ﴾[2].

6. **وقولهم** كما أخبر تعالى على لسانهم ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** ﴾[3].

﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ** ﴾ فيه استهانة به ﴿ **عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ** ﴾[4].

7. **وقولهم عن الرسول ﷺ: إنه أبتر**، أي لا يبقى للرسول ﷺ ولد، فنزل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ** ﴾[5].

فهذه بعض الأقوال التي هي من باب إيذاء النبي ﷺ وإسماعه ما يؤذيه من قِبل المشركين.

رابعاً: التحالف مع اليهود:

لقد تحالف المشركون من قريش مع اليهود ضد رسول الله ﷺ، وقد ذكرت كتب السيرة ما حدث من اليهود وتحالفها مع قريش ضد رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب، فقد جاء أن وفداً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب وغيرهم، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، قالوا: إنا سنكون معكم حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا** ﴾[6]، فلما قالوا ذلك لقريش، سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا

---

(1) سورة الحاقة: الآية (42).

(2) سورة الذاريات: الآيتان (52، 53).

(3) سورة الزخرف: الآية (31).

(4) تفسير النسفي: النسفي (113/4).

(5) أسباب النزول: السيوطي (471/1- 472)، بتصرف.

(6) سورة النساء: الآية (51).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لذلك، واستعدوا له، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب...[1].

خامساً: تعذيب المستضعفين من الصحابة ﷺ ممن آمن بمحمد ﷺ:

ذكر ابن هشام في كتابه: " ثم إنهم تعدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه ﷺ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر، ممن استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم، وقد كان بلال ﷺ يعذب، فيطرح على ظهره ببطحاء مكة، ثم توضع الصخرة العظيمة على صدره، وهو يقول: أحد أحد، إلى أن أعتقه أبو بكر الصديق ﷺ، ففيه نزلت الآية ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى** ﴾ "[2].

وكانت بنو مخزوم يخرجون عمّار بن ياسر وأبيه وأمه ﷺ، وكانوا أهل بيت إسلام إذا حمت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول: " **صَبْراً آلَ يَاسِر، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الجَنَّةَ** "[3].

وكان أبو جهل إذا سمع الرجل قد أسلم وله شرف ومنعه أنَّبه وأخزاه، وقال: تركت دين أبائك وهو خير منك لنُسفِّهنَّ حلمك، ولنُضلنَّ رأيك، ولنضعنَّ شرفك[4].

وهناك نماذج كثيرة على تعذيب المشركين للصحابة الكرام ﷺ، وهي من باب محاربة الدعوة الإسلامية؛ هذه بعض طرق المشركين المستخدمة في محاربة الدعوة الإسلامية والرسول ﷺ والصحابة ﷺ التي مازالت تستخدم في أيامنا هذه، وإن اختلفت الوسيلة إلا أن الهدف واحد.

---

(1) سيرة ابن هشام: ابن هشام (3/130-131)، بتصرف.

(2) أسباب النزول: السيوطي (ص: 457)، والآيتان من سورة الليل (5، 6).

(3) المستدرك: الحاكم (3/383)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(4) سيرة ابن هشام: ابن هشام (1/203- 204)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

بعد حمد الله تعالى، والثناء عليه، وتوفيقه لي بإنهاء كتابة هذا البحث، أذكر ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات، وهي كما يلي:

أولاً: النتائج:

1. بيَّن البحث أهمية الدراسة الموضوعية القرآنية، ولو كانت حول لفظة قرآنية واحدة، ومدى ارتباطها بالواقع الذي نعيشه.
2. ضرورة دراسة أي موضوع قرآني مهما صغر أو كبر لما فيه من المعاني المفيدة في خدمة المجتمع.
3. تأصيل مبحث الوجوه والنظائر من الأمور التي تساعد على فهم كتاب الله ﷻ.
4. تبين من خلال البحث أن الطريق لها معنى واسع وشامل، ولها معنيان الأول حقيقي وهو المتمثل بالطريق المادي؛ والآخر مجازي، وله وجوه متعددة، فتارة يُفسر بالإسلام، وأخرى بالكفر ...
5. لا يقتصر الطريق فقط على الطريق المادي (الترابي)، بل هناك الطريق المائي والجوي، وقد أشار إليها القرآن الكريم.
6. وجود نظائر للطريق في كتاب الله كالسبيل والسنة والصراط والمنهاج والنجدين، وكل نظير ورد في القرآن في مكانه وموقعه، وإن دل ذلك فإنما يدل على بلاغة القرآن الكريم.
7. ورود وجوه متعددة لهذه النظائر يؤدي إلى الزيادة في توضيح معنى الآيات الواردة فيها، ويدلل على سعة الكلمة القرآنية.
8. من خلال البحث تم توضيح أنواع وصفات الطريق، فالطريق إما طريق خير، وهو المستقيم، أو طريق شر، وهو المعوج، ولكل طريق أتباع.
9. تم التعرف على أحكام الطريق التي أشار إليها القرآن الكريم، ولقد شرحت السنة هذه الأحكام والآداب بالتفصيل.
10. توضيح العلاقة بين الطريق ونظائرها، وتوضيح العلاقة بين الطريق ونظائرها وبين الآيات والسور الواردة فيها، وعلاقتها بالمكي والمدني.
11. تم التعرف على الصيغ الواردة لكلمة الطريق ونظائرها في كتاب الله من حيث التعريف والتنكير والإفراد والجمع والتذكير والتأنيث، وتأثيرها على التفسير.
12. إظهار الإعجاز في أصوات وصفات حروف كلمة الطريق، ونظائرها، والعلاقة بينها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

13. معرفة الطرق التي استخدمها الرسل في توصيل دعوتهم وفكرتهم ونشر دين الله، لتكون عوناً وقدوة للدعاة في طريق دعوتهم.

14. كشف الطرق التي يستخدمها أعداء الله في التصدي لدعوة الرسل وأتباعهم والتعرف على طرق محاربتهم لدين الله ليتجلى للدعاة مكرهم ويحذروا خداعهم.

15. اتفاق أولي العزم من الرسل في بعض الطرق المستخدمة لنشر دين الله ولا سيما الصبر والحوار.

16. اشتراك أعداء الله في حربهم لدعوة الله ورسله وسلوك نفس الطرق من قتل أو حبس أو نفي، وإنفاق المال لتحقيق مآربهم.

ثانياً: التوصيات:

1. أوصي إخواني من طلبة العلم الشرعي، وخاصة الطلبة الدارسين لعلم التفسير أن يتناولوا كل المواضيع الموجودة في القرآن، وأقترح منها: الحوار في القرآن الكريم، والرزق، والرأي، واتخاذ القرار في القرآن، ...الخ.

2. أن يتناولوا دراسة السبيل دراسة مستفيضة لكثرة ورودها في القرآن، ولأنها تحمل وجوهاً متعددة.

3. أن يتوجه طلبة التفسير لدراسة الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم، ودراسة الصفات لحروف كلمات القرآن التي لها أثر على الكلمة القرآنية، وبالتالي على التفسير.

4. دراسة الموضوعات القرآنية التي تتعلق بمبحث الوجوه والنظائر، ليكون لها تأصيل قرآني.

تم الكلام وربنا محمود ... وله المكارم والعلا والجود

وعلى النبي محمد صلواته ... ما نام قِمْريٌ وأورق عود

والحمد لله رب العالمين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

فهرس المعاني

ثبت المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الآية	السورة	رقم الآية	مكان ورودها
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ	الفاتحة	6	14
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ	الفاتحة	7	18
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا	البقرة	9	212
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ	البقرة	13	211
أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ	البقرة	19	135
وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ	البقرة	27	204
فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ	البقرة	37	115
وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا	البقرة	60	177
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ	البقرة	61	178
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ	البقرة	67	180
أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ	البقرة	75	203
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ	البقرة	79	204
أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ	البقرة	100	178
أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ	البقرة	108	42
إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا	البقرة	124	129
قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا	البقرة	126	169
سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ	البقرة	142	132
وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا	البقرة	143	143
الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ	البقرة	146	204
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ	البقرة	153	55
وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	البقرة	154	36
إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ	البقرة	159	206
وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا	البقرة	172	180
إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ	البقرة	174	206
وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ	البقرة	179	98
وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ	البقرة	190	55
وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ	البقرة	195	55

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ	البقرة	197	143
وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا	البقرة	205	30
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ	البقرة	207	37
يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم	البقرة	215	52
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ	البقرة	254	19
اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ	البقرة	257	59
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ	البقرة	258	165
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُ	البقرة	264	57
قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا	آل عمران	13	55
إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ	آل عمران	21	202
أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ	آل عمران	39	113
وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ	آل عمران	49	187
إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ	آل عمران	51	14
فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ	آل عمران	52	190
وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ	آل عمران	75	40
فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ	آل عمران	97	74
وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ	آل عمران	101	16
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ	آل عمران	112	202
قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ	آل عمران	137	79
فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ	آل عمران	159	195
وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا	آل عمران	167	209
لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا	آل عمران	181	202
لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ	آل عمران	186	217
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ	آل عمران	187	206
أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً	النساء	15	38
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ	النساء	26	81
فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً	النساء	34	41
وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا	النساء	36	53

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ	النساء	44	43
مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ	النساء	46	203
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ	النساء	51	205
وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا	النساء	68	85
وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ	النساء	69	15
وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ	النساء	76	54
فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً	النساء	90	41
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ	النساء	94	55
وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ	النساء	100	55
غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ	النساء	115	54
إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ	النساء	140	212
الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ	النساء	141	212
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ	النساء	142	212
فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ	النساء	153	179
الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ	النساء	155	204
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ	النساء	167	118
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ	النساء	168	7
إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً	النساء	169	7
إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ	النساء	171	112
فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ	النساء	175	17
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ	المائدة	2	214
فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ	المائدة	12	36
فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ	المائدة	13	203
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ	المائدة	15	129
يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ	المائدة	16	68
يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ	المائدة	21	180
قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ	المائدة	22	179
قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا	المائدة	24	179

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً	المائدة	26	181
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ	المائدة	32	26
إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ	المائدة	33	21
إِلا الذِينَ تَابُواْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ	المائدة	34	25
وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ	المائدة	41	203
قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً	المائدة	46	154
لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا	المائدة	48	96
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ	المائدة	57	207
وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ	المائدة	67	205
كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى	المائدة	70	202
مَا الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ	المائدة	75	190
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ	المائدة	77	43
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ	المائدة	87	30
إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ	المائدة	110	188
إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ	المائدة	112	191
قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا	المائدة	113	192
وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ	المائدة	116	189
وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ	الأنعام	55	54
وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ	الأنعام	75	161
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ	الأنعام	117	66
أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا	الأنعام	122	98
اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ	الأنعام	124	129
وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا	الأنعام	126	87
قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا	الأنعام	151	91
وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ	الأنعام	152	91
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا	الأنعام	153	85
قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	الأنعام	161	15
قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	الأنعام	161	145

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ	16	الأعراف	18
قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا	23	الأعراف	115
وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ	65	الأعراف	158
وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ	86	الأعراف	21
وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ	104	الأعراف	175
قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ	115	الأعراف	183
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ	133	الأعراف	175
قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ	136	الأعراف	179
وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي	137	الأعراف	113
قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا	138	الأعراف	179
وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا	146	الأعراف	36
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ	157	الأعراف	203
وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ	30	الأنفال	217
وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ	34	الأنفال	214
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا	36	الأنفال	214
وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ	41	الأنفال	50
لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ	42	الأنفال	56
فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا	5	التوبة	30
الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ	20	التوبة	55
اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا	31	التوبة	190
وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ	40	التوبة	113
إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ	60	التوبة	51
وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ	61	التوبة	199
لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى	91	التوبة	41
إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ	93	التوبة	44
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم	103	التوبة	51
مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا	113	التوبة	168
وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ	114	التوبة	168

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ	128	التوبة	196
أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ	2	يونس	199
دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ	10	يونس	87
كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا	33	يونس	114
قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا	89	يونس	54
مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ	24	هود	158
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ	25	هود	157
فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا	27	هود	154
قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا	32	هود	159
وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ	38	هود	154
وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ	42	هود	159
وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ	45	هود	159
وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ	119	هود	113
وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ	20	يوسف	37
قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى	108	يوسف	36
أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ	33	الرعد	45
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ	5	إبراهيم	175
أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ	9	إبراهيم	155
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا	35	إبراهيم	169
رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ	37	إبراهيم	172
وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ	6	الحجر	198
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ	9	الحجر	137
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا	29	الحجر	136
قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ	39	الحجر	18
وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ	76	الحجر	38
وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ	8	النحل	45
وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ	9	النحل	45
ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي	69	النحل	6

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ	النحل	98	160
قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ	النحل	102	115
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا	النحل	120	129
ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ	النحل	123	63 ح 2
ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ	النحل	125	54
وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ	الإسراء	26	50
قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ	الإسراء	63	18
وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا	الإسراء	77	79
قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ	الإسراء	88	109
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ	الإسراء	101	175
قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ	الإسراء	102	176
وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا	الإسراء	110	74
فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ	الكهف	6	169
فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا	الكهف	61	38
فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً	الكهف	63	38
يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ	مريم	12	147
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ	مريم	42	169
طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى	طه	1	135
قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي	طه	25	182
قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ	طه	63	7
قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ	طه	65	184
وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي	طه	77	7
قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ	طه	91	181
قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ	طه	95	185
نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ	طه	104	7
لا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً	طه	107	17
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ	طه	135	93
بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ	الأنبياء	5	218

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ	الأنبياء	31	36
وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ	الأنبياء	51	163
قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ	الأنبياء	68	171
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ	الأنبياء	107	196
ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ	الحج	9	73
وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ	الحج	24	87
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ	الحج	25	214
وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ	الحج	42	154
وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا	الحج	47	154
وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ	الحج	54	17
اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً	الحج	75	15
وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ	المؤمنون	17	7
وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	المؤمنون	73	16
إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ	النور	19	210
وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ	النور	56	131
لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ	الفرقان	29	48
فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ	الشعراء	16	184
قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ	الشعراء	23	176
فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ	الشعراء	41	185
قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ	الشعراء	47	176
فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ	الشعراء	63	177
قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ	الشعراء	116	155
وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ	النمل	10	186
وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن	النمل	24	47
قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ	النمل	64	161
وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي	النمل	87	70
فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ	القصص	15	181
فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ	القصص	24	136

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ	12	العنكبوت	36
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ	14	العنكبوت	153
أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ	29	العنكبوت	21
وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ	38	العنكبوت	71
وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا	69	العنكبوت	36
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ	6	لقمان	122
وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي	15	لقمان	62
وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ	13	الأحزاب	209
وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ	15	الأحزاب	209
سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا	33	الأحزاب	79
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا	41	الأحزاب	121
وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ	54	الأحزاب	198
إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ	57	الأحزاب	198
وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً	62	الأحزاب	80
وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا	66	الأحزاب	49
أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا	67	الأحزاب	36
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ	69	الأحزاب	178
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ	5	سبأ	88
وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ	6	سبأ	88
فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ	8	فاطر	169
فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ	43	فاطر	81
وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ	66	يس	86
فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ	23	الصافات	89
وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ	36	الصافات	198
فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ	55	الصافات	42
فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ	102	الصافات	174
وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ	114	الصافات	16
وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ	118	الصافات	14

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ	137	الصافات	73
وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ	138	الصافات	130
وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ	4	ص	199
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ	3	الزمر	131
وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ	8	الزمر	36
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا	9	الزمر	131
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ	19	الزمر	112
قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى	71	الزمر	114
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ	74	الزمر	87
فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ	7	غافر	36
قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ	11	غافر	41
يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي	29	غافر	64
وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ	38	غافر	54
إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ	39	غافر	65
حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ	1	فصلت	135
وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى	17	فصلت	49
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ	26	فصلت	136
شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا	13	الشورى	97
فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ	41	الشورى	40
إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ	42	الشورى	44
هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ	44	الشورى	41
وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ	46	الشورى	42
صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا	53	الشورى	91
وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ	31	الزخرف	219
وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ	37	الزخرف	71
فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ	43	الزخرف	16
ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ	14	الدخان	199
حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً	15	الأحقاف	154

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً	الأحقاف	30	6
فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ	الأحقاف	35	152
وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى	محمد	17	69
فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ	محمد	19	131
لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ	الفتح	2	16
وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً	الفتح	20	17
إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ	الفتح	26	112
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ	الفتح	29	197
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى	الحجرات	13	214
كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ	الذاريات	52	199
فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ	الطور	29	199
أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ	الطور	30	218
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا	القمر	9	155
أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا	القمر	25	199
سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ	القمر	26	199
سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ	الرحمن	31	17
وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ	الواقعة	42	199
لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ	المجادلة	22	168
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي	الحشر	1	204
مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى	الحشر	7	52
قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ	الممتحنة	4	167
وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ	الصف	6	187
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ	الصف	14	190
إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ	المنافقون	1	208
وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ	المنافقون	8	89
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ	التحريم	10	155
أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ	تبارك	22	10
مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ	القلم	2	199

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ	41	الحاقة	219
تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ	4	المعارج	154
وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ	24	المعارج	50
وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ	11	الجن	6
وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ	16	الجن	6
إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ	1	نوح	157
قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ	2	نوح	157
قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا	5	نوح	155
فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا	10	نوح	157
إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا	3	الإنسان	49
إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ	4	الإنسان	103
إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ	29	الإنسان	36
اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى	17	النازعات	175
ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ	20	عبس	38
وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ	1	الطارق	7
وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ	3	البلد	103
أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ	8	البلد	103
وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ	10	البلد	49
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى	5	الليل	220
إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى	12	الليل	124
الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ	4	قريش	21
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ	1	الكوثر	219

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الراوي	الحكم	مكان وروده
ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ	الترمذي	صحيح	197
أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُواْ لا إِلَهَ إِلا الله	البخاري	صحيح	68
إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ	النسائي	صحيح	90
إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثاً: قِيلَ وَقَالَ،	البخاري	صحيح	42
أن رهطاً من عكل وعرينة	البخاري	صحيح	22
إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلاً حَيِيّاً سِتِّيراً	البخاري	صحيح	178
أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالمُقَفِّى وَالحَاشِرُ	مسلم	صحيح	197
أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم	البخاري	صحيح	173
إيّاكم والجلوسَ على الطّرُقاتِ	البخاري، مسلم	صحيح	3
حسبي الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم	البخاري	صحيح	172
خُذُواْ عَنِّي خُذُواْ عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَّهُنَّ سَبِيلاً	مسلم	صحيح	74
رِباطُ يومٍ في سبيل الله خَيْرٌ منَ الدّنْيَا	البخاري	صحيح	31
الشهداء على بارق نهر بباب الجنة	الحاكم	رجاله ثقات	56
صَبْراً آلَ يَاسِر، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الجَنَّةَ	الحاكم	صحيح	220
قال لسارة حين رحل بها إلى الشام مهاجراً	البخاري	صحيح	167
قُلْ: رَبّي الله ثُمّ اسْتَقِمْ	الترمذي	صحيح	15
كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ	البخاري	صحيح	140
لا تزرموه	البخاري	صحيح	196
لَعنَ رسولُ الله ﷺ المتشبهين من الرجال	البخاري	صحيح	29
مَنِ اقْتَطَعَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ ظُلْماً	مسلم	صحيح	30
مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ	مسلم	صحيح	165
مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي	البخاري، مسلم	صحيح	113
هَذَا سَبِيلُ اللهِ	ابن حبان	حسن	92
وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ	مسلم	صحيح	161

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الأعلام

العلَم	مكان ترجمته
الأصفهاني	4 ح 6
الآلوسي	11 ح 5
الزمخشري	19 ح 1
السمين	12 ح 1
الشعراوي	12 ح 3
الطبري	6 ح 2
فضل عباس	28 ح 2
قتادة	23 ح 1
الكفوي	4 ح 9

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المعاني والمصطلحات

الكلمة	مكان وروده
آدر	178 ح 4
الإذلاق	138
الاستطالة	139
الاستعلاء	138
الاستفال	138
استوخمنا	22 ح 6
الإصمات	138
الإطباق	138
الإعجاز في الاصطلاح	109
الإعجاز في اللغة	109
الأمت	18 ح 2
الانحراف	139
الانفتاح	138
التفشي	139
التكرير	139
التوسط	138
الثقلان	17
الجدل في الاصطلاح	159
الجدل في اللغة	159
الجهر	138
الحرابة	22
الخفاء	139
ذود	22 ح 7
الرخاوة	138
السبيل في الاصطلاح	35

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السبيل في اللغة	35
سمل	22 ح 8
السنة عند الفقهاء	77
السنة عند المفسرين	77
السنة في اصطلاح المحدثين	77
السنة في الاصطلاح	77
السنة في اللغة	77
الشدة	138
الشرعة	97
الصدقات	51
الصراط في الاصطلاح	84
الصراط في اللغة	84
الصفة في الاصطلاح	137
الصفة في اللغة	137
الصفير	138
الطارق	7
الطريق في الاصطلاح	4
الطريق في اللغة	3
عكل وعرينة	22 ح 5
العوج	18 ح 2
الغنة	139
الغنيمة	51
الفيء	53
القلقلة	138
الكلمة في الاصطلاح	112
الكلمة في اللغة	112
اللف والنشر	156 ح 4

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللين	139
المناسبة في الاصطلاح	117
المناسبة في اللغة	117
المنهاج	97
المنهج في الاصطلاح	96
المنهج في اللغة	96
الميزاب، والدكة، الساباط، والروشن	29 ح 4
النجدان في اصطلاح المفسرين	101
النجدان في اللغة	101
الهمس	138

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثبت المصادر والمراجع

📖 1. **القرآن الكريم.**

📖 2. **الإتقان في علوم القرآن:** لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي الشافعي، (ت 911 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الثالثة، 1415 هـ . 1995 م.

📖 3. **أحكام القرآن:** لأبي بكر أحمد الرازي الجصاص (ت 370 هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر.

📖 4. **أحكام القرآن:** لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت 543هـ)، دار الفكر.

📖 5. **أحكام القرآن:** للإمام الفقيه عماد الدين بن محمد الطبري المعروف بإلكيا الهراس (ت 504 هـ)، دار الكتاب الحديثة.

📖 6. **أحكام القرآن:** لمحمد بن إدريس الشافعي (ت 204 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان سنة 1400 هـ، 1980 م.

📖 7. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:** محمد بن محمد العمادي أبوالسعود (ت 951 هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

📖 8. **أساس البلاغة:** لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1402هـ . 1982 م.

📖 9. **أسباب النزول:** لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت 468 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1400 هـ . 1980 م.

📖 10. **أسباب النزول:** لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي الشافعي، (ت 911 هـ)، دار الفجر للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1422 هـ . 2002م.

📖 11. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت 1393 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1421 هـ . 2000م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

12. **إعجاز القرآن الكريم:** د. فضل حسن عباس.

13. **الأعـــلام** (قـاموس تـراجم لأشـهر الرجـال والنسـاء مـن العـرب والمسـتعربين والمستشرقين): خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت . لبنان.

14. **الإفصام في فقه اللغة:** حسن يوسف موسى . عبد الفتاح الصعيدي، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية.

15. **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف:** المرداوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1377 هـ . 1957 م.

16. **أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك:** لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن هشام (ت 761 هـ)، مطبعة السعادة، الطبعة الخامسة، 1316 هـ . 1967م.

17. **البحر المحيط:** لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت 754 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1422 هـ . 2001 م.

18. **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع:** لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي (ت 587 هـ)، دار الحديث، الطبعة الثانية، 1406 هـ . 1986 م.

19. **بداية المجتهد ونهاية المقتصد:** محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي (ت 595 هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الخامسة، 1401 هـ . 1981 م).

20. **البداية والنهاية:** لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ)، مكتبة المعارف، بيروت.

21. **البرهان في علوم القرآن:** بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، المكتبة العصرية، صيدا . بيروت.

22. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:** لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت 817 هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.

23. **بغية المريد من أحكام التجويد:** لفهد محمد الحرازي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ . 2001 م.

24. **تاج العروس من جواهر القاموس:** لمحمد مرتضى الزبيدي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت . لبنان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

25. **التحرير والتنوير**: لمحمد الطاهر بن عاشور (تـ 1393 هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

26. **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**: لأبي العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (تـ 1353 هـ)، دار الفكر، 1415 هـ . 1995 م.

27. **التعريفات**: لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي، (تـ 816 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1421 هـ . 2000م.

28. **تفسير البيضاوي**: البيضاوي (تـ 791 هـ)، دار الفكر، بيروت، 1416 هـ . 1996 م.

29. **تفسير الشعراوي**: لمحمد متولي الشعراوي (تـ 1999 م)، طبع أخبار اليوم، قطاع الثقافة.

30. **تفسير القرآن العظيم**: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (تـ 774هـ)، دار الفكر، بيروت، 1401 هـ.

31. **التفسير الكبير**: الفخر الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية.

32. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**: د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق . سورية، دار الفكر، بيروت . لبنان، 1418هـ.

33. **تفسير النسفي**: لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، بدون معلومات أخرى.

34. **التمهيد**: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (ت 463 هـ)، طبع وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387 هـ، تحقيق مصطفى العلوي، ومحمد البكري.

35. **تهذيب الألفاظ**: لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، سنة1895 م.

36. **تهذيب اللغة**: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (تـ 370 هـ)، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

37. **التوقيف على مهمات التعاريف:** لمحمد عبد الرؤوف المناوي (ت 1031هـ)، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1410 هـ.

38. **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن:** الرماني، والخطابي، والجرجاني، مكتبة المعرف، بيروت، الطبعة الثالثة.

39. **جامع البيان في تأويل القرآن:** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الثالثة، 1420 هـ . 1999 م.

40. **الجامع الصحيح المختصر:** لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)، دار ابن كثير، اليمامة، دمشق، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هـ . 1987 م.

41. **الجامع الصحيح** وهو سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت 297 هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، 1382هـ . 1962م.

42. **الجامع لأحكام القرآن:** لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الفكر، عمان، 1413 هـ . 1993 م.

43. **حجة القراءات:** لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1402 هـ . 1982 م.

44. **الحجة في القراءات السبع:** لأبي عبد الله الحسيب بن أحمد بن خالويه (ت 370هـ)، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة، 1401 هـ.

45. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** محمود الآلوسي أبو الفضل (ت 1270 هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

46. **روضة المحبين ونزهة المشتاقين:** لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي (ت 751 هـ)، دار الفجر للتراث، الطبعة الأولى، 1426هـ . 2005 م.

47. **السنة قبل التدوين:** لمحمد عجاج الخطيب، دار الفكر، الطبعة الخامسة، 1401 هـ . 1981 م.

48. **السيرة النبوية:** لأبي محمد عبد الملك بن هشام، (ت 213 هـ)، دار الفجر للتراث، الطبعة الثانية، 1425 هـ . 2004 م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

49. **شرح القواعد الحسان في تفسير القرآن:** عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة السنة، الطبعة الأولى، 1423 هـ . 2002 م.

50. **شرح النووي على صحيح مسلم:** لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1392 هـ.

51. **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب:** لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن هشام (ت 761 هـ)، دار الفكر، بيروت . لبنان.

52. **صحيح مسلم:** لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261 هـ)، إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1357 هـ . 1955 م.

53. **طبقات المفسرين:** أحمد بن محمد الأدنروي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، 1997 م، تحقيق سليمان بن صالح الخزي.

54 **طبقات المفسرين:** لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي الشافعي، (ت 911 هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1396 هـ.

55. **العدة في شرح العمدة:** بهاء الدين عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي (ت 624هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت . لبنان، 1420 هـ . 1999م.

56. **العين:** لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1408 هـ . 1988 م.

57. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:** لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1250 هـ)، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ . 1997 م.

58. **فقه السيرة النبوية:** محمد سعيد رمضان البوطي، دار السلام، الطبعة الأولى، 1414 هـ . 1994 م.

59. **فقه اللغة وأسرار العربية:** لأبي منصور الثعالبي، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1999 م.

60. **فكرة إعجاز القرآن:** نعيم الحمصي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1400 هـ . 1980 م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

61. **في ظلال القرآن:** للشهيد سيد علي قطب (ت 1965 هـ)، دار الشروق، الطبعة الشرعية الخامسة عشر، 1408 هـ . 1988 م.

62. **القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً:** سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق سورية، الطبعة الثانية 1408هـ . 1988 م.

63. **القاموس المحيط:** الفيروزآبادي، دار الفكر.

64. **الكافي في فقه أحمد بن حنبل:** لأبي محمد عبد الله قدامة المقدسي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخاسمة1408 هـ . 1988 م.

65. **كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير:** لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت 728 هـ)، مكتبة ابن تيمية.

66. **الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت 538 هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر.

67. **كشف السرائر في معنى الوجوه والنظائر:** لابن العماد (ت 887 هـ)، مؤسسة شباب الجامعة.

68. **الكليات** (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت 1094هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1413هـ . 1993م.

69. **لباب النقول في أسباب النزول:** لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي الشافعي، (ت 911 هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت.

70. **لسان العرب:** لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت.

71. **مباحث في التفسير الموضوعي:** مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1410 هـ . 1989 م.

72. **مجمل اللغة:** لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1406 هـ . 1986 م.

73. **المجموع شرح المهذب:** لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت 676 هـ)، دار الفكر، بيروت، 1417 هـ . 1996 م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

74. **محاسن التأويل:** لمحمد جمال الدين القاسمي، دار إحياء الكتب العربية.

75. **محاضرات في العلوم التربوية والسلوكية:** د. محمود أبو دف، وحمدان الصوفي، ويحيى موسى، مكتبة آفاق، غزة . فلسطين، 2003 م.

76. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** لأبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (ت 546 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأول، 1422 هـ 2001 م.

77. **مختار الصحاح:** محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الحديث، القاهرة.

78. **المدخل لدراسة السنة النبوية:** د. يوسف بن عبد الله القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ . 2002 م.

79. **المرشد في علم التجويد:** زيدان محمود، وسلامة العقرباوي، دار الفرقان، الطبعة الأولى، 1424 هـ . 2003 م.

80. **المستدرك على الصحيحين:** لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت 405 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1411 هـ . 1990 م.

81. **المشاركة في الحياة السياسية:** مشير عمر المصري، رسالة ماجستير، تحت الطبع.

82. **معالم التنزيل في التفسير والتأويل:** لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، (ت 516 هـ)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1407 هـ . 1987 م.

83. **معاني القرآن وإعرابه:** للزجاج أبي إسحاق إبراهيم السري، (ت 311 هـ)، دار الوليد، جدة، طبع ونشر دار الحديث، الطبعة الأولى 1414هـ . 1994م.

84. **معجم البلدان:** للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1995 م، بيروت.

85. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم:** لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، 1422 هـ . 2001 م.

86. **معجم مقاييس اللغة:** لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ)، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1411 هـ . 1991 م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

87. **معاني الحروف:** علي بن عيسى الرماني، دار الشروق، الطبعة الثالثة، 1404 هـ 1984 م.

88. **المغني في علم التجويد:** د. عبد الرحمن الجمل، مكتبة آفاق، غزة . فلسطين، الطبعة الثالثة، 2002 م.

89. **المفردات في غريب القرآن:** للراغب الأصفهاني، (ت 502 هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1420 هـ . 1999 م.

90. **من بلاغة القرآن:** د. محمد شعبان علوان، ود. نعمان شعبان علوان، الطبعة الأولى، 1415 هـ . 1994 م.

91. **مناهج البحث العملي:** د. عمار بوحوش، ود. محمد الذنيبات، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى، 1410 هـ، 1989 م.

92. **المنهج الحركي للسيرة النبوية:** لمنير محمد الغضبان، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة السادسة، 1411 هـ . 1990 م.

93. **منهج الشعراوي في التفسير:** إبراهيم صيدم، أطروحة قدمت في للحصول على درجة الماجستير في التفسير، في الجامعة الإسلامية بغزة.

94. **الموسوعة العربية العالمية:** مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1419هـ . 1999 م.

95. **النشر في القرآت العشر:** لمحمد بن محمد الدمشقي الشهير بالجزري (ت 833هـ).

96. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:** لأبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت 885 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1415 هـ . 1995 م.

97. **النظم القرآني في آيات الجهاد:** د. ناصر بن عبد الرحمن بن ناصر الخنين، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى، 1416 هـ . 1996 م.

98. **النهر الماد من البحر المحيط:** لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت 754 هـ)، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1407 هـ . 1987 م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ
أسباب اختيار الموضوع	ب
الهدف والغاية من الكتابة في هذا الموضوع	ب
الدراسات السابقة للموضوع	ج
منهج البحث	ج
خطة البحث	هـ
شكر وتقدير	ط
الفصل الأول الطريق: مفهومه، وروده، أنواعه، صفاته، أحكامه	
المبحث الأول: مفهوم الطريق ووروده في القرآن الكريم	2
المطلب الأول: تعريف الطريق في اللغة والاصطلاح	3
أولاً: تعريف الطريق في اللغة	3
ثانياً: تعريف الطريق في الاصطلاح	4
الرأي الراجح	5
المطلب الثاني: الطريق واشتقاقها في القرآن الكريم	7
معنى الطريق واشتقاقاتها	7
المبحث الثاني: أنواع الطريق وصفاته	9
المطلب الأول: أنواع الطريق	10
أولاً: الطريق المادي	10
ثانياً: الطريق المعنوي	11
المطلب الثاني: صفات الطريق	14
أولاً: الطريق المستقيم وأتباعه	14
أهمية الطريق المستقيم	14

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أتباع الطريق المستقيم	15
ثانياً: الطريق المعوج وأتباعه	18
المبحث الثالث: أحكام الطريق في ضوء القرآن الكريم	20
توطئة	21
المطلب الأول: حكم قطع الطريق. الحرابة.	22
أولاً: الحرابة في اللغة	22
ثانياً: الحرابة في الاصطلاح	22
ثالثاً: الصلة بين المحارِب وقطع الطريق	22
رابعاً: حكم قطع الطريق	24
حكم قطع الطريق عند الأحناف	24
حكم قطع الطريق عند المالكية	24
حكم قطع الطريق عند الشافعية	25
حكم قطع الطريق عند الحنابلة	25
خامساً: قطع الطريق، وأثره على المجتمع	25
المطلب الثاني: صور الاعتداء على الطريق	27
أولاً: القعود في الطريق	27
أولاً: القعود المذموم الدائم	27
ثانياً: القعود المذموم المؤقت	29
الفصل الثاني نظائر الطريق في القرآن الكريم	
المبحث الأول: السبيل	34
المطلب الأول: مفهوم السبيل	35
السبيل في اللغة	35
السبيل في الاصطلاح	35
المطلب الثاني: مشتقات كلمة السبيل ووجوهها في القرآن	36

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أسمية الكلمة القرآنية وبلاغتها	36
وجوه كلمة السبيل في القرآن الكريم	37
العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنوي لكلمة السبيل	38
الوزن الصرفي لكلمة السبيل وماذا أفاد؟	38
المطلب الثالث: ورود المفردة القرآنية " سبيل " في القرآن	40
جاءت نكرة	40
جاءت معرفة	42
أولاً: بأل التعريف	42
الحقوق المتعلقة بابن السبيل	50
ما الحكمة أن جعل الله ﷻ ابن السبيل ممن يستحقون الزكاة؟	51
ثانياً: وردت كلمة سبيل معرفة بالإضافة	53
جاءت جمعاً	68
جاءت كلمة سبيل مسبوقة بحروف الجر	71
جاءت مصدراً (سبيلاً)	74
المبحث الثـــاني: السنة	76
المطلب الأول: مفهوم السنة	77
أولاً: السنة في اللغة	77
ثانياً: السنة في الاصطلاح	77
المطلب الثاني: مشتقات كلمة السنة في القرآن الكريم	79
المطلب الثالث: ورود المفردة القرآنية " سنة " في القرآن	80
أولا: جاءت معرَّفة	80
ثانياً: وردت جمعاً (سنن)	81
المبحث الثـــالث: الصراط	83
المطلب الأول: مفهوم الصراط	84
أولاً: الصراط في اللغة	84

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: الصراط في الاصطلاح	84
المطلب الثاني: مشتقات كلمة الصراط في القرآن الكريم	85
المطلب الثالث: ورود المفردة القرآنية صراط في القرآن	86
أولاً: وردت معرَّفة	86
ثانياً: وردت كلمة الصراط موصوفة	93
المبحث الرابع: المنهاج	95
المطلب الأول: مفهوم المنهاج	96
المنهاج في اللغة	96
المنهج في الاصطلاح	96
المطلب الثاني: ورود المفردة القرآنية منهاج في القرآن	97
المبحث الخامس: النجدان	100
المطلب الأول: مفهوم النجدين	101
النجدان في اللغة	101
النجدان في اصطلاح المفسرين	101
المطلب الثاني: ورود المفردة القرآنية النجدان في القرآن	103
أولاً: وردت بمعنى ثديا الأم	103
ثانياً: وردت بمعنى سبيل الخير والشر	104
المبحث السادس: علاقة الطريق بنظائرها	105
العلاقة الأولى: علاقة توضيح المعنى	106
العلاقة الثانية: علاقة تسمية وصفة	106
العلاقة الثالثة: علاقة الاستخدام لكل لفظة ونظير	106
العلاقة الرابعة: علاقة الاتفاق والاختلاف في المعنى	107
الفصل الثالث الإعجاز الصوتي وأثره على التفسير	

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد	109
أولاً: تعريف الإعجاز في اللغة	109
ثانياً: تعريف الإعجاز في الاصطلاح	109
وجوه الإعجاز القرآني	109
المؤيدون والمعارضون للإعجاز	110
المبحث الأول: الكلمة القرآنية والقيمة البلاغية	111
المطلب الأول: مفهوم الكلمة	112
أولاً: الكلمة في اللغة	112
ثانياً: الكلمة اصطلاحاً	112
ورود لفظة كلمة في القرآن	112
أولاً: جاءت كلمة بمعنى عيسى عليه السلام	112
ثانياً: جاءت كلمة بمعنى القول	113
ثالثاً: جاءت كلمة بمعنى كلمة التوحيد وكلمة الشرك	113
رابعاً: جاءت كلمة بمعنى القضية	113
خامساً: جاءت بمعنى ما وعد من الثواب والعقاب	114
المطلب الثاني: الفرق بين كلام البشر والكلمة القرآنية	115
المبحث الثاني: أصوات وصفات الكلمة وأثرها على التفسير	116
المطلب الأول: المناسبة بين الطريق ونظائرها	117
أولاً: مفهوم المناسبة	117
المناسبة في اللغة	117
المناسبة في الاصطلاح	117
ثانياً: أهمية علم المناسبات	117
لفظة سبيل ومشتقاتها	120
العلاقة بين السبيل و القرآن المكي والمدني من السور	126
لفظة الصراط	126

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السبل الهادية للصراط المستقيم	128
العلاقة بين الصراط و القرآن المكي والمدني	132
لفظة المنهاج والنجدان	133
العلاقة بين منهاجاً والسورة التي وردت فيها	133
المناسبة بين النجدين والسورة التي وردت فيها	133
المطلب الثاني: أثر بنية وصفات حروف الطريق ونظائرها على المعنى	135
هل تؤثر طريقة القراءة والتلاوة على المعنى؟	136
أولاً: تعريف الصفة في اللغة	137
ثانياً: الصفة في الاصطلاح	137
صفات حروف كلمة طريق	139
صفات حروف كلمة السبيل	141
القراءات الواردة لكلمة الصراط	143
صفات حروف كلمة الصراط .الزراط .السراط	144
صفات حروف كلمة نهج	146
صفات كلمة النجد	148
صفات حروف كلمة نجد	148
الفصل الرابع طرق الدعوة بين الأبرار والفجار في القرآن الكريم	
المبحث الأول: طرق أولى العزم من الرسل	151
توطئة	152
من هم أولوا العزم من الرسل؟	152
المطلب الأول: طريقة نوح عليه السلام	153
أولاً: الصبر على قومه	153
بعض ملامح الصبر عند سيدنا نوح عليه السلام	154

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: استخدام جميع الأوقات والأحوال في الدعوة إلى الله ﷻ	155
ثالثاً: استخدام أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله	157
رابعاً: استخدام وإظهار الرأفة والرحمة والخوف على قومه	158
خامساً: استخدام المجادلة مع قومه	159
المطلب الثاني: طريقة إبراهيم عليه السلام	161
أولاً: استخدام الأدلة والبراهين المنطقية في إثبات دعوته	161
ثانياً: استخدام الحوار (الحجة والمحاجة) في الدعوة إلى الله	165
ثالثاً: استخدام المفاصلة والحسم في الدعوة إلى الله ﷻ	167
رابعاً: استخدام الرأفة والحنان والتلطف في الدعوة إلى الله	169
خامساً: الصبر والثبات عند الابتلاء	171
المطلب الثالث: طريقة موسى عليه السلام	175
أولاً: استخدام المعجزات في دعوته إلى الله	175
ثانياً: الصبر	178
ثالثاً: استخدام القوة والعنف	181
رابعاً: طلب العون والمساعدة	182
خامساً: تقديم الخصم وإظهار الأدب	183
سادساً: الحوار	184
سابعاً: قوة البأس والتخلي عن الخوف	186
المطلب الرابع: طريقة عيسى عليه السلام	187
أولاً: استخدام المعجزات	187
ثانيا: رد المعجزات وقضايا التوحيد إلى الله	188
ثالثاً: الصبر على الإيذاء	189
رابعاً: التركيز على الجانب العاطفي الإيماني	190
خامساً: تلبية رغبات وطلبات قومه	191
المطلب الخامس: طريقة محمد ﷺ	193
أولاً: الدعوة إلى الله على بصيرة ويقين	193

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة	194
ثالثاً: المجادلة بالتي هي أحسن	194
رابعاً: عدم استخدام الفظاظة والغلظة	195
خامساً: استخدام الرحمة والرأفة بمن يدعوهم والحرص عليهم	196
سادساً: الصبر على الإيذاء	198
المبحث الثاني: طرق الأعداء في الصد عن سبيل الله	201
المطلب الأول: طريقة أهل الكتاب	202
أولاً: قتل الأنبياء والرسل والدعاة	202
ثانياً: التحريف والتزييف	203
ثالثاً: نقض العهود والمواثيق	204
رابعاً: كتمان الحق	206
خامساً: الاستهزاء بدين الله ﷻ	207
المطلب الثاني: طريقة المنافقين	208
أولا: استخدام الكذب	208
ثانياً: خلخلة صفوف المسلمين وإحداث البلبلة	209
ثالثاً: نشر الإشاعة والفاحشة في المسلمين	210
رابعاً: التلون والاستهزاء	211
خامساً: الخداع والتربص والتذبذب	212
المطلب الثالث: طريقة المشركين	214
أولاً: الصد عن سبيل الله	214
ثانياً: المكر برسول الله ﷺ	217
ثالثاً: إيذاء الكفار للنبي ﷺ	217
رابعا: التحالف مع اليهود	219
خامساً: تعذيب المستضعفين من الصحابة ﷺ ممن آمن بمحمد ﷺ	220
الخاتمة	221
أولاً: النتائج	222

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: التوصيات	223
الفهارس العامة	224
فهرس الآيات القرآنية	225
فهرس الأحاديث النبوية	237
فهرس الأعلام	238
فهرس المعاني	239
ثبت المصادر والمراجع	242
فهرس الموضوعات	250

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com